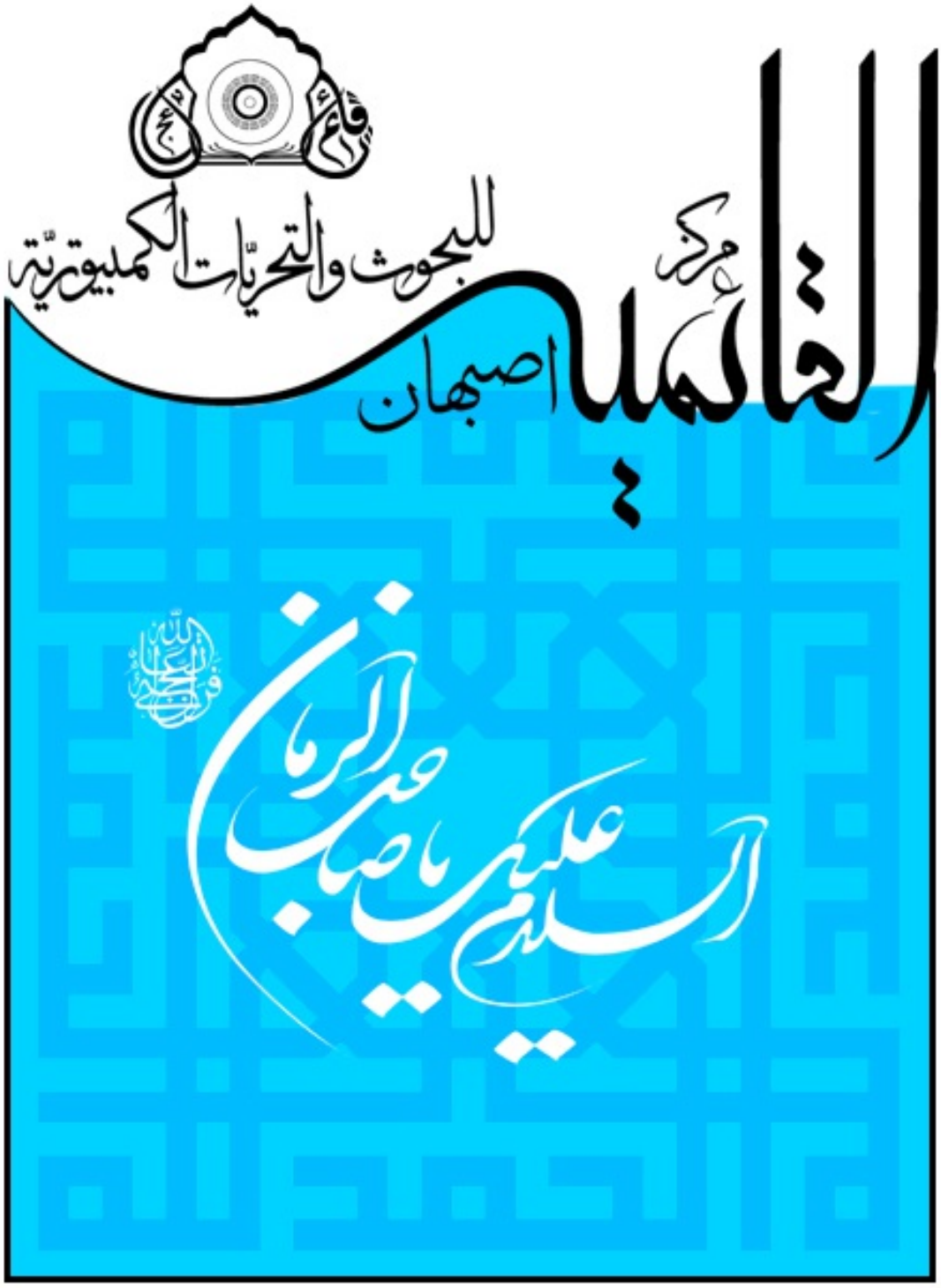

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جعفر المرتضى

موسوعة العتبات المقدسة

١٢

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعه العتبات المقدسه

كاتب:

جعفر الخليلى

نشرت فى الطباعة:

موسسة الاعلمى للمطبوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
موسوعة العتبات المقدسة، المجلد ۱۲ ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
الجزء الثانی عشر ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
الجزء الأول من قسم سامراء ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
سامرا قدیما ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
الطیرهان ----- ۱۵
قدم السکن فی سامرا ----- ۱۶
منطقة سامرا علی عهد الساسانیین ----- ۱۶
دیارات سامرا و القاطول الکسروی ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
دیر سامرّا ----- ۲۴
دیر مرماری ----- ۲۶
دیر السوسی ----- ۲۷
دیر باشهرا ----- ۲۸
دیر عبدون ----- ۲۸
دیر صبّاعی ----- ۳۰
دیر العذاری ----- ۳۱
دیر العلث ----- ۳۳
عمر نصر ----- ۳۴

دیر مرماجرجس ----- ۳۵
القادسیة ----- ۳۵
سامراء فی ظل الخلافة العباسیة ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
فی أیام المعتصم ----- ۴۱
فی أیام الواثق باللّه ----- ۴۴
فی أیام المتوکل ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
عودة للواثق ----- ۴۸
عودة للمتوکل ----- ۴۸
أیام المنتصر ----- ۴۹
فی أیام المستعین باللّه و المعتز ----- ۴۹
فی أیام المهدی ----- ۵۲
فی أیام المعتمد علی اللّه ----- ۵۳
فی أیام المعتمد ----- ۵۳
سامرا فی الشعر ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
أحمد بن أبی دؤاد ----- ۵۶
السید أحمد الموسوی ----- ۵۶
الشیخ أحمد النحوی ----- ۵۶
البحتری ----- ۵۷
بدیع الزمان الهمدانی ----- ۵۸
أبو تمّام ----- ۵۸
جابر الکاظمیّ ----- ۵۹

السید جعفر کمال الدین ----- ۵۹
الجواهری ----- ۵۹
الحسین بن الضحاک ----- ۶۲
حیدر الحلی ----- ۶۲
خالد الکاتب ----- ۶۲
دعبل بن علی الخزاعی ----- ۶۳
سکن ----- ۶۳
شاعر ----- ۶۴
الشیخ عبد الحسین الحویزی ----- ۶۴
عبید اللّه بن أبی طاهر ----- ۶۴
الوزیر الکاتب (أبو محمد بن سفیان) ----- ۶۴
السید محمد علی آل خیر الدین ----- ۶۵
ابن المعتز ----- ۶۵
المنتصر العباسی ----- ۶۵
السید موسی الطالقانی ----- ۶۵
سامراء فی المراجع العربیة ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
سامراء فی التواریخ ----- ۶۶
الجامع المختصر سنة ۶۰۲ ه ----- ۶۶
الحوادث الجامعة سنة ۶۴۰ ه ----- ۶۶
دوحة الوزراء سنة ۱۲۱۰ ه ----- ۶۷
تاریخ العراق بین احتلالین سنة ۹۶۱ ه ----- ۶۷
الحقائق الناصعة فی الثورة العراقیة سنة ۱۹۲۰ و نتائجها ----- ۶۸
و شایح السراء فی شأن سامراء ----- ۶۹

کبار الحوادث: ۷۰
مقابر المشاهیر: ۷۰
مآثر الکبراء فی تاریخ سامراء سنة ۱۳۱۸ ه المسألة الدخانیة ۷۱
کتاب السید جمال الدین الأفغانی لسیدنا الإمام الکبیر الشیرازی رحمه اللّه ۷۱
المسألة الدخانیة التی طار صیتها فی الآفاق ۷۴
العراق قدیما و حدیثا ۸۱
قضاء سامراء ۸۱
سامراء فی الموسوعات و المراجع العامة ۸۳
وفیات الأعیان ۸۳
أخبار الدول و آثار الأول ۸۳
أحسن الودیعة ۸۳
أعیان الشیعة ۸۴
تاریخ الشیعة ۸۴
سامراء فی الأدلة و الجغرافیا ۸۵
الدلیل العراقی الرسمی لسنة ۱۹۳۶ ۸۵
أطلال سامراء ۸۵
دلیل تاریخی علی مواطن الآثار فی العراق سامراء الیوم ۸۵
الروضة العسکریة و سرداب الغیبة ۸۵
الدلیل العام لتسجیل النفوس العام لسنة ۱۹۵۷ العشائر المتوطنة ۸۶
اشارة ۸۶
الأحیاء: ۸۷
الدلیل الجغرافی العراقی سامراء ۸۷
الأماکن المقدسة فی العراق ۸۷
جغرافیة العراق ۸۷

سامراء فی الرحلات رحلة ابن جبیر ---- ۸۸
الاشارات الی معرفة الزیارات ---- ۸۸
رحلة ابن بطوطة ---- ۸۸
نزهة الجلیس و منیة الأدیب الأنیس ---- ۸۹
رحلة المنشیء البغدادی ---- ۸۹
رحلات عبد الوهاب عزام یوم سامراء .. ---- ۸۹
سامرا فی المراجع الغربیة ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۱
الأسم و الموقع ---- ۹۱
بناء سامراء ---- ۹۳
بناء سامراء فی کتاب سیتون لوید ---- ۹۶
فن العمارة فی سامراء ---- ۹۹
الجوسق الخاقانی ---- ۱۰۰
الجامع الکبیر فی سامراء ---- ۱۰۲
الأسس الفنیة لعمارة الجامع الکبیر ---- ۱۰۴
جامع أبی دلف ---- ۱۰۴
دور سامراء ---- ۱۰۶
القبة الصلیبیة و مدافن الخلفاء ---- ۱۰۶
الزخرف السامرائی ---- ۱۰۷
عمارة سامراء فی دائرة المعارف الاسلامیة ---- ۱۰۸
الفنون الاسلامیة فی سامراء ---- ۱۱۱
خلفاء سامراء ---- ۱۱۷
ما کتبه السرجون غلوب عن خلفاء سامراء ---- ۱۲۰
الروضة العسکریة المطهرة ---- ۱۲۳

سامراء فی کتاب دونالدسون ----- ۱۲۴
الأمام الهادی علیه السّلام ----- ۱۲۵
الحسن العسکری علیه السّلام ----- ۱۲۸
الأمام المهدی المنتظر ----- ۱۳۰
وکلاء الإمام صاحب الزمان ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
بعد عودة الخلافة الی بغداد ----- ۱۳۶
سامراء فی القرن التاسع عشر ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۳۸

موسوعة العتبات المقدسة، المجلد ۱۲

اشارة

سرشناسه : خليلى، جعفر، ۱۹۰۴ - م.

عنوان و نام پديدآور : موسوعه العتبات‌المقدسه/ تاليف جعفر الخليلى.

مشخصات نشر : بيروت: موسسه‌الاعلمى للمطبوعات، ۱۴ق= .-۱۳-

مشخصات ظاهرى : ج: .مصور، عكس.

يادداشت : عربى.

يادداشت : فهرستنويسى بر اساس جلد ششم، قسمت اول: ۱۹۸۷م = ۱۴۰۷ق = [۱۳۶۶].

يادداشت : چاپ دوم.

يادداشت : ج.۱ (چاپ اول: ۱۳۸۷ق. = ۱۹۶۷م.= ۱۳۴۶).

يادداشت : ناشر جلد يكم كتاب حاضر دارالتعارف مى باشد.

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : ج.۱. قسم كاظمين.- ج. ۶، ق. ۱، قسم‌النجف. - ج. ۷، ق. ۲، قسم‌النجف

موضوع : زيارتگاههاى اسلامى -- تاريخ

موضوع : زيارتگاه‌هاى اسلامى -- عراق

رده بندى كنگره : DSV۷۹/۹ /ز۹خ۸ ۱۳۰۰ى

رده بندى ديويى : ۹۵۶/۷۵

شماره كتابشناسى ملى : ۱۲۵۹۱۵

الجزء الثانى عشر

اشارة

موسوعة العتبات المقدّسة ۱۲

الجزء الأول من قسم سامراء

اشارة

تأليف جعفر الخليلى

منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت- لبنان ص. ب. ۷۱۲

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴

جميع الحقوق محفوظة و مسجلة

الطبعة الثانية ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م

مؤسّسة الأعلمى للمطبوعات:

بيروت- شارع المطار- قرب كليّة الهندسة- ملك الاعلمى- ص. ب: ۷۱۲۰

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵

سامرا قديما

اشارة

بحث يتناول منطقة مدينة سامرا و ما يحاذيها و يجاورها من المواقع التاريخية الى حين تمصيرها

كتبه الدكتور مصطفى جواد

خريج جامعة السوربون بباريس المتخصص فى التاريخ العربى و الأستاذ المتفرغ بجامعة بغداد

و عضو المجمع العلمى العراقى ببغداد و المجمع العلمى العربى بدمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷

سامرّا قديما

سامرّا اسم آرامىّ و هو فى أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل «كربلا و عكبرا و حرورا و با عقوبا و بتمّارا و تامرّا» و قد مدّ العرب كثيرا من هذه الأسماء الآرامية المقصورة فى استعمالهم إياها، و خصوصا ذكرها فى الشعر إلحاقا لها بالأسماء العربيّة أو توهما منهم أنّها عربيّة تجمع بين المدّ و القصر مثل كثير من الأسماء التى انضمت عليها اللغة العربيّة ذات الأصول العربيّة.

رأيت «سامرا» مكتوبة فى نسخة تاريخ الطبرى المطبوعة بمصر أعنى بالألف المقصورة و سيأتى النصّ و هكذا.

و لم يذكر لسترنج المستشرق المشهور العالم المحقق معنى «سامرّا» الآرامية، و لا مترجما كتابه إلى العربية فى الترجمة، و إذ كانت الآرامية فرعا من فروع اللغة السامية الأمّ، و كان الغالب على سنيها أن تبدل شيئا فى العربيّة جاز أن يكون بين مادة «شمر» العربيّة و «سامرا» الآرامية صلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸

لفظية و صلة معنوية، قال الأصمعى: «التشمير: الارسال من قولهم:

شمّرت السفينة، أرسلتها و شمّرت السهم، أرسلته» و قال ابن سيده:

«شمّر الشىء: أرسله، و خصّ ابن الأعرابى به السفينة و السهم» و قال أبو عبيدة فى التسمير (بالسين) الوارد فى الحديث: «و سمعت الأصمعى يقول: أعرفه بالشين و هو الارسال، قال: و أراه من قول الناس: شمّرت السفينة: أرسلتها، فحوّلت الشين إلى السين» . فغير بعيد أن كانت «سامرا» عند الآراميين فرضة كبيرة لارسال السفن فى دجلة أو دار صناعة لها، و لدجلة عندها خليج لا يزال على حاله القديمة يتبطّح فيه الماء عند الزيادة. مع هذا فتفسيرى هذا لا يخرج عن عداد الحسان و ذلك لعسر تفسير الأسماء الواغلة فى قديم الزمان.

و قال الأب أنستاس مارى الكرملّى الطريقه: «لا جرم أن الذى أسس سامرا و بناها هو الخليفة العباسى المعتصم باللّه ... أما اسم المدينة فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم فى التاريخ فقد ذكره المؤرخ الرومانى أميانس مرقلينس الشهير الذى ولد سنة ۳۲۰ م و توفى سنة ۳۹۰ بصورة (سومراSumera) و نوّه به زوسيمس المؤرخ اليونانى من أبناء المائة الخامسة للمسيح صاحب التاريخ الرومانى بصورة (سوماSouma و يظن أهل النقد من أبناء هذا العصر أن سقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا:Soumara و ورد فى مصنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطة و عرفها ابن العبرى باسم السامرة (كذا) و هذه عبارته : فلما جدّوا (أى الناس فى زمن بناء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹

برج بابل) فى ذلك بأرض شنعار و هى السامرة، قات نمرود بن كوش راصفى الصرح بصيده (راجع كتابه مختصر الدول ص ۱۹ من طبعة اليسوعيّين فى بيروت)». و الغلط ظاهر إذ ليست السامرة فى بلادنا بل فى فلسطين لكن مجانسة اللفظة الواحد للآخر خدعته فقال ما قال ... أما الكلمة فليست بعربية صرفة و إن ذهب الى هذا الرأى كثيرون من المؤرخين و الكتبة و اللغويين و ذلك لعتقها كما أوضحناه و هى عندنا من أصل سامى قديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظة المصحفة عنه، فاذا قلنا: إن أصلها (شامريا) فمعناها (اللّه يحرس (المدينة) أو بعبارة أخرى المحروسة)، و ان قدّرنا أصلها (شامورا) بامالة الألف الأخيرة فمعناها الحرس أى منزل الحرس أو موطن الحفظة بتقدير حذف المضاف و إبقاء المضاف إليه و هو كثير الورود فى جميع اللغات السامية، و عليه نعتبر قولهم إن (سامرا) تخفيف سرَّ من رأى) أو (ساء من و أى) من قبيل الوضع و لهذا لم يقبل أحد من المستشرقين هذا الرأى و عدّوه فى منتهى السخف» .

و زعم الأستاذ هرزفيلد أن اسم هذه البلدة قد جاء فى الكتابات الآشورية بصورة (سرمارتا Su -Ur -Mar -Ta و أنها كان لها فى أيام الفرس شأن كبير فى محارباتهم الرومان» .

أما مدّ «سامرا» و جعلها سامراء فهو محدث أحدثه العرب إجراءا منهم لهذا الاسم مجرى الأسماء العربية كما ذكرت آنفا، و كانوا يفعلونه حتى مع اعترافهم بأن الاسم غير عربىّ، قال ياقوت الحموى: «عكبرا بضمّ أوله و سكون ثانيه و فتح الباء الموحدة، و قد يمدّ و يقصر، و الظاهر أنه ليس بعربىّ ... و قال

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰

حمزة الاصبهانى: بزرج سابور معرب وزرك شافور و هى المسماة بالسريانية عكبرا» .

و للاستاذ البارع كاظم الدجيلى مقالة جيّدة بعنوان: «آثار سامراء الخالية و سامراء الحالية» قال فيها: «أما اسمها فقد اختلفت الروايات فيه و فى معانيها (كذا) و كلها لا نصيب لها من الحقيقة، و أصدق لغة رويت فى اسمها هو (كذا) سامراء (بفتح السين بعدها ألف يليها ميم مفتوحة و بجانبها راء مثقلة مفتوحة ثم ألف ممدودة و فى الآخر همزة). و أما قولهم: إن الرواية الصحيحة هى سرّ من رأى أو (سام راه) فهذه و غيرها من مخترعات المخيلة، و من التآويل التى انتجتها قرائح بعضهم إجابة للعقل الذى يحب الوقوف على أسرار الكون و الاكتفاء بما يرضيه. و لو فكروا قليلا لأقرّوا أن تأويلهم بعيد لقدم ورود الاسم، و لعله من وضع البابليين أو الآشوريين أو الكلدانيين أو غيرهم من الأمم الخالية ، فكيف يطلب لها معنى فى اللغة العربية ؟».

قلت: قد ذكرت رجحان المقصور «سامرا» على الممدود «سامراء» فى كلام سابق لهذا، و بينت أسباب الرجحان، و أضيف هنا أن مدّ الأسماء الأعلام غير مألوف فى غير اللغة العربية من اللغات السامية، و الغالب عليها فيها القصر، و إذ كانت اللغة البابليّة و اللغة الآشورية و اللغة الكلدانيّة مع تشابههنّ من اللغات السامية كاللغة العبريّة لم أر بأسا فى البحث عن معنى «سامرا» فى اللغة العربية مع مراعاة أطوار الابدال و الاوزان فى اللغات المذكورة و هى فى الصعوبة بمكان، بحيث لا يعلمها الا متقن تلك اللغات

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱

و دارس علم الموازنة بينها و هو ما لم نوفق له يا للأسف، و مع ذلك لم أجد حرجا فى إقامة باعث على التفكير فى معنى الاسم، أو إحداث فكرة تدور حولها، و البحث عن معانى الأعلام المدنية هو مما اعتاده المؤرخون المحدثون و الآثاريون العصريون، لأنه ذو فائدة لعلم التاريخ و الحضارة البشرية و علم اللغات، و اعتاده أيضا البلدانيون القدامى كما ترى فى معجم البلدان لياقوت الحموى، و إنما الذى يؤخذ عليهم أنّهم كانوا يحاولون رجع معظم الأسماء الأعلام و عامّتها إلى اللغة العربية و هو الذى أنكره محقا الكاتب الفاضل، مع أن البلاد التى أنشئت فيها تلك المدن و البلدان و القرى و النواحى المعمورة لم تكن قديما من البلاد العربيّة، أما مواضع جزيرة العرب فكان لهم كلّ الحقّ فى البحث عن معانى أسمائها لأن واضعيها كانوا عربا.

و كان من الغلط المبين قول ابى محمد الحريرى: «و يقولون: للبلدة التى استحدثها المعتصم باللّه (سامرا) فيوهمون فيه كما و هم البحترى فيها إذ قال فى صلب بابك:

أخليت منه البذّ و هو قراره‌و نصبته علما بسامرّاء

و الصواب أن يقال فيها (سرّ من رأى) على ما نطق بها فى الأصل لأن المسمى بالجملة يحكى على صيغته الأصليّة كما يقال: جاء تأبّط شرا ..

و حكاية المسمى بالجملة من مقاييس أصولهم و أوضاعهم، فلهذا وجب أن ينطق باسم البلدة المشار إليها على صيغتها الأصلية من غير تحريف فيها و لا- تغيير لها و ذاك أن المعتصم باللّه حين شرع فى انشائها ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سرّ كل منهم برؤيتها فقيل فيها سرّ من رأى، و لزمها هذا الاسم و عليه قول دعبل فى ذمّها:

بغداد دار الملوك كانت‌حتى دهاها الذى دهاها

ما سرّ من را بسرّ من رابل هى بؤسى لمن رآها

و عليه أيضا قول عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر فى صفة الشعرى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲ أقول لما هاج قلبى ذكرى‌و اعترضت وسط السّماء الشعرى

كأنها ياقوتة فى مدرى‌ما أطول الليل بسرّ من را!

فنطق الشاعران باسمها على وضعه و سابق صيغته و إن كان قد حذفا همزة رأى لاقامة الوزن و تصحيح النظم .

و ليس ما قاله الحريرى- رح- بالمروى الصحيح و إنّما الصحيح أن المعتصم باللّه سأل عن ذلك الموضع فقيل له: اسمه سامرّا، فأراد التفاؤل على عادة العرب، فقال: نسميها سرّ من رأى ، قال العلامة أبو الثناء السيد محمود الآلوسى معقّبا «و ما أنكر الحريرى غير منكر، قال ابن برّى عن ثعلب و ابن الأعرابى: و أهل الأثر يقولون كما قال أيضا: اسمها القديم سامير، سميت بسامير ابن نوح- ع- لأنه أقطعه إياها، فكره المعتصم ذلك فغيّرها و الأقرب أن يكون التغيير الى سامرا. و حكى بعض أهل اللغة أنها سميت (ساء من رأى) فحذفت همزة ساء و همزة رأى لطول الكلمة و قيل سامرا.

و حكى بعض فيها ست لغات: سر من رأى، ببناء الفعل للمفعول، و (سرّ من رأى) ببائه للفاعل او (ساء من رأى) و (سامرا) بالقصر و (سامراء) بالمدّ، و (ساميرا). و فى القاموس (سر من رأى) بضم السين و الراء و بفتحهما و بفتح الأول و ضم الثانى و سامراء، و مدّه البحترى بالشعر و كلاهما لحن و ساء من رأى، و سرّاء ممدودة مشدّدة مضمومة، و النسبة سرّمرى و سامرّى و سرّى» . و نقل بعد ذلك من معجم البلدان لياقوت الحموى.

و أنا لم أنقل التعقيب على الحريرى على أنه خبر تاريخى صحيح بكماله

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳

بل نقلته لاثبات أن من القدماء من قال بقدم الاسم «سامرا»، و إن كان فى رأيهم أنه «ساميرا» ففى اللغة يبدل أحيانا أحد الضعفين ياءا كما قالوا «إيبالة» فى الإبّالة و هى الحزمة من الحطب و الحشيش، و قالوا أصل الدينار «دنّار» بدلالة جمعه على دنانير، و قالوا باطراد فى مصدر «فعّيل يفعّيل» تفعيلا، و كان القياس يوجب أن يقولوا «تفععلا» لأن فى الفعل عينا مضعفة، ينبغى ظهورها فى المصدر كما تظهر فى «تفعّل تفعّلا».

و يعلم مما قدمت أنّ جميع لغات «سامرا» التى نقلناها، تلك التى يقول فيها ياقوت «سرّ من رأى و سرّ من رى و سرّ من راء و ساء من رأى و سام راه الفارسىّ و سرور من رأى و سرّاء» ما هى إلا تلعّبات باللفظ و تخريجات منه للتفاؤل تارة و للتشاؤم مرة أخرى، إلا أنّ تسميته المدينة بسرّ من رأى غلبت على جميع التسميات لأن المعتصم شاء ذلك، ثم ضعفت بمرور الزمان، فكان من الناس من يسميها «سامرّا، و كان منهم من يسمّيها «سر من رأى» على اعتبار أنه الاسم الصحيح و ليس بذاك، كما بيناه هناك.

و سامرّا كثرت فيها الأساطير ككل مدينة عريقة فى القدم، فقال حمزة الأصفهانى: «كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الاتاوة التى كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم و دليل ذلك قائم فى اسم المدينة لأن (سا) اسم الأتاوة، و (مرّة) اسم العدد و المعنى أنه مكان قبض عدد جزية الرؤوس» . فحمزة استنتج تاريخها من تحليل اسمها على الطريقة الفارسية لأن اللغة الفارسية آرية أى تركيبية لا اشتقاقية كاللغات الساميّة، و هذا التحليل واه واهن، فانه يقال: ما الباعث على حمل الاتاوة إلى اهل هذه المدينة و لم تكن من مدن الحدود بين المملكة الفارسيّة على اختلاف أطوارها و الدولة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴

الرومية على اختلاف فتوحاتها، لأن الدولة الرومية كانت فى غرب المملكة الفارسية، فالأولى أن يكون مكان القبض على الفرات لا على دجلة.

قال ياقوت: «و قال الشعبى: و كان سام بن نوح له جمال و رواء و منظر و كان يصيف بالقرية التى ابتناها نوح- ع- عند خروجه من السفينة ببازبدى و سمّاها ثمانين و يشتو بأرض جوخا ، و كان ممرّه من أرض جوخا إلى بازبدا على شاطىء دجلة من الجانب الشرقى، و يسمى ذلك المكان الآن (سام راه) يعنى طريق سام. و قال ابراهيم الجنيدى: سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح- ع- و دعا أن لا يصيب أهلها سوء ». فهذه أمثلة لما ابتدع من الأهوال فى تاريخ سامرا، و قد نسب بعضها إلى رجال ثقاة رغبة فى ترويجها بين الناس، و هى طريقة مبتدعى الأساطير المألوفة عندهم المعروفة عند ذوى الأفكار الناقدة.

و من الطريف ما ذكره ابن بشار المقدسى قال: «سامرا كانت مصرا عظيما و مستقر الخلفاء فى القديم، اختطها المعتصم و زاد فيها بعده المتوكل و صارت مرحلة، و كانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر فقيل سرمرى ... فلما خربت و صارت الى ما ذكرنا سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقيل سامرا ». و قال مؤرخ آخر: «حكى فى بعض الكتب أن سرّ من رأى كانت مدينة عظيمة عامرة كثيرة الأهل فأخربها الزمان حتى حتى بقيت خربة و بها دير عتيق و كان سبب خرابها فيما حكى فى الكتاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵

المذكور أن أعراب ربيعة و غيرهم كانوا يغيرون على أهلها فرحلوا عنها» .

الطيرهان

و كانت منطقة سامرا تعرف فى أيام الساسانيين باسم «الطيرهان» قال أحمد بن أبى يعقوب: «كانت سر من رأى فى متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها، و كان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار للسلطان المعروفة بدار العامة و صار الدير بيت المال». و قال أبو الحسن المسعودى فى ذكر موضع سامرا: «و هو فى بلاد كورة الطيرهان ». و قال أيضا «فانتهى المعتصم الى موضع سامرا و كان هناك للنصارى دير عادىّ، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع، فقال: يعرف بسامرا. قال له المعتصم: و ما معنى سامرا؟ قال: نجدها فى الكتب السالفة و الأمم الماضية أنّها مدينة سام بن نوح. فقال له المعتصم: و من اى البلاد هى و إلام تضاف؟

قال: من بلاد طيرهان ، و إليها تضاف» . و يستفاد من وصف ابن سراخيون للنهر الاسحاقى أن الطيرهان كانت تشمل الجانب الغربى من هذه البقعة فقد ذكر ان الاسحاقى كان يمر بطيرهان حتى يجىء الى قصر المعتصم «ص ۱۸، ۱۹».

و ذكرها ابن خرداذبه قال: «تكريت ... و الطيرهان و السن و الحديثة ...

قال ذلك فى كتّه كور الموصل، و قال قدامة: «و إذ قد أتينا على أعمال المشرق فلنرجع إلى أعمال المغرب فأولها حدّ الفرات تكريت و الطيرهان و السنّ

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶

و البوازيج و ارتفاعها على أوسط العبر سبع مائة ألف ألف درهم» و كرر ذلك فى كتابه .

و هـذه المنطقـة كانت مشـهورة منـذ أواخر القرن الأول للهجرة على عهد الوليد بن عبد الملك و من بعده فقد جاء فى أخبار الجاثليق النسطورى (صليبا زخا) أنه كان من أهل الطيرهان و تعلم بالمدائن و أنه نصب فشيون الباجرمى أسقفا على الطيرهان. و بقى هذا الاسم مسـتعملا بعـد ذلك بدلالة ان الجاثليق النسـطورى سـرجيس رتب قيّوما تلميذه اسـقفا على الطيرهان و فى أيامه قتل المتوكل على اللّه العباسـى، و كان إيشو عزخا أسـقفا بالطيرهان فى خلافـة المعتمـد على اللّه العباسـىّ، و فى الربع الأول من القرن الخامس للهجرة كان إيليا الأول أسـقفا على الطيرهان، و فى أيام القائم بأمر اللّه العباسى كان مكيخا بن سليمان القنكانى أسقفا على الطيرهان، و كان نرسى أسقف هذه المنطقة فى بعض عهد الناصر لدين اللّه العباسى «۵۷۵- ۶۲۲ ه»، و قرض المغول الدولة العباسية سنة ۶۵۶ و كان عمانوئيل أسقفا على الطيرهان بعد هذا التاريخ. و فى بعض عهد الملك أبا قاخان ابن هولاكو (۶۶۳- ۶۸۰ ه) كان بريخيشوع مطرانها .

و ذكر مارى بن سليمان مؤرخ كرسى الفطاركة ما يفيد أن «الطيرهان» كانت معروفة بهذا الاسم قبل ۳۹۳ من تاريخ اسكندر المقدونى و هى السـنة التى توفى فيها مار مارى السـليح . فالتسـمية قديمة قد ترتقى إلى العصـر الآرامى و العصر اليونانى بالعراق، و استمرت الى أواخر القرن السابع للهجرة و لعلها بقيت الى اكثر منه، إلّا أنّ اسـمها مـذكور فى الكتب النصـرانية أكثر مما فى الكتب الاسـلاميّة، كما قدّمنا و نقلنا. و طيرهان فى صورته اللفظية أقرب الى اللغة الفارسية منه الى اللغات الساميّة، بالضد من سامرا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷

قدم السكن فى سامرا

كانت مدينة «أربيل» الحالية المعروفة فى التاريخ الاسـلامى بإربل و فى التاريخ الآشورى بأربيلا تعد أقدم بلدة مسكونة فى عصرنا هذا لاسـتمرار السـكن فيها من العصـر الأشورى الى اليوم و بعده، ثم ظهر فى أن سامرا هى القدمى فقد أثبتت التنقيبات الأثرية فى أطلالها أن موضعها كان آهلا منذ أدوار ما قبل التاريخ و قد كشف الأستاذ الآثارى الألمانى هرزفيلد فيها عن مقبرة من تلك الأدوار بين السنّ الصـخر و آثار العصر العباسى على نحو من ميل واحد من جنوب دار الخليفة أى دار العامة القائمة الأواوين الثلاثة، و عثر على نوع من الفخار المصـبوغ اطلق عليه اسم (فخار سامرا) و هو يمثل دورا من أدوار ما قبل التاريـخ المشار اليه آنفا و قـد سـمى (دور ثقافة سامرا) إضافة تماثيل عثر عليها فى تل الصوان فى الحفريات الأخيرة يرجع تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸

له إلى الموضع الأـثرى الـذى كشف فيه عن هـذا الفخـار أول مرة ثم عثرت مديريـة الآثـار العراقيـة على موضـعين آخرين فى سامراء يرتقى عصورهما إلى ذلك الزمن، أحـدهما فى شـمالى المقبرة المقـدم ذكرها و الآخر فى جنوبى سامرا على ضـفة دجلة فوق صـدر القـائم و يسـمّى تـل صوان و قـد جاء اسم هـذا الموضع فى الكتابات الآشوريـة بصورة «سـرمارتا Su -Ur -mar -ta و كان لهـذا الموضع فى أيام الفرس شأن كبير فى محارباتهم الرومان خاصّة و لقربه من النهر المعروف بالقاطول الكسروى أى القناة الكسروية » .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹

منطقة سامرا على عهد الساسانيين

اسـتطعنا أن نجد وصـفا لمنطقة سامرا على عهد الساسانيين فى رحلة الكاتب الرومى «أميانس مرقلانس» فقد رافق هذا الكاتب الحربىّ الانبراطور «يوليانس» فى حملته سنة ۳۶۳ م على بلاد الفرس فى عهد الملك «سابور الثانى» المعروف بذى الأكتاف، و قد سار الجيش الرومى من طريق حران فقرقيسيا و الفرات و استولى على حصن عانة و أحرق حصونا و قرى أخرى حتى بلغ مخلج الأنهار التى تتخلّج

من الفرات لتستقى مناطق بابل و منها نهر الملك و سمّاه «نهر ملكا» بالصيغة الآرامية و قال إنه يسقى المدائن «كتيزيفون» من الجهة الغربية بالبداهة، و كان الجيش الرومى دائم الازعاج للجيش الساسانى لأنه كان يردّ و يصدّ، و الجيش الرومى يسير موغلا فى البلاد حتى بلغ الأنبار المعروفة أيامئذ عند الروم باسم «پيرى سابور» أى فيروز سابور و قال إنها كبيرة محتشدة السكان، يحيط بها الماء كأنها جزيرة و كانت مسوّرة بسور مضاعف ذى أبراج و أضلاع و فى وسطها حصن مقام على قمة مسطحة لجبل صعب المرتقى، و كان الحصن محدّب الوسط فكان يشبه ترسا أرگوليّا و كان مدوّرا إلا من الجهة الشمالية، فقد كان يسدّ نقصانه من التدوير صخر قائم فى الفرات. و هو تحصين له أيضا، و كانت أفاريز شرف الحصن مبنيّة بالقير و الآجرّ، فحاصرها الانبراطور يوليانس فكان السكان لا يهابون قوّة السهام قد نشروا على السّور أبرادا مدلّاة و نسجا من الشعر، و كانوا هم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰

أنفسهم متترّسين بترسة من الخيزران جدّ وثيقة، و مغشّاه بجلود الدببة، فكان ذلك من أشدّ دفاع عن أنفسهم ، و أغنتهم عن إتخاذ وجوه من الحديد، و كانت أعضاؤهم مغشّاة بصفائح معدنيّة محكمة التلئيم عليها فهى تقى جميع أبدانهم، و بعد أن تراجعوا إلى حصنهم أخذوا يرمون بسهام خيزران ذات نصول من الحديد عن قسىّ كبار لا تنثنى إلا ببطء لكبرها ثم يرسلون الأوتار بعد نزع هائل من أصابعهم فأظهر الأنبراطور يوليانس كثيرا من الشجاعة فى هذا الحصار و لقى أذى فى بدنه فأمر بصنع مكينة تسمّى هليبول «دبّابة » فلما رأى المحصورون هذه الآلة استسلموا، فأمر الانبراطور باحراق الموضع كسائر المواضع المأهولة الأخرى.

و بعد أن سار أربعة عشر ميلا- وصل الجيش إلى موضع فيه مزارع قد أخصبتها مياه غزيرة، و كان الفرس قد علموا من قبل بوجهة طريقنا و زحفنا فكسروا سكور المياه فتبطّح الماء فى الأرض و غمرها فكأنها مستنقع واسع، فلذلك اضطررنا لصنع قناطر صغيرة من ظروف جلد المعزى، و قوارب من الجلود و جسور من جذوع النخل، و أكثر هذه البقاع مفروشة كرما و أشجارا مختلفة مثمرة أخرى، و النخل تكوّن فيها غابات طبيعية تمتد الى ميسان و البحر الكبير، كنا نرى أفنان الثمار فى كل مكان، و طلعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱

تكون فيه ثمرة و فيرة العسل- يعنى الدبس- و النبيذ، و قيل إن النخل يتزوج بعضها بعضا، و يستطاع تمييز النخلة الأنثى من الفحال بسهولة، و إن الاناث تلقّح بأن تذرّ بذور الفحاحيل عليها، و إنها تجد لذة نوعية فى ذلك، و الدلالة على هذا أنّ بعضها منحن نحو البعض الآخر بحيث لا- تفرّق بينها أعصف الرياح، و أن الأنثى إذا لم يؤثر فيها الفحال لا تحمل إلا طرح ثمر- يعنى الشيص- و إذا جهل الملقّح الفحّال الذى عشقته النخلة وجب رشّ بذر فحّال من الفحاحيل على جذعها، فاذا انتشت بهذه الرائحة الطيبة أظهرت أنها تريد الاقتران.

و قد مرّ جنودنا الروم بعدّة جزر فوجدوا فيها أقواتا كثيرة، و إذ لم ينفك الفرس يزعجون الامبراطور يوليانس، بلغ الجيش حيث يتشعّب قسم كبير من الفرات شعبا كثيرة فوضع النار فى مدينة هناك كان اليهود يسكنونها و لكنهم جلوا عنها لأن سورها كان خفيضا جدا. و تابع الامبراطور زحفه حتى وصل «ما أوك ملكا» و هى مدينة كبيرة و محفوفة بسور وثيق، إن هذه المدينة كانت محصنة جدا و فيها حصن مقام على هضبة من الصخر، المهندم ببروج ضخمة هائلة، فنصب عليها يوليانس آلات الحصار، و هرب الذين كانوا يسكنون فى ضواحيها إلى المدائن «كتيزيفون» فى جذوع منقورة مجوّفة و سوق أشجار كذلك، أو فى زوارق صغيرة، و نشبت الحرب بين الروم و الفرس ببسالة و حماسة و بشآبيب السهام و الجلاميد و المشاعل لموقدة و المطارق ذات الرأسين، و أعمل الروم منجنيقاتهم و عقاربهم الحربيّة و كباشهم الحصارية، فاستولوا على الموضع بعد معجزات من الشجاعة، و استعرص الانبراطور حامية المدينة بالسيوف حتى أتى عليهم صبرا، و كان ناس من السكان لاذوا بالمغاور و كانت المغاور كثيرة فى هذه النواحى فسدّ الرومان عليهم منافذ المغاور بالتبن و حطب الكرم و أوقدوا فيها النيران، فهلك أولئك التاعسون اختناقا داخل المغاور.

و واصل الجيش الرومى زحفه ظافرا حتى وصل إلى غياض و مزارع

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲

فيها غلّات و فيرة، و كان فيها قصر مبنى على الطراز الرومىّ فتركه الروم على حاله، و كان فى تلك الناحية بعينها حير و هو سور ضخم مدوّر، قد أنشىء للاستراحات الملوكيّة، و قد رأينا فيه حيوانات وحشيّة و أسودا ذات ذوائب و خنازير ذات أنياب قويّة، و دببة كالتى تكون فى بلاد الفرس، مفترسة بحالة تفوق التصوّر و كان فى الحير حيوانات أخرى عظيمة الخلقة، فكسر الفرسان الروم أبواب الحير و قتلوا حيواناته ضربا بالسيوف و رميا بالنشّاب. و كانت الأرض خصبة و محسنة الزرع و الاستغلال و كانت مدينة «كوثى» و تسمّى أيضا «سلوقية» غير بعيدة عن ذلك الموضع، فاجتاز الانبراطور يوليانس هذه المدينة المتروكة و كان «ويرس» قد أخربها، و كان هناك عين ماء جارية، قد أحدثت مستنقعا واسعا، يصبّ ماءه فى دجلة، فرأى يوليانس عندها ناسا كثيرا معلّقين على المشانق، و كانوا ذوى قرابة الجنود الفرس الذين استسلموا و أسلموا «فيروز سابور» إلى الروم.

و من هنالك انتهى الروم الى شواطىء نهر ملكا الجنوبيّة و كان «تراجان و سيقين» الأنبراطوران الروميان قد وسّعا مجراه بالكرى و الحفر ليكون قناة عريضة، آخذة مياهها من الفرات و حاملة السّفن الى دجلة، و كانت القناة جافّة إذ ذاك و مردومة فى بعضها بحجارة كبيرة، فأمر يوليانس بكسح الرّدم، فجرى فيها الماء فى الحال، و استطاع الجيش الرومى أن يعبر فى سفنه الى الضفة الأخرى من دجلة على مرتفعات «كتيزيفون»، و ما كاد ينزل يوليانس فى الضفة الأخرى حتى اختار للجيش موضع استراحة فى حقل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳

خصيب زانته شجيرات و كروم و أشجار السّرو و الخضرة النضرة، و كان فى وسط الحقل قصر للتنزّه و ارف الظلال، قد زينت جميع أقسامه بتصاوير تزويقيّة مستحسنة، تمثل الملك فى صيده قاتلا حيوانات وحشية، ذلك لأن الفرس لا يصورون و لا ينحتون إلا مناظر المذابح و مشاهد الحرب.

و بالقرب من «كتيزيفون» أدار الانبراطور رحى حرب طحون هزم فيها الفرس- و على حسب وصف أميانس للعدو أى الفرس يعترف الانسان بصدق المنحوتات و التصاوير التى فى خورص آباد ففيها صور فيلة- إن الأنبراطور الظافر طارد العدو حتى سور «كتيزيفون» إلا أنّه عدل عن حصارها لأمرين أحدهما هو أنّها متعذّرة الفتح و الآخر هو أن الملك سابور (الثانى) قد اقترب من جيش الروم فى جيش عرمرم فأحرق يوليانس سفنه و ابتعد عن دجلة، للتوغل داخل البلاد، فأحرق الفرس بيادر حصادهم ليهلكوا بالقحط، فلم يجد يوليانس فى آخر الأمر بدّا من النكوص، و فكّر فى أىّ طريق يسير؟ أينكص من موضعه هذا بمروره فى بلاد «أقور» أى آشور محاذيا الجبال أم يتقدم فى نواحى «كوردوين» فيعيث فى «شيلوكوم» إن العرّافين لم يشيروا بهذا و لا بذلك، على أن الأنبراطور سار فى جيشه «فى اليوم السادس عشر من حزيران سنة ۳۶۳ م» متقدما نحو أصقاع «كوردوين» و فى ذلك اليوم هب إعصار من التراب أشعرنا باقتراب قطعان من حمر الوحش أى الفراء ، و هى كثيرة الوجود فى هذه الأصقاع، و كانت قد تجمّعت على ذلك النحو لتقاوم هجمات الأسود، فاستراح الجيش يومين عند القصر الصيفى «همبرا» فهناك وجد كثيرا من الأقوات ثم استأنف السّير و بعد أن قطع سبعين استادا بلغ مارنكا». قال أميانس: و لما تبلج

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴

الصبح بان لنا جحفل كبير من الفرس يقودهم «ميرين» أى مهران مقدّم الفرسان مع ابنين من أبناء الملك سابور و جماعة كثيرة من الأشراف و كانت هذه الفرق مدجّجة الصدور بالحديد و كل أعضائها مغشّاة بالصفائح المعدنيّة المعدنيّة التامّة التطبيق على المفاصل، و قد غشّوا رؤوسهم بأغشية تشبه الوجوه البشرية و هى من الصلابة و القوّة و من كونها حرشفيّة الشكل بحيث لا تنفذ فيها السهام إلا من وصاوص العيون، فالذين يقاتلون بالحراب كانوا ثابتين لا يتحركون من مواضعهم كأنّهم مربوطون بالسّلاسل النحاس و كان بالقرب منهم الرّماة، و كانوا يبرزون سواعدهم و ينزعون فى قسيّهم المتأطّرة السهلة الانحناء بحيث تمسّ الأوتار حلمات ثنداواتهم اليمن على حين يمسكون بأيديهم اليسر نصال السّهام الخيزران فتطير و لها صفير و تحدث جروحا خطرة، و وراء الرّماة كانت الفيلة

مجهزة بأجهزة حربية فخمة، و كانت خراطيمها الرهيبة تنشر الهول و تبث الرعب و خصوصا فى الخيل و ذلك بصبّيها و نئيمها و رائحتها و منظرها المستغرب. و كان فيّالوها يحملون بأيديهم اليمن سكاكين ذات نصب، كانوا استعملوها منذ الهزيمة التى أصابتهم بازاء نصيبين، فاذا هاج هذا الحيوان عصى فيّاله، و لمنعه من أن يطأ الجيش بارتداده و يسحقه بدلا من أن يعينه يقتله الفيّال بأن يغرز المدية بشدّة فى المستوى الأفقى من الفقارة للفقارة التى تصل بين الرقبة و الرأس.

إن التجربة أثبتت للقائد «هاسدرو بعل» أخى «هنّى بعل» أنه على هذا النحو يستطاع قتل هذا الحيوان قتلا وحشيّا.

و إذ كان من عادة الفرس أن يقاتلوا أعداءهم على بعد لم يثبت الجيش الفارسى لصدمة الجيش الرومى، فتهارب جنودهم كالمطر تفرّقه الريح،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵

و كانوا فى أثناء هربهم يرشقون بسهام إلى ورائهم لكى يمنعوا الروم من أن يتعقبوهم. و بعد هذه الوقعة استراح الجيش الرومى ثلاثة أيام، و فى أثناء هذه الفترة ارتاع الانبراطور يوليانس من خوارق سماوية نارية و شهب هاوية راجمة، فقوّض خيام جيشه باليوم الرابع للرحيل، و واصل سيره محترزا الاحتراز المألوف. فلم يلبث أن أنبىء بأنّ ساقة الجيش قد هجم عليها الفرس فأخذ ترسا و أسرع إلى الجانب المهدّد من الجيش و لم يلبس درعا، و فى ذلك الوقت أيضا هجمت على قلب جيشه فرقة من الفرس «الفرثيين» مسلحة بكل سلاح، و فى وسط هذه الملحمة أصابته ضربة مزراق نفذت الى كبده من خلال الضلوع فانتزعه مى كبده بعد أن انقطعت أوتار أصابعه لعسر انتزاعها عليه، فحمل مرتثّا إلى المخيّم و فيه ضمّدوا جرحه، و لما شعر بتناقص الألم امتطى هذا الأنبراطور المقدام فرسا و لكن خور قوّته خان شجاعته، فانتقض جرحه، و نزفه دم كثير، فحمل ثانية إلى المعسكر و هناك أسلم روحه بعد أن نطق بهذه الأقوال البديعة:

«أنا غير نادم على شىء، و لا آسف على شىء أتيته سواء فى ذلك زمن نفيى و زمن أخذى بزمام الحكم فى الانبراطورية، فأنا تسلمتها من الخالدين وديعة و افتخر بأنى حافظت عليها نقيّة، و ذلك بالحكم فيها باعتدال بحيث لم آت أو لم أؤيد الحرب قط الا بعد اختبار نضيج، فان كانت الغلبة أو الفائدة التى كنت آملها لم تناسب ما كنت انتظره فان الحوادث من صنع الآلهة، و إيمانى بأن الحكومة العادلة ليست لها غاية سوى منفعة شعبها و سعادته، كنت و أنتم تعلمون ذلك، كثير الميل إلى السّلام. و قد نزهت سيرتى عن الاباحة الخلقية المخربة و الاباحة المبيدة فى الأشياء، إن الجمهورية التى عددتها دائما أمّا حاكمة عرّضتنى للخطر فى كل ناحية من نواحيها، فصمدت إليه بسرور

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶

و تعودت ازدراء سخط الحظ، و للناس الحق فى أن يعدّوا من يريد الموت، حين يجب أن لا يراد، جبانا نذلا، و كذلك من يخافه حين ينبغى أن يتقبّله برضا، إن قوّتى لا تعيننى على أن أقول أكثر من ذلك، لقد تعمدت أن لا أسمى أحدا لولاية الحكم بعدى، إن أكن مستطيعا أن لا- أعيّن من هو الأحق بالحكم، أو أسمّى الأجدر به معرّضا له لأعظم خطر بهذا التفضيل فانى مع ذلك كالولد الشفيق الذى يتمنّى أن تجد الجمهورية لنفسها رئيسا تراه أهلا لها بعد موتى.

قال أميانس مرقلانس: فهل فى العالم كثير من الرؤساء يستطيعون أن يقولوا كهذه الأقوال؟ و لما مات يوليانس لم يكن له من العمر إلا اثنتان و ثلاثون سنة كعمر الاسكندر فى بابل، إن الموضع الذى هلك فيه ينبغى أن يكون قريبا جدا من بغداد .

و انتخب الجيش الرومى يوينيانس لرئاسة الانبراطورية بعد حدوث عدّة دسائس، فعقد معاهدة مخزية مع ملك الفرس سابور المذكور التزم فيها الروم أن يردوا على الفرس فيما يردون الأصقاع الخمسة فى غربى دجلة و هى الأرزن و ماكسين و زبديسين و رهيمين و كورداسين، و كانت مدة الصلح ثلاثين سنة، و كان من شروط هذه المعاهدة أن يتخلى الروم عن جميع فتوحهم فيما بين النهرين حتى نصيبين، فنقل سكانها إلى آمد، إن ارتداد الجيش الرومىّ يحتوى على قليل من الأحداث المعتبرة، إن عدّة إشارات خططيّة، مستحقّة

للتدقيق من حيث الصحة، إلى المواضع، يمكن لها فى سهولة و يسر، تعرّف طريق الروم فى ذلك النكوص، فبعد انتخاب «يوينيانس» بلغ الجيش قبيل المساء و الفرس يزعجونه دائما، حصن «سوميز» Sumeze فهناك

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷

اتصل به أشراف خدمة القصر الجمهورى و كانوا قد التجأوا إلى حصن «وكّات». و فى اليوم التالى لهذا اليوم خيّم الرومان فى واد يبدو للناظر محوّط بسور و ليس له إلا- مخرج واسع بعض السعة، فغرز الجيش فيه، كما يدور، أوتادا مؤلّلة الرؤوس، و بالليلة التالية لذلك اليوم خيّم الجيش فى «كرخا» و كان حيالها باشورات من التراب أى حواجز ترابيّة، فى طفوفها الشاطئية لمنع العرب من العدوان على بلاد آشور، ثم سار الجيش ثلاثين استادا فوصل إلى «دور» ، و هى مدينة فلبث فيها أربعة أيام، و فى أثناء هذه الاقامة عبرت بالليل نهر دجلة من الجيش كتيبة ثقيلة مؤلفة من رجال سبّاحين، و هزمت العدوّ الموكل بحفظ ضفة النهر، هذه الضربة ضربها الجيش الرومىّ فى أثناء زيادة الماء خاصّة، لأن الوقت كان فائظا، و سرعان ما عبر الجيش كله فمنهم من عبر بانحراف سباحة و عوما و منهم من عبره على زقاق المعزى و آخرون حاولوا قيادة الكراع أى حيوانات النقل، فكانوا يعومون هنا و هناك على إبّالات من الصفصاف، و آخر الأمر أنهم بلغوا الضفّة اليمنى لدجلة، عدا الذين هلكوا فى هذه العبرة . و بعد مسيرة سريعة وصل الجيش الى «حضرا» أى الحضر، مدينة عتيقة قائمة فى صحراء و مهجورة منذ زمن بعيد، و كان الانبراطور «تراجان» و الانبراطور «سيفير» حاولا تدميرها فهلكا مع جيوشهما. قال أميانس: و علمنا أن طول هذا السهل الفاصل سبعون فرسخا، فليس فيه إلا ماء ملح آسن و لا طعام إلا القيصوم و الشّيح و اللوف و أعشاب أخرى قليلة التشهية. و فى آخر مسيرة كان أمدها ستة أيام لم نجد

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸

شيئا حتى العشب، و لحسن حظّنا التحق بنا فى حصن «أور» الاطربون موريتيوس و دوق ما بين النهرين كاسين و أنقذانا من الجوع بما جاءا به إلينا من الأزواد، و لكنها سرعان ما نفدت و كدنا نأكل اللحوم البشرية لو لم يبق معنا لحم الحيوانات التى قتلناها بعض الزمان، و مع ذلك تابع الجيش سيره، فبلغ بعد أن كابد كثيرا من الجوع «تيسالفاتا» و من ثمّ وصل إلى نصيبين و فيها انتهت الأسواء التى أصابته، ثم دفن «پروكوپ» جثة الانبراطور يوليانس فى ربض «تارز» على حسب مراده. و توفى يوينياس بعد برهة قصيرة فى دودستان على سنكاريوس، المدينة التى تفصل «بثينى» «عن كلاتى» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹

ديارات سامرا و القاطول الكسروى

اشارة

كانت ديارات سامرا و نواحيها أقدم المواضع المسكونة قبل إنشاء المعتصم باللّه مدينته الجديدة فيها و كانت الديارات كما هو معلوم تقام على ضفاف الأنهار الكبيرة و القنوات، و لذلك كان القاطول الكسروىّ أقوى أسباب السكن هناك و أدعى الدواعى إلى إنشاء الديارات فلا- حياة بغير ماء و لا نبات، قال ابن رافيون فى معرفة الأنهار التى تحمل من دجلة و إليها تصب: «و يحمل منها أيضا من شرقيها (القاطول الأعلى الكسروى) أو له أسفل من دور الحارث بشىء يسير، مماسّ لقصر المتوكل على اللّه المعروف بالجعفرى و عليه هناك قنطرة حجارة ثم يمرّ إلى الايتاخية و عليه هناك قنطرة كسروية ثم يمر الى المحمدية و عليه هناك جسر زواريق ثم يمرّ إلى الأجمة: قرية كبيرة ثم يمرّ الى الشاذروان ثم يمر إلى المأمونية و هى قرية كبيرة ثم يمر الى القناطر. و هذه قرى عامرة و ضياع متصلة ثم يمرّ إلى قرية يقال لها (صولا) و باعقوبا و يسمّى هناك

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۰

تامرّا ثم يمرّ إلى باجسرا و يجيء إلى الجسر المعروف بجسر النهروان و يعرف النهر هناك بالنهروان ثم يمرّ الى الشاذروان الأعلى ثم يمرّ إلى جسر بوران ثم يمرّ الى عبرتا ثم إلى برزاطية ثم إلى الشاذروان الأسفل . و هذه قرى و ضياع جليلة، ثم يمر الى إسكاف بنى الجنيد و هى مدينة فى جانبين و النهر يشقها ثم يمرّ بين قرى متصلة و ضياع مادة إلى أن يصب فى دجلة أسفل ماذرايا بشيء يسير فى الجانب الشرقى» .

و قال ياقوت الحموى: «القاطول فاعول من القطل و هو القطع ...

اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة و هو نهر كان فى موضع سامرا قبل ان تعمر كان الرشيد أول من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرا و سمّاه (أبا الجند) لكثرة ما كان يسقى من الأرضين و جعله لأرزاق جنده ... و فوق هذا القاطول (القاطول الكسروى) حفره كسرى أنو شروان العادل، يأخذ من جانب دجلة فى الجانب الشرقى أيضا و عليه أيضا شاذروان فوقه يسقى رستاقا بين النهرين من طسّوج بزرج سابور و حفر بعده الرشيد هذا القاطول الذى قدمنا ذكره تحته مما يلى بغداد و هو أيضا يصب فى النهروان تحت الشاذروان قال جحظة البرمكى يذكر القاطول و القادسية المجاورة لها:

ألا هل الى الغدران و الشمس طلقةسبيل و نور الخير مجتمع الشمل؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۱ و مستشرف للعين تغدو ظباؤهصوائد الباب الرجال بلا نبل

إل شاطىء القاطول بالجانب الذىبه القصر بين القادسية و النخل

إلى مجمع للطير فيه رطانةيطيف بها القنّاص بالخيل و الرّجل

فحانة مرعبد اليهودى إنّهامشهّرة بالراح معشوقة الأهل

و كم راكب ظهر الظلام مغلّسإلى قهوة صفراء معدومة المثل

إذا نفّذ الخمار دنّا بمبزلتبينت وجه السكر فى ذلك البزل

و كم من صريع لا يدير لسانهو من ناطق بالجهل ليس بذى جهل

ترى شرس الأخلاق من بعد شربهاجديرا ببذل المال و الخلق السهل

جمعت بها شمل الخلاعة برهةو فرّقت مالا غير مصغ إلى عذل

لقد غنيت دهرا بقربى نفيسةفكيف تراها حين فارقها مثلى» ؟

و قد ورد ذكر القاطول فى شعر على بن الجهم و البحترىّ و غيرهما و فى عدة تواريخ .

و القاطول الكسروى له صلة بنهر يكاد يكون خياليا لأن اسمه يعنى كل انكسار كان يحدثه الفيضان فى ضفته اليسرى، قال ياقوت: «القورج:

بالضم ثم السكون وراء مفتوحة و جيم، هو نهر بين القاطول و بغداد منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق. و كان السبب فى حفر هذا النهر أن كسرى لما حفر القاطول أضرّ ذلك بأهل الأسافل و انقطع عنهم الماء حتى افتقروا و ذهبت أموالهم، فخرج أهل تلك النواحى إلى كسرى يتظلمون إليه مما حل بهم، فوافوه و قد خرج متنزها، فقالوا: أيها الملك إنّا جئنا نتظلم. فقال:

ممّن؟ قالوا: منك، فثنى رجله و نزل عن دابّته و جلس على الأرض،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۲

فأتاه بعض من معه بشيء يجلس عليه، فأبى و قال: لا أجلس إلا على الأرض إذ أتأنى قوم يتظلمون منّى. ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا: حفرت قاطولك فخرّب بلادنا و انقطع عنا الماء ، ففسدت مزارعنا و ذهب معاشنا. فقال:

إنى آمر بسدّه ليعود اليكم ماؤكم. قالوا: لا نجشّمك أيها الملك هذا فيفسد عليك اختيارك و لكن مر أن يعمل لنا مجرى من دون

القاطول. فعمل لهم مجرى بناحية القورج يجرى فيه الماء، فعمرت بلادهم و حسنت أحوالهم، و أمّا اليوم فهو بلاء على أهل بغداد فانهم يجتهدون فى سدّه و احكامه بغاية جهدهم، و إذا زاد الماء فأفرط بثقه و تعدّى إلى دورهم و بلدهم فخرّبه».

و اختصر ابن عبد الحق كلام ياقوت و لم يعقب عليه و لا ذكر فوهة نهر القورج أين كانت فيما بين القاطول و بغداد و لا كون هذا النهر جاريا أو مندرسا أو مندفنا فى زمانه بخلاف عادته مع أنّه لما ذكر وصف ياقوت للقاطول الكسروى عقّب عليه باستحالة امتداده إلى نواحى بغداد كما زعم ياقوت، و قد نقلت ذلك التعقيب فى حاشية سابقة. و العجيب فى أمر هذا النهر الخيالى أنه لم يرد ذكره فى تاريخ سوى من نقل من معجم ياقوت الحموى و منهم مؤلف عجائب المخلوقات «ص ۱۶۳». و مؤلف جريدة العجائب «ص ۱۱۱» و مؤلفات المراصد من التواريخ و لا ذكرت عليه قرية من القرى و لا ضيعة من الضياع و لا رآه جغرافى و لا بلدانى و لا سائح من القدامى و لا من المتأخرين، و كل ما ذكر من أخباره أنه انكسار عام فى ضفة دجلة، ليس له موضع معلوم و لا مجرى خاص، و يسمّى بالعربية «البثق» قال ابو الفرج بن الجوزى فى حوادث سنة ۴۶۱؛ «و فى جمادى الأولى بلغت زيادة الماء إحدى و عشرين ذراعا و ثلثين و بلغ إلى الثريّا ، و فجّرت (بثقا)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۳

فوق الدار المعزّية و بلغ الماء الى مشهد النذور و مشهد السبتى » فهذا البثق كان يسمّى باصطلاح ذلك العصر «القورج» و قد سمّاه المؤرخ نفسه بعد ذلك «القورج» قال فى حوادث سنة ۴۶۶: «و فى جمادى الآخرة ورد الحاجب السليمانى من عكبرا فدخل الديوان، فرسم له تدارك القورج الذى هو فوق الدار المعزّية و كانت دجلة قد زادت زيادة مفرطة و اتصل المطر بالموصل و الجبال و نودى بالعوام أن يخرجوا معه لذلك. فخرج من الديوان و أراد قصد الموضع فرأى الماء قد حجز بينه و بين الطريق، فرجع إلى دار المملكة وجلا و جمع زواريق و طرح فيها رحله ليعبر فيهرب ...».

فقوله «القورج الذى هو فوق الدار المعزية» يدل على أنّ القورج لم يكن واحدا و أنه اسم جنس عام، و أنه بثق يجوز أن يحدث فى كل موضع من الضفة يثلمه الماء و مما نذكره هنا للبرهنة على ذلك أن أبا الفرج ابن الجوزى قال فى حوادث سنة ۴۸۹: «و فى هذه السنة حكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح ... فقبل ما يجتمع فى بلد ما يجتمع فى بغداد و ربّما غرقت فتقدّم باحكام المسنيات و المواضع التى يخشى منها الانفجار، و كان الناس ينتظرون الغرق» . و قال ابن تغرى بردى فى كلامه على هذه الحادثة:

«فأمر الخليفة بأحكام المستيّات و سد القوارج و كان الناس يتوقعون الغرق ».

فقوله: «و سد القورج أو القوارج» يفسّره قول ابن الجوزى «بأحكام المسنيات و المواضع التى يخشى منها الانفجار». و هذا المؤرخ نفسه يقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۴

فى حوادث سنة ۵۱۶: «و فى هذه السنة زاد الماء حتى خيف على بغداد من الغرق و تقدّم الى القاضى أبى العباس بن الرّطبى بالخروج الى القورج» و مشاهدة ما يحتاج إليه، و لهذا (القورج) الذى غرق الناس منه فى سنة ست و ستين (و أربعمائة) تولى عمارته نوشتكين خادم أبى نصر بن جهير و كتب اسمه عليه و ضرب عليه خيمة و لم يفارقه حتى أحكمه و غرم عليه ألوف دنانير من مال نفسه ... و فى يوم الاربعاء رابع عشر صفر مضى الوزير أبو على بن صدقة و معه موكب الخليفة الى القورج و اجتمع بالوزير ابى طالب و وقفا على ظهور مراكبهما ساعة ثم انصرفا» .

و قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ۴۶۶ المذكورة آنفا: «فى جمادى الأولى زادت دجلة زيادة عظيمة لم يعهد مثلها و أمر الخليفة العوام بالخروج مع الحاجب (السليمانى) أيتكين إلى عمل القورج، فخرجوا، و إذا بالماء قد أقبل مثل الجبال، فرجع أيتكين و الناس، و جمع الزواريق و جعل فيها رحله و رحل أصحابه ...» ثم قال: «و انكسر القورج على دار الخلافة و صار كالبحر ثم جاء من

ناحية الجانب الغربى من الفرات» فتأمل قوله:

«ثم جاء من ناحية الجانب الغربى من الفرات» لتتحقق انه أراد مطلق انبثاق سد الماء أو ضفة النهر فى أى موضع كان. و قال عز الدين ابن الأثير فى حوادث السنة المذكورة- أعنى سنة ۴۶۷-: «فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى و بعض الغربى من بغداد و سببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة و انفتح القورج عند المسناة المعزية و جاء فى الليل سيل عظيم و طفح الماء من البريّة مع ريح شديدة و جاء الماء الى المنازل من فوق، و نبع من البلاليع و الآبار بالجانب الشرقى و هلك خلق كثير تحت الهدم ...» .

و قال العماد الأصفهانى فى حوادث سنة ۵۵۴: «و عند عودة المقتفى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۵

غرقت بغداد و ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ۵۵۴ و ذلك لأن الماء زاد فى تلك السنة على خلاف عادته و تهوّر بثق القورج و تقوّر و غلب و بلغ السور من صوب الظفريّة و تسوّر و طاف بتلك النواحى طوفان نوح ... و ركب الوزير و أرباب الدولة فصدّوه و سدّوه» .

و قال أبو الفرج إبن الجوزى فى حوادثها: «و فى ثامن عشر ربيع الأول كثر المدّ بدجلة و خرق القورج و أقبل الى البلد و امتلأت الصحارى و خندق السور و أفسد الماء السّور ففتح فتحة ... » ثم قال فى حوادث سنة ۵۶۹: «و فى غرة رمضان زادت دجلة زيادة كبيرة ... ثم زاد الماء فى يوم الأحد عاشر رمضان فزاد على كل زيادة ...

و تقدم بالعوام (أن) يخرجوا بالوعاظ الى القورج ليعملوا فيه فخرجنا و قد انفتح موضع فوق القورج بقرية يقال لها الزورتقية و جاء الماء من قبله فتداركه الناس فسدوه و بات عليهم الجند و تولى العمل الأمير قيماز بنفسه وحده ثم انفتح يومئذ بعد العصر فتحة من جانب دار السلطان و ساح الماء فملأ الجواد ثم سدّ بعد جهد»،

و قال عز الدين بن الأثير فى حوادث سنة ۵۵۴: «فى هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة فى دجلة و خرق القورج فوق بغداد و أقبل المدّ إلى البلد فامتلأت الصحارى، و خندق البلد و أفسد الماء السور» . ثم قال فى حوادث سنة ۵۶۸: «فى هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت بها بغداد على الغرق فى شعبان ... و اشتغل الناس بالعمل فى القورج ثم نقص و كفى الناس شرّه » ثم قال فى حوادث سنة ۵۶۹: «و زادت دجلة زيادة عظيمة و كان أكثرها ببغداد ... و خاف الناس الغرق و فارقوا البلد و أقاموا على شاطىء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۶

دجلة خوفا من انفتاح القورج و غيره، و كانوا كلما انفتح موضع بادروا بسدّه» ، و جاء فى كتاب آخر: «ثم إن دجلة زادت زيادة عظيمة فى سنة أربع و خمسين فى خلافة المقتفى لأمر اللّه و انفتح القورج و احاط بالسّور » و ورد فى مختصر الدول فى حوادث سنة ۵۵۴: «و فى سنة أربع و خمسين (و خمسمائة) ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة فى دجلة و خرج القورج بغداد فامتلأت الصحارى و خندق البلد و وقع بعض السّور ».

و قال عز الدين ابن الأثير فى حوادث سنة ۶۱۴: «و فيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها و أشرفت بغداد على الغرق، فركب الوزير و كافة الأمراء و الأعيان و جمعوا الخلق العظيم من العامة و غيرهم لعمل القورج حول البلد و قلق الناس لذلك و انزعجوا و عاينوا الهلاك و أعدّوا السفن لينجوا فيها» ، ثم قال فى حوادث سنة ۶۲۳: «و فيها فى ربيع الأول زادت دجلة زيادة عظيمة و اشتغل الناس باصلاح سكر القورج و خافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الأولة ثم نقص الماء و استبشر الناس» .

و جاء فى حوادث سنة ۶۴۶ لمؤرخ ينقل من تاريخ ابن الساعى: «و فى السابع و العشرين من شوال زادت دجلة زيادة عظمية و أغرقت بالجانب الغربى الدور و الدكاكين و المساكن و الحمامات ... و أمر الخليفة على نائب المخزن بملازمة القورج و إحكامه، و أطلق من الديوان ذهب لاقامته الرجال و لزوم العمل ليلا و نهارا و خرج الوزير فى غرّة ذى القعدة مسرعا قاصدا للقورج و تتابع خروج الناس فى أثره و نزل عن مركوبه و حمل باقة حطب و سار إلى آخر القورج و نبّه الناس على المواضع المستضعفة منه و نقص الماء فى ذلك اليوم أربع أصابع» . و جاء فى كتاب الحوادث فى الحادثة نفسها: «و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۷

من حيث تزايد الماء فى دجلة تقدّم باحكام القورج و خرج الوزير ابن العلقمى إلى هناك و نزل عن فرسه و حمل باقة حطب فوافقه كافة الناس و اشتد العمل فاتفق أن دجلة نقصت» . و قال الخزرجى فى حوادث سنة ۶۵۲ ناقلا أيضا: «و فى شهر ربيع الأول انفتحت فتحة فى القورج أغرقت قرية يحى و ما يجاورها ثم انفتحت فى السبت فتحة أخرى أغرقت عدة نواح بنهر عيسى و نهر الملك ثم زادت الفرات زيادة جاوزت المقدار المعتاد» .

و جاء فى الحوادث فى سنة ۶۵۴: «فى هذه السنة زادت دجلة زيادة عظيمة و انفتح فى القورج فتحة كبيرة عجز من يتولاها عن استدراكها فركب الوزير و كافة الولاة معه و أخذ الوزير فى يده باقة شوك، ففعل سائر العالم مثل ذلك و لم يقع التمكن من سدّها فتركت و انهزم الناس كلهم و الماء فى أثرهم و أحاط ببغداد ». و قال الخزرجى فى حوادث سنة ۶۵۴: «و زادت دجلة إزيادة أغرقت الجانب الغربى و وقع به دور كثيرة و انفتح فى القورج بعد حكامه فتحة عظيمة و منع الناس من تداركها، و توالت الأهوية و خرج الوزير و كافة الناس و أرادوا سدّ الفتحة فتعذر الوصول إليها» .

و قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ۶۷۴: «و فيها زادت دجلة و غرق ببغداد عدّة أماكن و انفتح فى القورج فتحة عظيمة، فخرج علاء الدين صاحب الديوان و كافة الولاة و الأكابر و العوام و أخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق أحد الا فعل مثله و نزل الصاحب و عمل بيده و تكاثر الناس و تساعدوا فاستدركوها و سدّوها» .

و ورد فى حوادث سنة ۷۶۵ ه، أن الخواجة أمين الدين مرجان بن عبد اللّه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۸

نائب السلطان أويس إبن السلطان الشيخ حسن الكبير ببغداد «قد فتح سدود دجلة فأغرق أطراف بغداد لمسافة أربع ساعات، فقد كسر سد القورج و قطع الطريق، فلم يتمكن السلطان أويس من الاستيلاء على البلد و مضت أيام و الوضع فى توقف و لم يتيسر الأمر» .

و مما يدل على شيوع اسم القورج أنه كان بالقرب من واسط موضع يعرف بباب القورج منذ العصر الأموى فقد جاء فى حوادث سنة ۱۲۷ فى حرب الخوارج ما هذا نصه «فشدّ منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحّاك كان عظيم القدر فى الشراة يقال له عكرمة بن شيبان فضربه على باب القورج فقطعه باثنين فقتله» . و ذكر المقريزى أن عبد اللّه بن ميمون القداحى- اعنى عبد اللّه- «كان أصله من موضع بالأهواز يعرف بقورج العباس» .

و قال الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال- رح-: «لم أجد فى المراجع التى بين يدى تعريفا لموضع هذا البلد ». قلت ذكره الطبرى فى حوادث سنة ۲۵۸ فى أخبار صاحب الزنج و قتل صاحبه يحى بن محمد البحرانى، و يفهم من النص التاريخى أنه كان فى نواحى البصرة لا فى الأهواز قال:

«فلما قربوا من نهر العباس جعل يحى بن محمد سليمان بن جامع على مقدمته فمضى يقود أوائل الزنج و هم يجرون سفنهم يريدون الخروج من نهر العباس و فى النهر للسلطان شذوات و سميريات تحمى فوهته من قبل أصغجون و معها جمع من الفرسان و الرجالة فراعه و أصحابه ذلك، فخلّوا سفنهم و ألقوا أنفسهم فى غربى نهر العباس و أخذوا على طريق الزيدان ماضين نحو عسكر الخبيث و يحى غارّ بما أصابهم، لم يأته علم شيء من خبرهم و هو متوسط عسكره و قد وقف على قنطرة قورج العباس» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۳۹

دير سامرّا

و الآن نشرع فى ذكر ديارات سامرا العتيقة فقد كانت أقدم زمانا من «سامرا المعتصم» و المألوف فى انشاء الديارات أن تكون على

ضفاف الأنهار و القنىّ فى الأرضين الخصبة لتسهيل العيش على الرهبان و الراهبات، و القدرة على القيام بضيافة المضطرين من أهل الأسفار و الطرّاء و المنقطعين، فأول دير نذكره هو «دير سامرا» فانّا لم نجد له اسما و لكننا وجدنا له ذكرا فى الأخبار فقد ذكر جماعة من المؤرخين أن المعتصم اشترى ديرا بسامرا و بنى فى أرضه و صار هذا الدير بعد إنشاء دار العامة فى أرضه «بيت المال» و لكنهم لم يذكروا اسم هذا الدير الشائع أيامئذ و لا اسمه الحقيقى فمن الديارات ما كان يشيع له اسم غير اسمه الحقيقى بسبب قوى من أسباب الشيوع، قال اليعقوبى و هو و البلاذرى أقدم من أرّخ إنشاء سامرا المعتصم: «و خرج المعتصم الى القاطول فى النصف من ذى القعدة سنة (۲۲۰) فاختط موضع المدينة التى بناها و أقطع الناس المقاطع وجدّ فى البناء حتى بنى الناس القصور و الدور و قامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول إلى (سر من رأى) فوقف فى الموضع الذى فيه (دار العامة) و هناك (دير) للنصارى فاشترى من أهل الدير الأرض و اختط فيه و صار إلى موضع القصر المعروف بالجوسق على دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد و الكتاب و سمّاها بأسمائهم» . و قال فى كتاب البلدان: «قال أحمد بن أبى يعقوب: كانت سرّ من رأى فى متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها و كان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة و صار الدير بيت المال» و كرّر الحديث عودا على بدء فقال: «ثم ركب المعتصم متصيدا فمرّ فى مسيره حتى صار إلى موضع (سرّ من رأى). صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها و لا انيس فيها إلا دير للنصارى فوقف بالدير و كلّم من فيه من

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۰

الرهبان و قال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد فى كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى (سرّ من رأى) و أنه كان مدينة سام بن نوح و أنه سيعمر بعد دهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها و ينزلها ولده ...» .

و جاء فى تاريخ الطبرى «ذكر عن أبى الوزير أحمد بن خالد أنه قال:

بعثنى المعتصم فى سنة ۲۱۹ و قال لى: يا أحمد اشتر لى بناحية سامرّا موضعا ابنى فيه مدينة فانى أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلون غلمانى، حتى أكون فوقهم فان رابنى منهم ريب أتيتهم فى البرّ و البحر حتى آتى عليهم.

و قال لى: خذ مائة ألف دينار. قلت: آخذ خمسة آلاف دينار فكلما احتجت إلى زيادة بعثت اليك فاسترزت. قال: نعم. فأتيت الموضع فاشتريت سامرّا بخمس مئة درهم من النصارى أصحاب الدير و اشتريت موضع البستان الخاقانى بخمسة آلاف درهم و اشتريت عدّة مواضع حتى أحكمت ما أردت ثم انحدرت فأتيته بالصكاك فعزم على الخروج إليها فى سنة (۲۲۰) فخرج حتى إذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب و المضارب و ضرب الناس الأخبية ثم لم يزل يتقدم و تضرب له القباب حتى وضع البناء بسامرّا فى سنة ۲۲۱» .

فهذا الخبر يؤكد وجود الدير و ابتياع المعتصم له و لمرافقه و ثبت وجود عمران فى تلك البقعة لا كونها صحراء لا عمارة بها و لا أنيس كما زعم اليعقوبى و إنما كانت هناك قرى منشأة على الأنهار كالقاطول الكسروى و فروعه.

و لم أجد فى المراجع النصرانية و لا كتاب الديارات للشابشتى و لا غيره

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۱

من الكتب التى أرّخت الديارات ذكرا لدير سامرا، كما سميته انا، فمارى ابن سليمان مؤرخ الفطاركة النساطرة و هم اهل المذهب النصرانى الغالب بالعراق أيامئذ يقول: «و فى السنة الثانية من خلافة المعتصم وقع الحريق ببغداد و تلفت أموال التجار قربا و بعدا و لم يمكن طفيه- يعنى إطفاءه- و اخرج المعتصم مالا و سلّمه الى قاضيين لاستحلاف كل إنسان على ما ذهب له و يدفع إليه خمسه، و خرج إلى الطيرهان للتصيد و صاد و جعل فى أعناق السباع الأطواق الحديد و وسم على أفخاذ الظباء و حمير الوحش اسمه و استطاب الموضع و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الخرابات المتصلة بالمطيرة و جدّد بناء «سرّ من رأى» . و لم يذكر ديرا بعينه بل ذكر خرابات كما قرأت.

هذا و قد جاء ذكر بنى الصقر و كان بموضع الايتاخية التى سميت بعد ذلك المحمدية كما سيأتى فى الكلام على الجوسق.

دير مرمارى

كان هـذا الـدير فى الطيرهان عند سامرا قرب الموضع الذى عرف بعد تمصير المعتصم لسامرا باسم قنطرة و صـيف، قال الشابشتى: «و هذا الدير بسرّ من رأى» ، و هو دير عامر كثير الرهبان، حوله كروم و شـجر و هو من المواضع النزهة و البقاع الطيبة الحسـنة» . و مارى الذى أضيف اليه هذا الدير عرف فى تاريخ النصارى النساطرة و هو فطركهم باسم «مارمارى السليم».

و هو الذى نشـر النصـرانية النسـطورية فى الشـرق و نصّر كثيرا من الناس ببابل و العراقيين و اليمن و الجزائر و بحر اليمن و بحر الهند و الأهواز و كور دجلة و فارس و كسكر و أهل الراذانين و حمل رجلا واسع الحال على إنشاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۲

ثلاـث مئـة و ستين بيعـة و عمرا و ديرا و وقف عليها الوقوف و توجه الى مدينـة سـلوقية مقابل المـدائن من الجانب الغربى و نشـر فيها النصـرانية و قاوم المجوسيّة الثنوية، و عمل العجائب فى بناء البيع و من جملتها البيعة الكبيرة بالمدائن التى كانت مركزا لنصب الجثالقة بالجدد و بيعة داورتا ببغداد قبل ان يمصـرها المنصور و قبل الدولة الاسـلامية أصـلا، و مضـى الى الطيرهان منطقة سامرا ثم مضى الى دور قنّى و كان بها امرأة نبيلـة جليلـة اسـمها قنّى ، فسارعت الى تصـديقه و الايمان بدينه و وهبت له ضـياعها و بنى الدير هناك و هو الذى دفن فيه و كان بيتا لنار المجوس ثم صار الى كسكر و كان اهلها و ثنيين فنصّرهم و حملهم على كسر الوثنين اللذين كانا عندهم ثم انحـدر الى دسـتميسان و دخل الابلـة و بنى البيعـة التى عرفت ببيعة القدس فكانت الابلة هى المدينة الاصـلية هناك قبل الاسـلام و بلغت دعوته البحر، و صوّر فى البيع صور السـيدة مريم-ع- و ابرار النصـارى ثم توفى سـنة (۸۲ م) و دفن بـدير قنّى عن يمين المذبح بعـد فطركة دامت ثلاثا و ثلاثين سـنة» . هذا موجز ما ذكره المؤرخان النصـرانيان النسـطوريان المذكوران فى الحاشـية و عليهما عهدة اقوالهما، و فى هذا الدير يقول الفضل بن العباس بن المأمون:

انضيت فى سر من راخيل لذاتىو نلت فيها منى نفسى و شهواتى

عمرت فيها بقاع اللهو منغمسافى القصف ما بين انهار و جنات

بدير مرمار إذ نحيى الصبوح بهو نعمل الكأس فيه بالعشيات

بين النواقيس و التقديس آونةو تارة بين عيدان و نايات

و كم به من غزال اغيد غزليصيدنا باللحاظ البابليات

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۳

و ذكر الفضل هذا انه خرج ذات يوم مع المعتز للصـيد قال: فانقطعنا عن الموكب انا و هو و يونس بن بغا، فشـكا المعتز العطش، فقلت له: يا أمير المؤمنين ان فى هـذا الـدير راهبا اعرفه له مودة حسـنة، خفيف الروح و فيه آلات جميلـة فهل لأمير المؤمنين أن نعـدل اليه؟ قال: افعل فصرنا الى الديرانى فرحب بنا و تلقانا أجمل لقاء و جاءنا بماء بارد فشربنا، و عرض علينا النزول عنده و قال: تتبردون عندنا و نحضركم ما تيسر فى ديرنا فتنالون منه. فاستظرفه المعتز و قال: انزل بنا اليه فنزلنا. فسألنى الديرانى عن المعتز و يونس بن بغا.

فقلت: هما من أبناء الجند. فقال: بل مفلتان من ازواج الحور. فقلت:

هذا ليس من دينك و لا اعتقادك. قال: هو الآن من دينى و اعتقادى .

فضـحك المعتز. ثم جاءنـا بخبز و أشـاطير و ما يكون مثله فى الـديارات، فكان من أنظف طعام و اطيبه و أحسن آنيـة، فأكلنا و غسـلنا ايدينا. فقال لى المعتز:

قل له بينك و بينه من تحب ان يكون معك من هذين و لا يفارقك؟ قال الفضل فقلت له. فقال: كلاهما و تمرا. فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير من الضحك. فقلت للديرانى: لا بدّ من ان تختار فقال الاختيار فى هذا دمار، ما خلق اللّه عقلا يميز بين هؤلاء. ثم لحقنا الموكب فارتاع الديرانى. فقال له المعتز: بحياتى لا تنقطع عما كنا فيه فانى لمن ثم مولى و لمن ها هنا صديق. فجلسنا ساعة و أمر له المعتز بخمسين الف درهم. فقال: و اللّه لا قبلتها إلا على شرط.

قال: و ما هو؟ قال: يكون أمير المؤمنين فى دعوتى مع من أحبّ. قال المعتز:

ذاك اليك. فاتفقنا ليوم جئناه فيه على ما أحب، فلم يبق غاية و أقام بمن كان معه و جاء باولاد النصارى فخدمونا احسن خدمة. فسر المعتز سرورا ما رأيته

سرّ مثله. و وصله فى ذلك اليوم بمال كثير، و لم يزل يطرقه اذا اجتاز به و ياكل عنده و يشرب مدة حياته» .

دير السوسى

قال الشابشتى: «هذا الدير لطيف على شاطىء دجلة بقادسية سرّ من رأى و بين القادسية و سر من رأى أربعة فراسخ، و المطيرة بينهما و هذه النواحى كلها متنزهات و بساتين و كروم و الناس يقصدون هذا الدير و يشربون فى بساتينه و هو من مواطن السرور و مواضع القصف و اللعب ». و قال ياقوت:

«قال البلاذرى: هو دير مريم بناه رجل من أهل السوس و سكنه هو و رهبان معه فسمى به و هو بنواحى سر من رأى بالجانب الغربى» .

و لابن المعتز فى دير السّوسى:

يا ليالىّ بالمطيرة و الكرخ و دير السّوسى باللّه عودى

كنت عندى انموذجات من الجنّ... ة لكنها بغير خلود

أشرب الراح و هى تشرب عقلىو على ذاك كان قتل الوليد

و جاء فى مسالك الأبصار: «دير السوسى و هو فى الجانب الغربى بسر من رأى و منه أرضها فابتاعها المعتصم من أهله». و هذا القول لا يصح بعد قول الشابشتى إنه بقادسية سامرا بينها و بين سامرا، إلا ان ياقوتا الحموى ذكر انه بالجانب الغربى و قد نقلنا قوله، و قول الشابشتى أثبت و أقدم.

و قال الخالدى: «حدثنا جحظة عن احمد بن ابى طاهر قال: قصدت سرّ من رأى

زائرا بعض كتابها بشعر مدحته به، فقبلنى و أحسن الى و أجزل صلتى و وهب لى غلاما روميا حسن الوجه و رحلت أريد بغداد سائرا على الظهر و لم اركب الماء فلما سرت نحو الفرسخ أخذتنا السماء بأمر عظيم من القطر و نحن بالقرب من دير السوسى، فقلت للغلام: اعدل بنا يا بنى الى هذا الدير نقم فيه الى ان يخف هذا المطر ففعل و ازداد القطر و اشتد و جاء الليل، فقال الراهب: أنت العشية ها هنا و عندى شراب جيد فتبيت و تقصف و يسكن المطر و تجف الطريق و تبكّر.

فقلت: أفعل. فأخرج الىّ شرابا ما رأيت قط اصفى منه و لا أعطر. فقلت:

هات مدامك. و أمرت بحط الرحل، و بتّ و الغلام يسقينى و الراهب نديمى حتى مت سكرا، فلما اصبحت رحلت و قلت:

سقى (سرّ من را) و سكانهاو ديرا لسوسيّها الراهب

سحاب تدفق عن رعده الص.... فوق و بارقه الواصب

فقد بت فی دیره لیلةو بدر علی غصن صاحبی

غزال سقانی حتی الصباح صفراء کالذهب الذائب

علی الورد من حمرة الوجنتینو فی الآس من خضرة الشارب

سقانی المدامة مستیقظاو نمت و نام إلی جانبی

فکانت هنات لک الویل منجناها الذی خطّه کاتبی

فیا ربّ تب و اعف عن مذنبمقر بزلته تائب

دیر باشهرا

قال الشابشتی: «هذا الدیر علی شاطیء دجلة (بین سامرا و بغداد) و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۶

دیر حسن عامر نزه، کثیر البساتین و الکروم، و هو احد المواضع المقصودة و الدیارات المشهودة، و المنحدرون من سرّ من رأی و المصعدون الیها ینزلونه، فمن جعله طریقا بات فیه و أقام به ان طاب له و من قصده أقام به فی ألذّ عیش و أطیبه و أحسن مکان و أنزهه، و لأبی العیناء فیه و کان نزله و أقام به و استطابه و قال فیه:

نزلنا دیر باشهراعلی قسیسه ظهرا

علی دین یسوعی فما أختی و ما أسری

فأولی من جمیل الفعل ما یستعبد الحرّا

و سقّانا و روّانامن الصافیة العذرا

و طاب الوقت فی الدیرفرابطنا به عشرا

و سقّینا به الشمسو أخدمنا به البدرا

و أحیت لذة الکأسو لکن قتّلت سکرا

و نلنا کل ما نهواه من لذاتنا جهرا

تصابینا و غنّیناو أرغمنا به الدهرا

و قد ساعدنا ربّن ...طوعا منه لا جبرا

جزاه اللّه عن خیربه قابلنا خیرا

فقد أوسعته شکراکما أوسعنا برّا

دیر عبدون

قال یاقوت الحموی: «دیر عبدون هو بسر من رأی الی جنب المطیرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۷

و سمی بدیر عبدون لأن عبدون أخا صاعد بن مخلد، کان کثیر الالمام به و المقام فیه فنسب الیه و کان عبدون نصرانیا و أسلم أخوه صاعد علی ید الموفق و استوزره و زاد ابن فضل اللّه العمری «و بلغ معه المبالغ العظیمة. و حکی البحتری أنه کان مع عبدون فی هذا

الدير فى يوم فصح و معه ابن خرداذبه، قال فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها و أولها:

لا جديد الصبا و لا ريعانه‌راجع بعد ما تقضى زمانه

فأمر لى بمائتى دينار و ثياب خزّ و شهريّ بسرجه و لجامه، و أخوه حينئذ مع الموفق فى قتال العلوى البصرى (صاحب الزنج)، فسرّ بذلك و قال لى:

يا ابا عبادة، قل فى هذا شعرا أنفذه الى ذى الوزارتين- يعنى أخاه- و كان لقّب بهذا، فقلت:

ليكتنفك السرور و المرحو لا يفتك الابريق و القدح

فتح و فصح قد و افياك معافالفتح يقرى و الفصح يفتتح

فانعم سليم الاقطار تغتبق الصه..... باء كن دنها و تصطبح

فان أردت اجتراح سيئةفهاهنا السيئات تجترح

و أقمنا يومنا الى الليل و خلع على ابن خرداذبه و حمله و انصرفنا» .

و استطرد الشابشتى الى ذكر عبدون بن مخلد هذا بغير باعث يبعثه على الاستطراد و لعل فى كتاب الديارات نقصانا حدث به زوال الباعث قال: «و كان عبدون بن مخلد اخو صاعد بن مخلد عند وفاة اخيه و اطلاقه من الحبس صار الى دير قنى فأقام فيه و تعبّد .. و مات و هو مترهب بدير قنى فى سنة عشر و ثلاث مئة» قال: «و كان عبدون هذا متخلف الصنعة شديد التخلف و بلغ مع ذلك مبلغا عظيما فى ايام اخيه. قال : فأهدت ريق المغنية الى عبدون فاكهة مبكرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۸

مبكرة فيها تين و رمان و غيرهما، فقال لكاتبه: اكتب اليها جواب رقعتها بشعر. فحلف انه ما قال شعرا قط. فغضب عبدون غضبا شديدا و قال:

أنت بين يدى منذ سنين لا تحسن القصائد السبع يا حمار اكتب اليها:

قد أتتنا هديتانكفى يوم مهرجانك

و أكلنا من رمانكلأنك جانجاننا و نحن جانجانك

ثم ذكر خبر القبض عليه و على اخيه و استصفاء أموالهما.

و ذكر مارى بن سليمان و عمر بن متى فى اخبار فطاركة كرسى المشرق ان عبدون بن مخلد كان من اعيان النصارى النساطرة بسر من رأى، و شارك فى انتخاب الفطرك «يوحنا بن نرسى» و كان الاجتماع بالمطيرة و لعله كان بدير عبدون. و قال ياقوت: «و فى هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر:

سقى المطيرة ذات الظل و الشجرو دير عبدون هطال من المطر

يا طالما نبهتنى للصبوح بهفى ظلمة الليل و العصفور لم يطر

اصوات رهبان دير فى صلاتهمسود المدارع نقارين فى السحر

مزنّرين على الأوساط قد جعلواعلى الرؤوس أكاليلا من الشعر

كم فيهم من مليح الوجه مكتحل‌بالسحر يطبق جفنيه على حور

لاحظته بالهوى حتى استقاد لهطوعا و أسلفنى الميعاد بالنظر

و جاءنى فى ظلام الليل مستترايستعجل الخطو من خوف و من حذر

فقمت افرش خدى فى التراب لهذلا و اسحب اذيالى على الأثر

فكان ما كان مما لست اذكرهفظن خيرا و لا تسال عن الخبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۴۹

و قد ذكر ابن خلكان هذه الأبيات فى ترجمة عبد اللّه بن المعتز، و فى نقله زيادة هذا البيت:

و لاح ضوء هلال كاد يفضحنامثل القلامة قد قدت من الظفر

دير صبّاعى

قال الشابشتى: «هذا الدير شرقى . تكريت مقابل لها، مشرف على دجلة، نزه عامر، له ظاهر عجيب فسيح و مزارع حوله على نهر يصب من دجلة الى الاسحاقى و هو خليج كبير، فيقصد هذا الدير من قرب منه فى أعياده و أيام الربيع، و هو اذ ذاك منظر حسن فيه خلق كثير من رهبانه و قسانه، و لبعض الشعراء فيه:

حنّ الفؤاد الى دير بتكريتلبر صباعى و قس الدير عفريت

و زاد ياقوت الحموى على ما ورد فى الديارات قوله: «و فيه مقصد لأهل الخلاعة» . و قال ابن فضل اللّه العمرى: «دير صباعى و هو على شاطىء دجلة الشرقىّ فوق تكريت بقليل و هو كثير الرهبان و له مزارع و جنينات، و لرهبانه يسار و غنى و فيه يقول بعض لصوص بنى شيبان:

ألا يا ربّ سلم دير صبّاعا!؟و زد رهبان هيكله اجتماعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۰ فكم جئناه أمواتا سغاباو رحنا منه أحياءا شباعا

فيا للقصف ما أسرى نبيذاألذّ طلا و أحسنه شعاعا

لنعمته و منته علىناعمرناه و خرّبنا الضياعا »

قال كوركيس عواد المحقق الفاضل بكتاب الديارات: «تصحف اسم هذا الدير تصحفا غريبا فى دائرة المعارف الاسلامية (باللغات الفرنجية) إلى (دير سعابة) فليصحّح، و فى نسخة الديارات للشابشتى إلى (دير ضباعى) بالضاد المعجمة و هو تحريف أيضا و الصواب (دير صبّاعى) بصاد مهملة مفتوحة فباء مشددة. و المقصود به هنا القديس الشهيد (شمعون بر صباعى).

و بر صباعى لفظ سريانى بمعنى (ابن الصباغين) لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك و باسمه عرف هذا الدير، كان شمعون بر صباعى جاثليق المشرق فى المدائن و أصله من السّوس و قد ابتدأت جثلقته سنة ۳۲۹ م ثم أذاقه سابور الثانى الملك الساسانى شديد الاضطهاد و مر العذاب إكراها له على جحد النصرانية ليدين بالمجوسية، لكن شمعون لم يحد عن دينه، فكان مصيره القتل مع جملة كبيرة من رفاقه سنة ۳۴۱ م فى مدينة كرخ ليدان من أعمال الأهواز، و لشمعون بر صباعى تآليف سريانية مختلفة ضاع أغلبها و بقى منها رسائل و قصائد دينية اتخذها النصارى الكلدان فى صلواتهم الكنائسيّة و هى تعد من أقدم الآثار الأدبيّة فى السريانيّة و أنفسها» .

و ذكر عمرو بن متّى أن الفطرك شمعون بن صباعى كان من مدينة السوس و كان أكثر مقامه بالمدائن، و نصب للفطركة فى السنة السادسة لسابور الثانى- يعنى سنة ۳۱۶- و فى أيامه اشتد اضطهاده للنصرانيّة و تقتيله لهم، و ذلك لأنه عرض على هذا الفطرك المجوسيّة ليدين بها هو و أتباعه فأبى كل الاباء و حرّض النصارى على التمسّك بنصرانيّتهم حتى الموت و خصوصا نصارى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۱

المدائن و اسفاين، فأمر سابور بالقبض عليه و لكنه لاطفه ليتمجّس فامتنع كل الامتناع فغضب عليه و على مائة و ثلاثة من رجال النصرانية و أمر بسجنهم ثم جمع من مملكته ستين ألف نصرانى و أخرجهم إلى الميدان بكرخ ليذان و طلب من الفطرك المذكور أن يأمر النصارى الحاضرين أن يكفروا بالمسيح-ع- و يدخلوا فى دينه فان فعلوا ذلك فانه يعطيهم ما أحبّوا من المال و الجاه و يجعلهم أشرافا ، و إن أبوا فانه يأمر بضرب أعناقهم بلا تأخير.

فلما سمع شمعون ذلك حمّسهم و حضّضهم على الاباء و الرفض، فغضب سابور و أمر أن تضرب رقابهم بحد الحسام و معهم الفطرك المذكور، و فى تمام تلك السنة أمر سابور بقتل النصارى فى باجرما و كرخ سلوخ و الأهواز و الدير الأحمر و إربل و آشور و الموصل و نينوى و المرج و الجزيرة و الفرات فقتل منهم مائة ألف و تسعون ألفا و كان بينهم دخنان شاه بنت ملك الأهواز» .

و ذكر مارى بن سليمان أنّ الفطرك شمعون بن صباعى كان يلبس الثياب الديباج، و لما رتّب فى منصب الفطركة منع النساء من الاختلاط بالرجال فى الصلاة، و أنه فى عهده بسط سابور ذو الأكتاف أذيته على النصارى و كان يعذبهم بأنواع العذاب من الجوع و الضرّ و الحبس و غير ذلك و يسفك دماءهم و يبقر بطون الحوامل، و يمنع من دفنهم حتى تأكلهم الطير، و أغراه أولياؤه و اليهود بشمعون بن صباعى و قالوا له: لا ينفعك شىء مما تفعل لأن شمعون يشجع النصارى و يمدهم بالنفقات فقبض عليه و على مائة رجل و رجلين منهم مطارنة و أساقفة و قسّان و شمامسة، و طلب من ابن صباعى تطبيق الجزية على أصحابه و أخذها من أصحاب الصرف و غيرهم فقال له: إنى لست جابى مال لكن راعى غنم المسيح. و انتهى أمره إلى القتل على النحو الذى ذكرت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۲

و قال كريستنسن: «و لم يكن أول اضطهاد الحق النصارى أيام كسرى راجعا إلى التعصب الدينى بل كان مرجعه إلى أمور سياسيّة، و يحكى الكتاب السريانى الذى يصف حياة القديس أوجين أنّ سابور قد رغب فى رؤية هذا الزاهد النصرانى و كان يجلّه كثيرا فقد شفى أوجين ولدين للملك ، كانا فريستين للشيطان، و حق أنّ كتاب حياة أوجين مصدر مشكوك فيه كثيرا ...

و مع ذلك فان البغض الدفين الذى يحمله نصارى ايران للدولة كان خطرا دائما عليها، ذلك بعد أن اتخذ ملوك الروم شعارا الصليب و لم يتردد سابور فى اضطهاد هذا العدو المواطن و قد استمر هذا الاضطهاد إلى نهاية عهده الطويل»

دير العذارى

قال الشابشتى: «هذا الدير اسفل الحظيرة ، على شاطىء دجلة، و هو دير حسن، حوله البساتين و الكروم، و فيه جميع ما يحتاج إليه، و لا يخلو من متنزه يقصده للشرب و اللعب، و هو من الديارات الحسنة و بقعته من البقاع المستطابة، و إنما سمّى بدير العذارى لأن فيه جوارى متبتلات عذارى هنّ سكانه و قطانه فسمى الدير بهنّ، و ذكر يموت بن المزرع عن الجاحظ قال: حدثنى ابن فرج الثعلبى أن قوما من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أن السلطان قد نذربهم فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء فى دير العذارى، فصاروا الى الدير ففتح لهم فما استقرّوا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل فى طلبهم، فلما أمنوا و جاوزتهم الخيل خلا كل واحد منهم بجارية هى عنده عذراء فاذا القسّ قد فرغ منهنّ فقال بعضهم:

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۳ و ألوط من راهب يدّعى‌بأن النساء عليه حرام

يحرّم بيضاء ممكورةو يغنيه فى البضع عنها غلام

إذا مامشى غضّ من طرفهو فى الدير بالليل منه عرام

و دير العذارى فضوح لهنّو عند اللصوص حديث تمام»

و قال ياقوت الحموى: «و الشعر المنقول فى دير العذارى يدل على أنه بنواحى دجيل ... و قال الشابشتى: دير العذارى بين سرّ من رأى و الحظيرة.

و قال الخالدى: و شاهدته و به نسوة عذارى و حانات خمر و إن دجلة أتت عليه بمدودها فأذهبته حتى لم يبق منه أثرا، و ذكر أنه جثا به فى سنة (۳۲۰) و هو عامر ... و قال أبو الفرج: و دير العذارى بسرّ من رأى إلى الآن موجود تسكنه الرواهب. فجعلهما اثنين، و حدث الجاحظ فى كتاب المعلمين قال حدثنى ابن فرج الثعلبى أنّ فتيانا من بنى ملاصة من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمرّ بهم قرب

دير العذارى، فجاءهم من خبّرهم أن السلطان قد علم بهربهم و ان الخيل قد أقبلت تريدهم فاستخفوا فى دير العذارى، فلما حصلوا فيه سمعوا أصوات حوافر الخيل التى تطلبهم و هى راجعة من الطلب فأمنوا، فقال بعضهم لبعض: ما الذى يمنعكم أن تأخذوا القسّ و تشدّوه وثاقا و يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار، فاذا طلع الفجر تفرقنا فى البلاد، و كنّا جماعة بعدد الأبكار اللواتى كنّ أبكارا فى حسابنا، ففعلنا ما اجتمعنا عليه، فوجدنا كلّهنّ ثيبات قد فرغ منهن القسّ قبلنا، قال بعضنا:

و دير العذارى فضوح لهنّو عند القسوس حديث عجيب

خلونا بعشرين صوفيّةو نيل الرواهب أمر غريب

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۴ سباع تموج وزاقولةلها فى البطالة حظ رغيب

و للقسّ حزن يهيض القلوبو وجد يدلّ عليه النحيب

و قال الشابشتى ... «و ذكر ما قال الشابشتى و قد نقلته آنفا. و قال ابن فضل اللّه العمرى: «دير العذارى و هو بين سرّ من رأى و بغداد بجانب العلث على دجلة فى موضع حسن فيه رواهب عذارى و كانت حوله حانات الخمر و بساتين و متنزهات، لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسان الوجوه و القدود و الألحاظ و الألفاظ. قال الخالدى: و لقد اجتزت به فرأيته حسنا و رأيت فى الحانات التى حوله خلقا يشربون على الملاهى و كان ذلك اليوم عيدا له، و رأيت فى جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفر و لا يماثل خمره خدودهنّ، ثم إنّ دجلة أهلكته بمدودها حتى لم يبق منه أثر و لجحظة فيه أخبار و أشعار لأنه كان مكانه و مأواه، و إليه ينجذب هواه و فيه يقول ابن المعتز:

أيا جيرة الوادى على المشرع العذبسقاك حيا حيّ الثرى ميت الجدب

و حسبك يا دير العذارى قليل مايحن بما تحويه من طيبة قلبى

كذبت الهوى إن لم اقف اشتكى الهوىاليك و ان طال الوقوف على صحبى

و عجت به و الصبح ينتهب الدجىباضوائه و النجم يركض فى الغرب

أصانع اطراف الدموع بمقلةموفّرة بالدمع غربا على غرب

و هل هى الاحاجة قضيت لناو لوم تحملناه فى طاعة الحبّ

و قال الخالدى: و أنشدنى جحظة لنفسه:

قالوا قميصك مغمور بآثارمن المدامة و الريحان و القار

فقلت من كان مأواه و مسكنهدير العذارى لدى حانوت خمّار موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۵ و ساده يده و الأرض مفرشهلا يستطيع لسكر حلّ أزرار

لم ينكر الناس منه أنّ حلّتهخضراء كالروض أو حمراء كالنار»

و ذكر ابن فضل اللّه بعد ذلك بيتين للصنوبرى فى دير العذارى، مع أنه ليس بدير عذارى العراق، بل هو دير عذارى حلب، كما رأى فقد ذكر ياقوت ديرا للعذارى بظاهر حلب فى بساتينها و لا دير فيه و لعله كان قديما، و يؤيد ذلك ان الصنوبر تغزل فى البيتين بغلام، و ذكر بعدها ابياتا لابن فيروز البصير فى دير العذارى، و هى من الغزل الغلمانى أيضا فلا صلة لها بدير العذارى، ثم اورد حكاية الجاحظ و أبيات اللصوص ثم ابيات الديارات التى نقلها الشابشتى و قد قدمت ذكرها و قال أخيرا: «و قيل فى راهبة فيه:

يا ايها القمر المنير الزاهرالمشرق الحسن المضىء الباهر

أبلغ شبيهتك السّلام و هنّهابالنوم و اشهد لى بأنى ساهر

و قد ذكر دير العذارى بالعراق الباحث حبيب الزيات أحد الكتاب النصارى و المتجربين فى بحوثهم للدفاع عن النصرانية .

دير العلث

قال الشابشتي: «و العلث قرية على شاطىء دجلة فى الجانب الشرقى منها و بين يديها من دجلة موضع صعب، ضيق المجاز، كبير الحجارة، شديد الجرية تجتاز فيه السفن بمشقة و هذه المواضع تسمّى الأبواب، و اذا وافت السفن الى العلث ارست بها فلا يتهيأ لها الجواز إلا بهاد من أهلها يكترونه، فيمسك السكان، و يتخلل بهم تلك المواضع، فلا يحطها حتى يتخلص منها. و هذا الدير راكب دجلة و هو من احسن الديارات موقعا و أنزهها موضعا، يقصد من كل بلد، و يطرقه كل أحد، و لا يكاد يخلو من

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۶

منحدر و مصعد، و من دخله لم يتجاوز الى غيره لطيبه و نزهته، و وجود جميع ما يحتاج اليه بالعلث و به» . و قال ياقوت: «دير العلث، زعم قوم أنه دير العذارى بعينه، و قال الشابشتي: العلث قرية على شاطىء دجلة من الجانب الشرقى فى قرب الحظيرة دون سامرا و هذا الدير راكب دجلة و هو من الديارات و أحسنها و كان لا يخلو من أهل القصف» . و قال فى موضع آخر: «العلث بفتح اوله و سكون ثانيه و آخره ثاء مثلثة ... و هى قرية على دجلة بين عكبرا و سامراء، و ذكر الماوردى فى الأحكام السلطانية ان العلث قرية موقوفة على العلويين و هى أول العراق فى شرقى دجلة». و قال ابن عبد الحق: «العلث بكسر أوله و سكون ثانيه و آخره ثاء مثلثة قرية على دجلة بين عكبرا و سامرّا، موقوفة على العلويين، كانت فى شرقى دجلة، و هى الآن من عمل دجيل على الشطيطة» . و كان قال: «دير العلث و هو دير على دجلة من شرقيها قرب الحظيرة و قيل انه دير العذارى و لعله الذى كان باقيا الى هذه الغاية» .

و قال الدكتور احمد نسيم سوسة: «أما المدن و القرى المهمة التى كانت على مجرى دجلة ضمن طسّوج بزرج فأولها من الشمال مدينة (العلث) و هى المدينة التى ما زالت خرائبها الواسعة تشاهد على مسافة حوالى سبعة كيلومترات من شمالى غربى مدينة بلد الحالية، و قد حافظت على اسمها القديم حتى اليوم فهى لا تزال تسمى اطلالها بالعلث، كما انه لا يزال يسمى سكنة هذه المنطقة (علثاويين) و تمتد خرائب العلث هذه على طول الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم (الشطيطة) و هو المجرى الذى يسمى فيه نهر بلد الحالى الذى يتفرع من ضفة نهر دجيل اليسرى و ينتهى الى بساتين بلد الحديثة ... و مما يدل على: استمرار ازدهار مدينة العلث بعد تحول مجرى دجلة عنها ان المنتصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۷

كان يقصدها بين حبن و آخر للاتصال بعلمائها، فقد ذكر سبط ابن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان أن المستنصر (كان يمضى الى العلث قرية من دجيل، بينها و بين بغداد مسيرة يومين حتى يزور اسحاق العلثى الحنبلى» .

و قال الشابشتى بعد وصفه للعلث و دير العلث و لجحظة فيه:

أيها المالحان باللّه جدّاو اصلحا لى الشراع و السكّانا

بلّغانى هديتما البرداناو ابزلا لى من الدنان دنانا

واعد لا بى الى القبيصة فالزه... راء علّى أفرج الأحزانا

و إذا ما اقمت حولا تمامافاقصدا بى الى كروم أوانا

و انزلا بى الى شراب عتيقعتّقته يهوده أزمانا

و احططا لى الشراع بالدير بالعل... ث لعلى اعاشر الرهبانا

(و ظباء يتلون سفرا من الانجى... ل باكرن سحرة قربانا)

لا بسات من المسوح ثياباجعل اللّه تحتها أغصانا

(خفرات حتى اذا دارت الكأس كشفن النحور و الصلبانا)

**** و للمعتمد:

يا طول ليلى بفم الصلح أتبعت خسرانى بالربح

لهفى على دهر لنا قد مضى بالقصر و القاطول و الشلح

بالدير بالعلث و رهبانه بين الشعانين الى الدنح»

و قال ابن أبى أصيبعة: «قال يوسف بن إبراهيم: عدت جبرئيل بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۸

بختيشوع بالعلث سنة خمس عشرة سنة و مائتين و قد كان خرج مع المأمون فى تلك السنة حتى نزل لمأمون فى دير النساء، فوجدت عنده يوحنا بن ماسويه و هو يناظره فى علته و جبرئيل يستحسن استماعه و إجابته و وصفه، فدعا جبرئيل بتحويل سنته و سألنى النظر فيه و اخباره بما يدل عليه الحساب، فنهض يوحنا عند ابتدائى بالنظر فى التحويل، فلما خرج من الحراقة قال لى جبرئيل:

ليست بك حاجة الى النظر فى التحويل لانى أحفظ جميع قولك و قول غيرك فى هذه السنة و انما أردت بدفعى التحويل اليك ان ينهض يوحنا فأسألك عن شىء بلغنى عنه، و قد نهض، فأسألك بحق اللّه هل سمعت يوحنا قط يقول:

إنه اعلم من جالينوس بالطب. فحلفت له أنى ما سمعته قط يدعى ذلك» .

عمر نصر

قال ياقوت: «عمر نصر بسامرّا و فيه يقول الحسين بن الضحّاك:

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة هاجت بلابل صدر بعد إقصار

للّه هاتفة هبّت مرجعة زبور داود طورا بعد أطوار

يحثها دالق بالقدس محتنك من الأساقف مزمور بمزمار

عجّت أساقفها فى بيت مذبحها و عج رهبانها فى عرصة الدار

خمّار حانتها إن زرت حانته أذكى مجامرها بالعود و الغار

يهتز كالغصن فى سلب مسوّدة كان دارسها جسم من القار

تلهيك ريقته عن طيب خمرته سقيا لذاك جنى من ريق خمار

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۵۹ أغرى القلوب به الحاظ ساجية مرهاء تطرف عن أجفان سحار »

و قال الباحث حبيب الزيات: «و من الديارات التى اشتهرت بهذا الطرب دير مارت مريم بين الخورنق و السدير ... و نظيره عمر نصر فى سر من رأى و هو من متنزهات آل المنذر قديما بالحيرة، قال الحسين بن الضحاك و كان كثيرا ما يألفه: اصطبحت انا و اخوان لى فى عمر سر من رأى و معنا أبو الفضل رذاذ و زنام الزامر. فقرأ الراهب سفرا من أسفارهم حتى طلع الفجر، و كان شجى الصوت جدا و رجع من نغمته ترجيعا لم أسمع مثله، فتفهمه رذاذ و زنام، فغنى ذلك عليه و زمر هذا فجاء له معنى أذهل العقول و ضج الرهبان بالتقديس فقلت: يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة ...» و ذكر أربعة ابيات منها بيت لم يذكره ياقوت الحموى على الصحة و هو:

لما حكاها زنام فى تفننها فافتن يتبع مزمورا بمزمار»

و القول بأنه أى عمر نصر كان من متنزهات آل المنذر قديما بالحيرة مناقض لقوله بادىء ذى بدء انه فى سر من رأى، و يكون من المحال تنزه ملوك الحيرة القائمة على الفرات قرب النجف فى أرض دير بسامرا على دجلة لبعد المسافة و لأن ارض الطيرهان و فيها الدير لم تكن من مملكة الحيرة و لا كان فيها لملوك الحيرة سلطة و لا سلطان و لا كلمة نافذة.

و رأيت مثل هـذا الكلام فى مجلـة لغـة العرب فى الكلام على سامرا قال الكاتب «و كان فى جوارها من سابق العهـد أى قبل الاسـلام عدة أديرة للنصارى كلها شهيرة منها قلاية العمر أو عمر نصر و كان من متنزهات آل المنذر بالحيرة » و قد ذكر نقلا من معجم البلدان لياقوت الحموى أن عمر نصر كان فى ناحية سامرا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۰

دير مرماجرجس

قال ياقوت الحموى: «دير مرماجرجس: دير بنواحى المطيرة ...

و ذكره الشابشتى مع دير مرجرجس، و لعله هو هو» و قـد كان قال: «دير مرجرجس بالمزرفـة بينه و بين بغـداد أربعـة فراسخ مصـعدا و المزرفـة قريـة كبيرة و كانت قديما ذات بساتين عجيبة و فواكه غريبة، و كان هذا الدير من متنزهات بغداد لقربه و طيبه». و على اعتبار أنه بالمزرفة، فلا يعد من ديارات سامرا و نواحيها، و أيّد كونه بالمزرفة ابن فضل اللّه العمرى قال:

دير جرجس و هو بالمزرفة أحد الأماكن المشهودة و المواضع المقصودة، و يخرج اليه من يتنزه من أهل بغداد فى السّميريّات. لقربه و طيبه و هو على شـاطىء دجلـة و البسـاتين محدقـة به و الحانـات مجـاورة له، و به كـل مـا يحتـاج إليه» . و قـال قبلهمـا الشابشتى: «دير مرجرجس، هـذا الـدير بالمزرفـة و هـو أحـد الـديارات و المواضع المقصـودة و المتنزهـون مـن اهـل بغـداد يخرجـون اليـه دائمـا فى السـميريات لقربه و طيبه و هو على شـاطىء دجلـة و العروب- يعنى طواحين الماء السـفنية- بين يـديه و البساتين محدقـة به و الحانات مجاورة له، و كل ما يحتاج إليه المتنزهون فحاضر فيه. و المزرفة من أحسن البلاد عمارة و أطيبها بقعة و بها من البساتين ما ليس ببلد.

-

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۱

القادسية

و من المواضع التى كانت فى ناحية سامرا المعتصم قبل تمصيرها «القادسية» قال الشابشتى فى الكلام على دير السوسى و قد نقلناه فى الكلام على هذا الدير:

«هذا الدير لطيف على شاطىء دجلة بقادسـية سـر من رأى و بين القادسية و سر من رأى أربعة فراسخ و المطيرة بينها ... و القادسية من أحسن المواضع و أنزهها و هى من معادن الشـراب و مناخات المتطربين، جامعـة لكل ما يطلب أهل البطالة و الخسارة و بالقادسـية بنى المتوكل قصـره المعروف ببركوار و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتز و جعل اعـذاره فيه، و كان من أحسن ابنية المتوكل و أجلها، و بلغت النفقة عليه عشرين الف الف درهم» .

و قـد أخطـأ يـاقوت فى تعيينهـا قال: «و القادسـية قريـة كبيرة من نواحى دجيل بين حربى و سامرا، يعمل بها الزجاج» . و عقب ابن عبد الحق على كلامه هذا قال: «هذه (القادسـية) ليست من دجيل، إنما هى فى الجانب الشـرقى من دجلة من قرى سامرا، خربة تحت سامرا و المطيرة ». و كأن ياقوتا الحموى شـعر بخطئه فى معجم البلـدان فاسـتدركه فى كتاب له فى آخر البلـدان أيضا قال: «و القادسـيّة قرية كبيرة قرب سـامرا يعمل فيها الزجاج، ينسب اليها الشـيخ أحمـد بن على المقرىء القادسـىّ الضـرير، و ابنه محمـد بن أحمـد القادسـى الكتبى مؤلف (ذيل تاريخ ابن الجوزى) و هو حىّ الآن» .

و قال الاسـتاذ المستشرق لسترنج: «و فى شمال غربى العلث حيث ينعطف النهر اليوم إلى ناحية الشرق انعطافه العظيم قادسية دجلة، فلا

يخلطنّ بين هذه القادسية و قادسية الفرات التى كانت فى غرب هذا النهر، و كانت قادسية دجلة مشهورة بعمل الزجاج» و قال مترجما كتاب لسترانج: «يقوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۲

سور القادسية فى جنوب أطلال سامراء بين الضفة اليمنى لنهر القائم المندرس و ضفة دجلة اليسرى و هو سور مثمن من اللبن طول كل ضلع من أضلاعه (۶۲۰) مترا، تدعمه من الخارج (۱۷) دعامة نصف دائرية و فى كل ركن من أركان السّور برج مدوّر كبير قطره نحو ثمانية أمتار، و ثخن السّور أربعة أمتار و علوه نحو خمسة أمتار، و تبلغ مساحة الأرض التى يكتنفها السور نحو (۷۴۵) دونما- و الدونم ۲۵۰۰ متر مربع-. و فى هذا السور فتحات تدل على أنها كانت أبوابا له، و السّور من الداخل مؤلف من أروقة كل رواق بين دعامتين من دعائمه، و بعض هذه الأروقة اتخذ حجرات. و تشاهد فى داخل القادسية فى وسطها معالم أبنية من اللبن، و قد جيء بالماء الى القادسية من النهر المار من القاطول الكسروى إلى نهر القائم، ثم يعبره فوق قنطرة من الآجرّ قد اندرست، و عند وصول النهر الى سور القادسيّة يدخلها من أحد أبوابها و يتفرّع فى داخلها. راجع سامراء لدار الآثار العراقية ص ۷۲ و سومر ۳: ۱۶۷ و رى سامراء ۲۴۸». ثم قالا: «يلاحظ الآن فى شرقى سور القادسية خرائب عباسية قرب ضفة دجلة تكثر فوق سطحها كتل من الزجاج المصهور و كسر كثيرة من الأوانى الزجاج و قد نقّبت دائرة الآثار العراقية هذا الموضوع سنة ۱۹۴۰ و عثرت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية و على بقايا أبنية و أكوام من رماد» .

قلنا: و تدل الدلائل الآثارية من السور المشبه بقيته سور دسكرة أبرويز قرب شهربان على أن هذا البنيان ساسانى. و قال الشابشتى فى ذكر إعذار المعتز بن المتوكل أى ظهوره بقصر بركوار: «لما صح عزم المتوكل على إعذار أبى عبد اللّه المعتز أمر الفتح بن خاقان بالتأهب له و أن يلتمس فى خزائن الفرش بساطا للايوان فى عرضه و طوله، و كان طوله مائة ذراع و عرضه خمسون ذراعا، فلم يوجد إلا فيما قبض من بنى أمية، فانه وجد فى أمتعة هشام بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۳

عبد الملك على طول الايوان و عرضه، و كان بساطا إبريسما غرز و ذهب مفروز مبطّن، فلما رآه المتوكل أعجب به و أراد أن يعرف قيمته، فجمع عليه التجار، فذكر انه قوّم على أوسط القيم عشرة آلاف دينار، فبسط فى الايوان، و بسط للخليفة فى صدر الايوان سرير و مدّ بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر و الند و الكافور (المعمول به على مثل الصّور، منها ما هو مرصع بالجوهر مفردا و منها ما عليه ذهب و جوهر) و جعلت بساطا ممدودا، و تغدّى المتوكل و الناس» و جلس على السّرير و أحضر الأمراء و القواد و الندماء (و أصحاب المراتب) فأجلسوا على مراتبهم و جعل بين صوانيهم و السماط فرجة، و جاء الفراشون بزبل قد غشّيت بأدم مملوءة دنانير و دراهم نصفين، فصبّت فى تلك الفرج حتى ارتفعت، و قام الغلمان فوقها، و أمروا الناس عن الخليفة بالشرب ، و أن ينتقل كل من يشرب بثلاث حفنات ما حملت يداه من ذلك المال، فكان إذا أثقل الواحد منهم ما اجتمع فى كمه أخرجه إلى غلمانه فدفعه إليهم و عاد إلى مجلسه، و كلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملؤونه (منه) حتى يعود الى حاله.

و خلع على سائر من حضر ثلاث خلع كل واحد (و أقاموا إلى أن صليت العصر و المغرب) و حملوا عند انصرافهم على الأفراس و الشهارى. و أعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد، و أمر لكل واحد منهم بمائة درهم و ثلاثة أثواب، و كان فى صحن الدار بين يدى الايوان أربعمائة بليّة ، عليهن أنواع الثياب بين أيديهنّ ألف نبيجة خيزران فيها أنواع الفواكه و الأترج و النارنج على قلته- كان- فى ذلك الوقت، و التفاح الشامى و الليموه و خمسة آلاف باقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۴

نرجس و عشرة آلاف باقة بنفسج، و تقدم إلى الفتح أن ينثر على البليات و خدم الدار و الحاشية ما كان أعده لهم و هو عشرون ألف ألف درهم، فلم يقدم أحد على التقاط شيء، فأخذ الفتح درهما، فأكبت الجماعة على المال فنهب، و كانت قبيحة (أم المعتز) قد

تقدمت بأن تضرب دراهم عليها (بركة اللّه لأعذار أبى عبد اللّه المعتز) فضرب لها ألف درهم، نثرت على المزيّن و من فى حيّزه من الغلمان و الشاكرية و قهارمة الدار و الخدم الخاصة من البيضان و السودان، و كان ممن حضر المجلس ذلك اليوم محمد بن المنتصر و أبو أحمد أبو سليمان ابنا الرشيد و أحمد و العباس ابنا المعتصم و موسى بن المأمون، و ابنا حمدون النديم و أحمد بن أبى رؤيم و الحسين بن الضحاك و على بن الجهم و على ابن يحى بن المنجم و أخوه. و من المغنين عمرو بن بانة، أحمد بن أبى العلاء، ابن الحفصى، ابن المكى، سلمك، عثعث، سليمان الطبال، المسدود، حشيشة، ابن القصار، صالح الدفاف، زنام الزامر. و من المغنيات عريب، بدعة جاريتها، سراب، شارية و جواريها، ندمان، منعم، نجلة، تركية، فريدة، عرفان، قال إبراهيم بن المدبر: لما ظهر المعتز اجتمع مشايخ الكتاب بين يدى المتوكل و كان فيهم يحى بن خاقان و ابنه عبيد اللّه إذ ذاك الوزير و هو واقف موقف الخدم بقباء و منطقة، و كان يحى لا يشرب النبيذ، فقال المتوكل لعبيد اللّه: خذ قدحا من تلك الأقداح و اصبب فيه نبيذا و صيّر على كفك منديلا و امض إلى أبيك يحى فضعه فى كفّه. قال: ففعل. فرفع يحى رأسه الى ابنه. فقال المتوكل: يا يحى لا تردّه. قال: لا يا أمير المؤمنين . ثم شرب و قال: قد جلّت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين، فهنأك اللّه النعمة و لا سلبنا ما أنعم به علينا منك. فقال: يا يحى إنما أردت أن يخدمك وزير بين يدى خليفة فى طهور ولى عهد. و قال ابراهيم بن العباس: سألت

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۵

أبا حرملة المزيّن فى هذا اليوم فقلت: كم حصل لك إلى أن وضع الطعام؟

فقال: نيف و ثمانون ألف دينار سرى الصياغات و الخواتيم و الجواهر و العدات.

قال: و أقام المتوكل ببركوار ثلاثة أيام ثم أصعد الى قصره الجعفرىّ و تقدم باحضار إبراهيم بن العباس و أمره أن يعمل له عملا بما انفق فى هذا الأعذار و يعرضه عليه، ففعل ذلك فاشتمل العمل على ستة و ثمانين ألف الف درهم و كان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل فى عرس ابنته بوران حتى أرّخ ذلك فى الكتب و سميت دعوة الاسلام ثم أتى من دعوة المتوكل ما أنسى ذلك» .

و على ذكر بركوار القصر الفخم الذى بناه المتوكل بسامرا و جعل مساحة إيوانه مائة ذراع فى خمسين ذراعا، أقول: قدّمنا من قول الشابشتى ما يفيد أن القصر بنى بالقادسية: قادسية سامرا و أن بين القادسية و سامرّا أربعة فراسخ و المطيرة بينهما، و الأربعة الفراسخ تساوى فى الأقل «۱۸» كيلو مترا، من مقاييس الطول فى عصرنا، فهل ينطبق آثار القصر «المنقور» المعروفة اليوم بسامرّا على «قصر بركوارا»؟

جاء فى مقالة بعنوان «آثار سامراء الخالية و سامرا الحالية» و قد تقدم ذكرها، قول كاتبها «و لقد سبر الدكتور هرتسفلد بعض السّبر قصرا واقعا على عدوة دجلة اليمنى يعرف بقصر العاشق و رأى أن يتابع السّير بعد ذلك.

أما الآن فانه يجرى التنقيب فى قصر مبنى قد افترش من الأرض فسحة عظيمة تناهز كيلو مترين مربعين و نصفا و هو واقع فى جنوبى سامراء و اسمه المنقور، و هو و لا شك القصر المعروف سابقا باسم (بلكوارا) الذى بناه و سكنه المعتز باللّه ابن المتوكل على اللّه و ذلك قبل ارتقائه عرش الخلافة ». ثم قال: «و بازاء العاشق فى الجانب الشرقى من ضفة دجلة الگويرا (بالكاف الفارسية و تصغير الاسم) و هو تلول مسافة طولها قرابة مائة متر و عرضها اليوم قرابة عشرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۶

أمتار و قد أكل الشط نصفها و بقى النصف الآخر و ظهرت فيها غرف مبنية بالجص و الآجرّ مع سراديب و هى اليوم فى وسط الماء إذ مهواه عليها و فى أيام الفيضان يحيط بها الماء و تكون شبيهة بالجزيرة ».

و علّق الأب انستاس اللغوى المعروف على كلمة «الكوير) قوله:

«لفظة الگوير تشابه كلّ المشابهة لفظة بلكوارا، لا سيما لأننا نعلم أن العرب كثيرا ما تستثقل الألفاظ الكثيرة الحروف، فيتصرفون بها كل التصرّف، و قد وردت ألفاظ كثيرة حذفوا منها صدرها و أبقوا عجزها، فيحتمل أنهم حذفوا صدر (بلكوارا) و قالوا (كوارا)، و لما

كان التصغير شائعا على ألسنة أعراب العراق جميعهم قالوا فيها (كوير) بحذف الألف الأخيرة من باب التخفيف. و الظاهر أن (بلكوارا) كلمة آرامية قديمة مركبة من (بل) أى بعل و (كوارا) أى الجبّار أو القوىّ ، أو الإله، و محصل معناه «بعل الجبّار» فيكون موطن هذا القصر فى السابق هيكل (كذا) لبعل الأكبر ، و تلفظ الكاف فى (كوارا) كالكاف الفارسيّة و كالجيم الآرمية أو المصرية و بتشديد الواو، و قد يكتب العرب الجيم المصرية أو الكاف الفارسيّة كافا لخلوّ حروف هجائهم من هذا الحرف (راجع تاج العروس مادة ج ب ر.

و المزهر ۱: ۱۱. و مقدمة ابن خلدون، طبعة بيروت الأولى (۵۰۹).

و مع كل هذه الأدلة التى يظنها الباحث أنها من البراهين المقنعة فلا يظن الاستاذ هرتسفلد أن (الكوير) هو (بلكوارا) و السبب الأعظم فى رفض هذا الرأى هو أن بلكوارا كان فى الجنوب الأقصى من موقع المدينة، و هذا لا يصدق اليوم على موقع الكوير، ثانيا أن أعراب العراق لا يجعلون كافا فارسية أو جيما مصرية إلا القاف فيقولون: گال، بالكاف الفارسية فى «قال».

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۷

و عليه فيكون «كذا» أصل لفظ الكوير (القوير) تصغير القارة. و بمعنى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة مع حذف الهاء للتخفيف.

هذا رأى الدكتور العلامة (هرتسفلد). و أما سكان سامراء فيزعمون أن الكوير سمّى بهذا الاسم من الگاوور و الكاوور عندهم الكفار أو النصارى، فيكون معنى اللفظ (تل الكفار) و هذا أيضا لا يسلّم به ، و السبب هو أن الكاف فى كلا اللفظين (كاوور و كوير) و إن كانت تلفظ كالكاف الفارسيّة إلّا أنّ الكاوور لا يصغر هذا التصغير أى على وزن زبير، كما أنه لا موجب هناك أن يسمى الكوير بهذا الاسم، إن كان هذا معناه، و لا يسمّى غيره بمثله، و عليه فهذا الرأى فاسد لا محالة. بيد أن ما يثبت كل الاثبات أن المنقور هو (بلكوارا) هو أن اليعقوبى يقول فى كتابه تاريخ البلدان- ص ۲۶۵- إن المتوكل ... أنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقا بموضع يقال له بلكوارا، فاتصل البناء من بلكوارا إلى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ. و قد حضر الدكتور هرتسفلد فى المنقور فوجد هناك رقيما عليه مكتوب (الأمير المعتز باللّه ابن أمير المؤمنين) و لما كان المنقور (و يلفظ بالكاف الفارسية) آخرا خربة سامراء لم يعد يبقى شك فى أن المنقور هو بلكوارا فى السابق» .

قلت: القادسية معلومة الأثر و الأطلال و قد ذكر الشابشتى أن المتوكل بنى قصر بلكوارا فيها، و المنقور القائم الأطلال لا يعد اليوم من القادسية، فكيف يكون هو «بلكوارا»؟ ثم إن المنقور تسمية عامية فان العوام يقولون مثلا: حجر منقور، و رحى منقورة و خشب منقور بالمنقار، و جاء فى وصف دير متى شرقى الموصل «و أكثر بيوته منقورة فى الصخر» كما فى معجم البلدان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۸

أى فيها تحفيرات بآلات الحفر، و لا تشبه لفظة بلكوارا لفظة «المنقور» حتى يصحفها العوام إليها بله أن المنقور اسم عربى معرّف محلى بالألف و اللام، و بلكوارا اسم أعجمى لم يدخل عليه أحد الألف و اللام و لم يقل أحد «البلكوارا» حتى يحتج لذلك التحريف البعيد، و لو كان المنقور تصحيفا لذاك لبقى فى الأقل على صورة «منقورا» بغير تعريف بالألف و اللام. هذا و الأخبار التى نقلتها آنفا مذكور فيها أن فى قصر بلكوارا إيوانا طوله مائة ذراع و عرضه خمسون ذراعا، فينبغى أن يبحث فى خطة قصر المنقور عن موضع ينطبق على مساحة ذاك الايوان، فان وجد فذلك من مقويات الرأى القائل بأن المنقور هو أطلال بلكوارا، و إن كانت جميع القصور أيامئذ تحتوى على أواوين و كان المتوكل قد أحيا الطراز البنائى الحيرى المعروف بالحارى ذى الكمين و ذكره المسعودى فى مروج الذهب.

و لعل المنقور هو «الجوسق الخاقانى» قال اليعقوبى: «ثم أحضر المعتصم المهندسين فقال: اختاروا أصلح هذه المواضع فاختاروا عدة مواضع للقصور، و صيّر إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر فصير الى خاقان غرطوج أبى الفتح بن خاقان بناء (الجوسق الخاقانى) و

الى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمرى و إلى أبى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى» . ثم قال: «و ولى صورتان من بقايا اطلال الجوسق الخاقانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۶۹

جعفر المتوكل ابن المعتصم فنزل الهارونى ، و آثره على جميع قصور المعتصم و أنزل ابنه محمدا المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق ». و قال أبو على التنوخى: «و من ملح أخبار القاضى أحمد بن أبى دؤاد ما حكى أن المعتصم كان بالجوسق مع ندمائه و قد عزم على الاصطباح و أمر كلا منهم ان يطبخ قدرا و نظر سلامة غلام أحمد بن أبى دواد فقال: هذا غلام ابن أبى دواد جاء ليعرف خبرنا و الساعة يأتى فيقول: فلان الهاشمى و فلان القرشى و فلان الأنصارى و فلان العربىّ فيقطعنا بحوائجه عما كنا عزمنا عليه و أنا أشهدكم أنى لا أقضى له اليوم حاجة. فلم يكن بأسرع من أن دخل ايتاخ يستأذن لأحمد بن أبى دواد. فقال (المعتصم) لجلسائه: كيف ترون؟ قالوا: لا تأذن له يا أمير المؤمنين. قال: سوأة لهذا الرأى و اللّه لحمّى سنة أسهل علىّ من ذلك. فأذن له، فدخل، فما هو إلا أن سلم و جلس حتى أسفر وجه المعتصم و ضحكت اليه جوارحه ثم قال: يا أبا عبد اللّه قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا و قد جعلناك حكما فى أطيبها، قال: فلتحضر لآكل و أحكم بعلم. فأمر المعتصم باحضارها فأحضرت القدور بين يديه، و تقدم القاضى أحمد بن أبى دواد، فجعل يأكل من أول كل قدر أكلا تاما. فقال له المعتصم:

هذا ظلم. قال: و كيف ذاك؟ قال: أراك قد أمعنت فى هذا اللون و ستحكم لصاحبه. قال: يا أمير المؤمنين ليس بلقمة و لا باثنتين تدرك المعرفة باخلاط الطعام و علىّ أن أوفى كلا منها حقّه فى الذوق ثم يقع الحكم بعد ذلك. فتبسم المعتصم و قال: شأنك إذن. و أكل من جميعها، كما ذكر، ثم قال: أمّا هذه فقد أحسن صاحبها إذ أظهر فلفلها و قلّل كمونها. و أما هذه فقد أجاد صاحبها إذ كثر خلّها و قلّل فلفلها ليشتهى حمضها. و أما هذه فقد أحكمها طبّاخها بتقليل مائها و كثرة ربّها. و أقبل يصفها واحدة واحدة، حتى أتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۰

على جميعها بصفات سرّ بها أصحابها» .

و جاء فى كتاب الأغانى عن أبى عبد اللّه الهشامى قال. «كانت متيم (الهشامية) للبانة بنت عبد اللّه بن إسماعيل المراكبى مولى عريب فاشتراها على بن هشام منها بعشرين ألف درهم و هى إذ ذاك جويرية، فولدت له صفية و تكنى أم العبّاس ثم ولدت محمدا و يعرف بأبى عبد اللّه ثم ولدت بعده ابنا يقال له هارون و يعرف بأبى جعفر، سمّاه المأمون و كنّاه لما ولد بهذا الاسم و الكنية، قال: و لما توفى على بن هشام عتقت، و كان المأمون يبعث اليها فتجيئه فتغنّيه، فلما خرج المعتصم إلى سرّ من رأى أرسل إليها فأشخصها و أنزلها داخل الجوسق فى دار كانت تسمّى الدمشقىّ و أقطعها غيرها، و كانت تستأذن المعتصم فى الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم و ترجع».

و هذا الخبر يشعر بسعة بقعة الجوسق الخاقانى بحيث أنشئت دور و مرافق فان كان اقطاع المعتصم لها من أرض الخاقانى أيضا فهذا التناهى فى و ساعة القصر و مرافقه، و قال أبو على التنوخى: «قال أبو اسحاق أخبرنا أحمد بن أبى دواد قال: دخلت على المعتصم يوما فقال لى: يا أبا عبد اللّه لم يدعنى اليوم أبو الحسن الافشين حتى أطلقت يده على (أبى دلف) القاسم بن عيسى فقمت من بين يديه و لم أبصر شيئا جزعا على أبى دلف و دخلنى أمر عظيم و خرجت فركبت دابتى و سرت أشدّ سير من الجوسق إلى باب الافشين بقرب المطيرة أؤمل أن أدرك أبا دلف من قبل أن تحدث عليه حادثة ».

و أنهى القصة بتنحية أبى دلف فكانت من الفرج بعد الشدّة الذى هو موضوع الكتاب.

و ذكر أبو محمد البلوى فى خبر ارتحال المعتمد على اللّه سنة ۲۶۹ إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۱

مصر و العزم على الاستقرار فيها أن إسحاق بن كنداج القائد سار من نصيبين الى الموصل فى خيل جريدة أربعة آلاف مملوك، فلحق

المعتمد بين الموصل و الحديثة و منعه من الارتحال و أعاده الى سامرا قال: «فلما بلغوا سرّ من رأى تلقاه أبو العباس ابن الموفق و صاعد بن مخلد (الوزير) فسلمه إسحاق إليهما و انصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم فأنزلا المعتمد دار أبى أحمد ابن الخصيب التى فى طرف الجسر و منع من نزول الجوسق و المعشوق و وكلا به قائدا فى خمسمائة رجل يمنعون أن يدخل إليه أحد» .

و قال ابن أبى أصيبعة: «قال يوسف بن إبراهيم: «كان خروج أمير المؤمنين (المعتصم باللّه) عن مدينة السّلام عن غير ذكر تقدّم الخروج إلى ناحية من النواحى و كان الناس قد حضروا الدكة بالشماسيّة لحلبة السروج فى يوم الاربعاء لسبع عشرة و ليلة خلت من ذى العقدة سنة عشرين و مائتين، فأخرجت الخيل و دعا بالجمّازات فركبها و نحن لا نشك فى رجوعه من يومه، ثم أمر الموالى و القواد باللحاق به، و لم يخرج معه من أهل بيته أحد إلا العباس بن المأمون و عبد الوهاب بن على، و خلّف المعتصم الواثق بمدينة السّلام إلى أن صلى بالناس يوم النحر سنة عشرين و مائتين ثم أمر بالخروج إلى القاطول، فخرج فوجهنى أبو اسحاق (ابراهيم بن المهدى) بحوائج له إلى باب أمير المؤمنين، فتوجهت فلم يزل سيّارة مرة بالقاطول و مرة بدير بنى الصقر و هو الموضع الذى سمّى فى أيام المعتصم و الواثق بالايتاخيّة و فى أيام المتوكل بالمحمدية ، ثم صار المعتصم الى سرّ من رأى فضرب مضاربه فيها و أقام بها فى المضارب، فانى لفى بعض الأيام على باب مضرب المعتصم إذ خرج سلمويه بن بنان (طبيب المعتصم) فأخبرنى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۲

أن أمير المؤمنين أمره بالمصير الى الدور و النظر إلى سوارتكين الفرغانى و التقدم الى متطببه فى معالجته من علّة يجدها بما يراه سلمويه صوابا و حلف علىّ أن لا أفارقه حتى نصير الى الدور و نرجع. فمضيت معه، فقال لى: حدّثنى فى غداة يومنا نصر بن منصور بن بسّام أنه كان يساير المعتصم باللّه فى هذا البلد- يعنى بلد سرّ من رأى- و هو أمير، قال لى سلمويه قال: قال لى نصر إن المعتصم أمير المؤمنين قال: يا نصر أسمعت قط بأعجب ممّن اتخذ فى هذا البلد بناءا و أوطنه؟! ليت شعره ما أعجب موطنه: حزونة أرضه، أو كثرة أخاقيقته أم كثرة تلاعه و شدّة الحرّ فيه إذا حمى الحصى بالشمس؟! اما ينبغى أن يكون متوطن هذا البلد الا مضطرا مقهورا أو ردىء التمييز.

قال لى سلمويه قال لى نصر بن منصور: و أنا و اللّه خائف أن يوطن أمير المؤمنين هذا البلد. فان سلمويه ليحدثنى عن نصر إذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى فى موضع الجوسق المعروف بالمصيب أكثر من ألف رجل يضعون أساس الجوسق. فقال لى سلمويه: أحسب ظن نصر بن منصور قد صحّ.

و كان ذلك فى رجب سنة إحدى و عشرين و مائتين، و صام المعتصم فى الصيف فى شهر رمضان من هذه السنة و غدّى الناس فيه يوم الفطر و احتجم المعتصم بالقاطول يوم سبت و كان ذلك اليوم آخر يوم من صيام النصارى، و استأذنه فى المصير الى القادسية ليقيم فى كنيستها باقى يومه و ليلته و يتقرب فيها يوم الأحد و يرجع الى القاطول قبل وقت الغداء من يوم الأحد، فأذن له فى ذلك و كساه ثيابا كثيرة و وهب له مسكا و بخورا كثيرا فخرج منكسرا مغموما و عزم علىّ بالمصير الى القادسية فأجبته الى ذلك ». فتأمل ثانية سعة قصر الجوسق الخاقانى بحيث اشتغل بوضع أساسه أكثر من ألف رجل و غدّى المعتصم فيه الناس يوم الفطر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۳

و قال اليعقوبى فى سيرة المعتصم: «و توفى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ۲۲۷ و صلىّ عليه ابنه هارون و دفن فى قصره المعروف بالجوسق و كانت سنه ۴۹ سنة» . و قال الخطيب البغدادى فى ترجمة محمد المنتصر ابن المتوكل ناقلا: «مات المنتصر باللّه يوم الأحد لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثمان و أربعين و مائتين، و صلى عليه ابن عمه أحمد بن محمد المستعين باللّه، و دفن فى سر من رأى فى موضع يقال له الجوسق» ثم قال ناقلا: «ولد المنتصر باللّه بسرّ من رأى و مات بسرّ من رأى و هو أول من أظهر قبره فى خلفاء بنى العباس و كان عمره أربعا و عشرين سنة ».

و لم يذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان «جوسق المعتصم» هذا أى الجوسق الخاقانى فى مادته و لا فى كتابه المشترك مع أنه

ذكر جواسق عـدة فى بلـدان مختلفـة و لكنه ذكره فى مـادة «سـامرا» فى الكلام على القصور التى أنشأها المتوكل فيها و غيرها أن منها «الجوسق فى ميدان الصـخر خمسـمائة ألف درهم» و قيمة هذا المبلغ الشرعية «خمسون ألف دينار» و هو مبلغ ضئيل بالنسبة الى نفقات القصور الأخرى التى كانت فيها أقل نفقات البناء خمسـمائة ألف دينار للقصـر المختار، و المليح، و قصر التل، ما عدا قصر القلائد فقد كانت النفقة عليه خمسين ألف دينار كنفقة الجوسق. و أنا أستدل بهذا على أن المتوكل لم يكن المنشىء لقصر الجوسق بسامرا و إنما أنشأه المعتصم و أحـدث المتوكل فيه بنيانا جديـدا فنسب إليه، دلّنى على ذلك أن المؤرخين الـذين ذكروا الجوسق بعد قتل المتوكل لم يميّزوا بين جوسقين فى التسمية و الاضافة، بل أطلقوا لفظ «الجوسق» و دلّنى أيضا أن الشابشتى قال:

«و ذكر أحمد بن حمدون قال: بنى المعتز فى الجوسق فى الصـحن الكامل بيتا قدّرته له أمه و مثّلت حيطانه و سقوفه فكان أحسن بيت رئى» . فهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۴

يدل على أن الجوسق كان من السعة فى خطّته الأصلية و مرافقه ما يمكن معه إضافة أبنية أخرى.

و قد وردت أخبار لما حدث بعد وفاة المنتصر ابن المتوكل سنة ۲۲۸ احتوت على ذكر «الجوسق» فى تاريخ الطبرى و غيره، و أحسبها لجوسق المعتصم لأن جوسق المتوكل لا يزال غير مميّز ذكره عن الجوسق العتيق سوى نسبته الانشاء إلى المتوكل مع أن النفقة لا تدل على إنشاء قصر فخم بالنسبة إلى القصور الأخرى . موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج۱۲ ؛ ص۷۴

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۵

سامراء فى ظل الخلافة العباسية

اشارة

كتبه الدكتور حسين امين أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة بغداد

و الحائز على درجة دكتوراه الشرف الأول من جامعة الاسكندرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۷

سامراء فى ظل الخلافة العباسية

فى أيام المعتصم

تولى الحكم فى دولة بنى العباس بعد وفاة المأمون، أخوه ابو اسـحق محمد ابن هرون الرشـيد و الملقب بالمعتصم سنة ۲۱۸ ه، ۸۳۳ م، و كان المعتصم قـد اكثر من شـراء الاتراك، الى حـد صار عنـده سـبعون الف مملوكا، كما اشترى من كان ببغـداد من رقيق الناس، و ممن اشترى ببغـداد، (أشـناس) و كان مملوكا لنعيم بن خازم ابن هارون بن نعيم، و إيتاخ كان مملوكا لسـلّام بن الابرش، و (وصـيف) كـان زرادا مملوكـا لآل النعمان، و سـيما الدمشـقى و كان مملوكا لـذى الرئاستين الفضل بن سـهل، و كان اولئك الاتراك العجم إذا ركبوا الـدواب ركضوا فيصـدمون النـاس يمينا و شـمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضـربون بعضا و تـذهب دماؤهم هـدرا لا يعـدون على من فعـل ذلـك فثقـل ذلـك على المعتصم و عزم على الخروج من بغـداد فخرج الى الشماسـية و هو الموضع الـذى كان المـأمون يخرج فيقيم به الايـام و الشـهور. فعزم ان يبنى بالشماسـية خارج بغـداد فضاقت عليه ارض ذلك الموقع و كره ايضا قربها من بغداد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۸

و يبدو ان المعتصم تنقل إلى أمكنة متعددة، فقد اقام بالبردان ثم انتقل الى باحمشا من الجانب الشرقى من دجلة، ثم صار الى المطيرة فأقام بها مدة ثم مدّ الى القاطول، و القاطول نهر كان فى موضع سامراء قبل ان تعمر و كان الرشيد اول من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرا سماه ابا الجند لكثرة ما كان يسقى من الأرضين و جعله لارزاق جنده، و فوق هذا القاطول القاطول الكسروى، حفره كسرى انوشروان . و لم تعجب ارض القاطول المعتصم و ركب متصيدا فمر فى مسيره حتى صار الى موضع سر من رأى و هى صحراء من ارض الطيرهان لا عمارة بها و لا أنيس فيها إلّا دير للنصارى فوقف بالدير و كلّم من فيه من الرهبان، و قال: ما اسم هذا الموضع، فقال له بعض الرهبان: نجد فى كتبنا المتقدمة ان هذا الموضع يسمى سرّ من رأى و انه كان فى مدينة سام بن نوح و انه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة، ينزلها و ينزلها ولده. فقال: أنا و اللّه ابنيها و انزلها و ينزلها ولدى .

و أمر المعتصم ببناء القصور و الدور، و استقدم المهرة من الصناع و الفنيين لتشييد قصوره و بناياته و جلب اصناف الأشجار المثمرة من جميع البلدان فغرست البساتين فى كل مكان، و ما انقضت سنتان او ثلاث حتى ارتفعت القصور و اقيمت المساجد و دواوين الدولة و بنيت الدور و مدت الأسواق و الشوارع و احكمت اسوار القطائع، و شيد فيها ثكنات لسكن ۲۵۰ الف جندى و اصطبلات واسعة لاستيعاب ۱۶۰ الف حصان .

و يبدو ان المعتصم بعد ان وافق على اختيار موضع سامراء، صيّر الى كل رجل من أصحابه بناء قصر، فصيّر الى خاقان عرطوج أبى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقانى، و الى عمر بن فرج بناء القصر المعروف

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۷۹

بالعمرىّ، و الى ابن الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرىّ، ثم خطّ القطائع للقواد و الكتاب و الناس و خط المسجد الجامع و اختط الاسواق حول المسجد الجامع، و وسعت صفوف الأسواق و جعلت كل تجارة منفردة و كل قوم على حدتهم، على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد، و كتب فى اشخاص الفعلة و البنائين. و اهل المهن من الحدادين و النجارين و سائر الصناعات و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصرة و ما والاها من بغداد و سائر السواد و من انطاكية و سائر سواحل الشام، و فى حمل عملة الرخام و فرش الرخام فأقيمت باللاذقية و غيرها دور صناعة الرخام، و افرد قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعا و جعلهم معتزلين عنهم، لا يختلطون بقوم من المولّدين و لا يجاورهم إلّا الفراغنة. و اقطع اشناس و اصحابه الموضع المعروف بالكرخ و ضمّ إليه عدة من القواد الاتراك و الرجال و امره ان يبنى المساجد و الاسواق .

يظهر لنا من النص السابق ان المعتصم لما وقع اختياره على موضع سامراء رغب فى جعل الاتراك يستقلون فى مواضع خاصة من المدينة و لا يختلطون بعناصر غريبة قد تفسد مزاجهم و تعمل على ضعف همتهم، كما انه الزم كل قائد و رجاله بتحمل مسؤولية العمل على المساهمة فى البناء، و هذا يقودنا الى حقيقة مهمة، انه بهذه الطريقة تمكن من اكمال مدينته بهذه السرعة العجيبة، و استخدام الاتراك بجهودهم و اموالهم إضافة إلى الفنيين و الفعلة من ارجاء العالم الاسلامى، فترى فى ذلك الوقت ما يزيد على خمسين ألف من الرجال يعملون باخلاص و نظام و بهذا ارتفعت القواعد و اقيمت الأركان و شيدت المساجد العامرة و القصور الكبيرة و الدور العديدة و الحدائق النضرة، فكانت مدينة تفتخر بها الحضارة الاسلامية و كانت معجزة من معجزات الانسان فى القرون الوسطى.

و يبدو ايضا ان من سياسة المعتصم عزل جنده الاتراك عن كل العناصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۰

الغريبة منهم، فقد صيّرت قطائع الاتراك جميعا و الفراغنة العجم بعيدة عن الأسواق و الزحام فى شوارع واسعة و دروب طوال ليس معهم فى قطائعهم و دروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر و لا غيره، ثم اشترى لهم الجوارى فأزوجهم منهن و منعهم ان

يتزوجوا او يصاهروا الى احد من المولّدين الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم الى بعض و اجرى لجوارى الاتراك ارزاقا قائمة و اثبت اسماءهن فى الدواوين فلم يكن يقدر احد منهم ان يطلق امرأته و لا يفارقها .

كما نلاحظ ان المعتصم أمر قادته و رجاله الذين اقطعهم الأراضى لبنائها، بأن لا يطلق لغريب مجاورتهم، كما ألزمهم بتشييد الاسواق الضرورية، قال اليعقوبى: و لما اقطع اشناس التركى فى آخر البناء مغربا و اقطع اصحابه معه و سمّى الموضع الكرخ أمره ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم و لا يطلق معاشرة المولّدين، فاقطع قوما آخرين فوق الكرخ و سماه الدّور و بنى لهم فى خلال الدور و القطائع المساجد و الحمامات و جعل فى كل موضع سويقة فيها عدة حوانيت، و اقطع الأفشين خيذر بن كاوس الأسروشنى فى آخر البناء مشرقا على قدر فرسخين و سمى الموضع المطيرة، فاقطع اصحابه الاسروشنية و غيرهم من المضمومين إليه حول داره و امره ان يبنى فيها هناك سويقة فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه و مساجد و حمامات .

و عنى المعتصم بمدينته عناية فائقة، فقسمها الى قطائع كل قطيعة لجماعة معينة، و امتدت الشوارع المستقيمة و المنظمة و كان من اكبر شوارع المدينة الشارع المعروف بالسريجة و هو الشارع الأعظم و يمتد من المطيرة الى الوادى المعروف بوادى اسحق بن ابراهيم، و هناك شوارع اخرى مثل شارع ابى احمد بن الرشيد، و فى هذا الشارع قطائع قواد خراسان منها قطيعة هاشم ابن بانيجور و قطيعة عجيف بن عنبسة و قطيعة الحسن بن على المأمونى و قطيعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۱

هرون بن نعيم و قطيعة حزام بن غالب، و ظهر قطيعة حزام، الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصيّة و العامية، يتولاها حزام و يعقوب اخوه، ثم مواضع الرطّابين و سوق الرقيق فى مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر و الغرف و الحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرط و الحبس الكبير و منازل الناس و الأسواق فى هذا الشارع يمنة و يسرة مثل سائر البياعات و الصناعات و يتصل ذلك الى خشبة بابك ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل كل تجارة منفردة و كل اهل مهنة لا يختلطون بغيرهم، ثم الجامع القديم الذى لم يزل يجمّع فيه الى أيام المتوكل فضاق على الناس فهدمه و بنى مسجدا جامعا واسعا فى طرف الحير المسجد الجامع و الاسواق من احد الجانبين و من الجانب الآخر القطائع و المنازل و اسواق اصحاب البياعات الدنيّة مثل الفقّاع و الهرائس و الشراب، و قطيعة راشد المغربىّ و قطيعة مبارك المغربىّ و سويقة مبارك و جبل جعفر الخيّاط و فيه كانت قطيعة جعفر ثم قطيعة ابن الوزير ثم قطيعة العباس بن على بن المهدى ثم قطيعة عبد الوهاب بن على بن المهدى و يمتد الشارع و فيه قطائع عامة الى دار هرون بن المعتصم، و هو الواثق عند دار العامة و هى الدار التى نزلها يحى بن اكثم فى ايام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة، ثم باب العامة و دار الخليفة و هى دار العامة التى يجلس فيها يوم الاثنين و الخميس، ثم الخزائن، خزائن الخاصة و خزائن العامة، ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم و إليه الخزائن ثم قطيعة قرقاس الخادم و هو خراسانى ثم قطيعة ثابت الخادم ثم قطيعة أبى الجعفاء و سائر الخدم الكبار.

و الشارع الثانى يعرف بأبى احمد و هو ابو احمد بن الرشيد أوّل هذا الشارع من المشرق، دار بختيشوع المتطبب التى بناها فى ايام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان و اسبابهم من العرب و من اهل قم و اصبهان و قزوين و الجبل و آذربيجان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۲

يمنة فى الجنوب مما يلى القبلة فهو نافذ الى شارع السريحة الاعظم و ما كان مما يلى الشمال ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع ابن احمد، ديوان الخراج الأعظم، و قطيعة عمر و قطيعة الكتّاب و سائر الناس و قطيعة احمد بن الرشيد فى وسط الشارع، و فى آخره مما يلى الوادى الغربى يقال له وادى ابراهيم بن رياح، قطيعة ابن ابى دوّاد و قطيعة الفضل بن مروان و قطيعة محمد بن عبد الملك الزيّات و قطيعة ابراهيم بن رياح فى الشارع الأعظم. ثم تتصل الاقطاعات فى هذا الشارع و فى الدروب الى يمنته و يسرته الى قطيعة بغا الصغير ثم قطيعة بغا الكبير، ثم قطيعة سيما الدمشقى، ثم قطيعة برمش، ثم قطيعة وصيف القديمة ثم قطيعة إيتاخ و يتصل ذلك إلى باب البستان و قصور الخليفة.

و الشارع الثالث، شارع الحير الأول الذى صارت فيه دار احمد ابن الخصيب فى ايام المتوكل، و فيه قطائع الجند و الشاكرية و اخلاط الناس و يمتد الى وادى ابراهيم بن رياح.

و الشارع الرابع يعرف بشارع برغامش التركى، فيه قطائع الاتراك و الفراغنة، فدروب الاتراك منفردة و دروب الفراغنة منفردة، و الأتراك فى الدروب التى فى القبلة و الفراغنة بازائهم بالدروب التى فى ظهر القبلة، كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس، و آخر منازل الاتراك و قطائعهم، قطائع الخزر مما يلى المشرق، اول هذا الشارع من المطيرة عند قطائع الافشين التى صارت لوصيف و اصحاب وصيف، ثم يمتد الشارع الى الوادى الذى يتصل بوادى ابراهيم بن رياح.

و الشارع الخامس يعرف بصالح العباس و هو شارع الاسكر، فيه قطائع الاتراك و الفراغنة، و الاتراك ايضا فى دروب منفردة و الفراغنة فى دروب منفردة ممتدة من المطير الى دار صالح العباس التى على رأس الوادى، و يتصل ذلك بقطائع القواد و الكتاب و الوجوه و الناس كافة.

و شارع الحير الجديد، يقع خلف شارع الاسكر، فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة و الاسروشنية و الاشتاخنجية و غيرهم من سائر كور خراسان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۳

و هذه الشوارع التى من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط و بنى خلفه حائطا غيره، و خلف الحائط الوحش من الظباء و الايايل و الحمير الوحش و الارانب و النعام و عليها حائط يدور فى صحراء حسنة واسعة.

و الشارع الذى على دجلة يسمى شارع الخليج و هناك الفرض و السفن و التجارات التى ترد من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد من البصرة و الأبلة و الاهواز و ما اتصل بذلك و من الموصل و بعربايا ، و ديار ربيعة و ما اتصل بذلك، و فى هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم او اكثرهم .

و اخذت مدينة سامراء فى الاتساع ايام الخليفة المعتصم و حمل إليها الغروس من الجزيرة و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان، كما عقد جسرا يربط الجانب الشرقى بالجانب الغربى، حيث انشأ هناك العمارات و البساتين .

فى أيام الواثق باللّه

و توفى المعتصم سنة ۲۲۷ ه، و تولى الخلافة ولده هرون الواثق، و من اشهر عماراته فى سامراء، انشاؤه القصر الذى عرف بالقصر الهارونى، و هو على دجلة، و بينه و بين سامراء ميل و بازائه بالجانب الغربى المعشوق .

و كانت لهذا القصر مجالس فى دكّة شرقية و دكّة غربية ، و لما توفى الواثق سنة ۲۳۲ ه، دفن فى القصر الهارونى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۴

فى أيام المتوكل

اشارة

و ارتقى عرش الخلافة العباسية المتوكل بن المعتصم، و اتخذ القصر الهارونى منزلا له، و آثره على غيره من القصور، كما انزل ابنه محمدا الملقب بالمنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق و انزل ابنه ابراهيم الملقب بالمؤيد بالمطيرة و انزل ابنه العتز ببلكوارا.

و يعتبر المتوكل من اكثر الخلفاء العباسيين عناية بمدينة سامراء، فعمل على زيادة عماراتها و مدّ شوارعها، و من أشهر أبنيته بناؤه

المسجد الجامع فى اول الحير فى موضع خارج منازل المدينة، و جامع سامراء من أهم الآثار العباسية فى منطقة سامراء و هو يظهر بجلاء، الجهود العظيمة التى بذلت فى سبيل انشائه و اظهاره بالشكل الذى يليق و مكانة العاصمة العباسية، و الزائر له اليوم لا يرى إلّا بقايا جدرانه الخارجية، و مئذنته الشهيرة بالملوية، و طول المسجد ۲۴۰ مترا و عرضه ۱۶۰ م، و يبلغ علو الجدران نحو عشرة امتار و ثخنها لا يقل عن المترين، و يدعمها من الخارج ابراج نصف دائرية عددها اربعون برجا، اربعة منها فى الأركان و ثمانية فى الضلع الجنوبية و فى الضلع الشمالية و عشرة فى الضلع الشرقية و فى الضلع الغربية، و فى القسم الأعلى من الجدار الجنوبى الى الجهة القبلية نوافذ مستطيلة ضيقة من الخارج واسعة من الداخل، و يظهر فى داخل كل نافذة عمودان من الآجر يحملان طاقا مكونا من خمس حنايا.

و فى الجهة القبلية المحراب و على طرفيه بابان، و فى الجدران الأخرى هناك واحد و عشرون بابا، خمسة فى الجدار الشمالى و ثمانية فى كل من الجدارين الشرقى و الغربى، و يستدل من استكشاف العلامة الآثارى هرزفلد، على انه كان فى المسجد ۲۵ رواقا و ان الاوسط منها اكثر اتساعا من الاروقة الاخرى، و ۲۴ صفا من الأعمدة فى كل منها عشرة عمد، هذا عدا الايوان الشمالى و فيه ۲۴ صفا من الأعمدة فى كل صف منها ثلاثة عمد و الرواقين الجانبيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۵

فى كل منها ۲۲ صفا من الأعمدة فى كل صف منها اربعة عمد، و بذلك تكون جملة عدد الأعمدة ۴۸۸ عمودا. و كانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة دون طيقان من البناء .

و يبدو من الأخبار التاريخية انه كانت فى وسط المسجد نافورة، فقد قال اليعقوبى: و بنى المسجد الجامع فى اول الحير فى موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شىء من القطائع و الاسواق و اتقنه و وسّعه و احكم بناءه و جعل فيه فوّارة ماء لا ينقطع ماؤها . و كانت الفوارة تستمد مياهها من القناة التى أنشأها المتوكل لا يصال الماء الى مدينة سامراء .

و يذكر بعض المؤرخين ان جدران المسجد الجامع فى سامراء كانت فيها المرايا، و من النصوص الطريفة ما ذكره ابو الحسن الهروى قوله: و جامعها موضع شريف به المعجون كأنه المرآة يبصر المتوجه الى القبلة الداخل و الخارج من الشمال .

و على بعد خمسة و عشرين مترا من الجدار الشمالى و على محور باب المسجد تقع المئذنة الشهيرة بالملوية، و هى مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ۳۲ مترا، يصعد الى قمتها بمرقاة حلزونية تدور حولها من خارجها باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة خمس مرات و تبدأ المرقاة من وسط الضلع الجنوبية للقاعدة و تنتهى فى القمة بغرفة صغيرة مستديرة علوها ستة امتار لها باب من الجهة الجنوبية، و يبلغ ارتفاع الملوية على سطح الأرض ۵۲ مترا.

و كان الاعتقاد السائد ان الفارس كان يطلع هذه المئذنة، ذكر ابن خرداذبه ان بمنارة اسكندرية ثلثمائة بيت و ستة و ستين بيتا دائرة و المسجد بها فى اعلاها

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۶

و يركب الفارس و الفارسان الى اعلاها بغير درج، انما يدور الفرسان و الرجالة الى اعلاها، مثل منارة سرّ من رأى . و لكننى اعتقد عكس ذلك إذ لا أرى ضرورة ان يصعد الفرسان الى اعلا المئذنة إضافة الى صعوبة ذلك، كما ان المئذنة و هى جزء من المسجد له قدسيته و جلاله، فمن الواجب الاحتفاظ به منزها من حوافر الخيل و فضلاتها.

و ذكر ياقوت ان المتوكل انفق على بناء المسجد الجامع خمسة آلاف الف درهم . و الرأى السائد ان مئذنة سامراء بنيت على غرار الأبراج البابلية المدرجة (الزقورات) و المنشآت الصينية فى عهد تانج .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۷

و من الجدير بالذكر ان احمد بن طولون بنى فى مدينة القطائع بمصر مسجدا على غرار جامع سامراء، و من لوحته التأسيسية المثبتة

على احدى دعائم المسجد يتبين لنا ان المسجد الطولونى انشىء بأمر الامير احمد بن طولون سنة خمس و ستين للهجرة، و قد ذكر بعض المؤرخين تواريخ أخرى مقاربة من ذلك فقد ذكر المقريزى ان بناء المسجد كان فى سنة ۲۶۴ ه . بينما ذكر ابن دقماق ان البناء بدأ فى سنة تسع و خمسين و مائتين للهجرة ، و يحتل مسجد ابن طولون مربعا طول كل ضلع من اضلاعه ۱۶۲ مترا تقريبا و هو اكثر مساجد مصر اتساعا، و تقع المئذنة فى الزيادة الشمالية و قاعدة المئذنة مربعة تقريبا مقاساتها ۷۵، ۱۲ سم من الجانبين الشمالى و الجنوبى و ۶۵، ۱۳ من الجانبين الأخرين ، و هو على طراز جامع سامراء و فى مصلاه عقود مدببة قائمة على خمسة صفوف من الدعائم، و تندمج فيها اعمدة مبنية ايضا بالآجر .

و قد بنى بسامراء جامع يعرف بجامع ابى دلف، و مساحة هذا الجامع اقل قليلا من جامع سامراء و هو مستطيل الشكل، طول ضلعه الكبير ۴۷، ۲۱۵ مترا و ضلعه الصغير ۲۴، ۱۳۸ مترا، و فى وسطه صحن مكشوف مستطيل الشكل ايضا، و حول الصحن من جوانبه الاربعة، اروقة عددها فى الضلع القبلى خمسة اروقة، و فى الاضلاع الأخرى رواقان و ما تزال اساطين هذه الاروقة المشيدة بالآجر و الجص قائمة و كذلك أقواس بعضها، و قد قامت مديرية الآثار العراقية بتقوية معظم هذه الاساطين و صيانة عدد من الاقواس، و اليوم بامكان الزائر مشاهدة هذا الأثر العباسى و قد اعيد له طرازه الاول بفضل الجهود المبذولة من اجل الحفاظ عليه و اظهاره بالمظهر الذى يليق به كأثر عربى اسلامى.

و سور الجامع مشيد باللبن، و دلت التنقيبات ان ثخن هذا السور لا يقل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۸

عن ۶۰، ۱ م و انه كان فى اركانه الاربعة ابراج مستديرة و يدعم كل جانب من الجانبين الشرقى و الغربى عشرة ابراج نصف دائرية. و فى الضلع الشمالى ثمانية ابراج و فى الضلع القبلى عشرة ابراج ايضا.

و لجامع المتوكلية (جامع ابى دلف) ثمانية عشر بابا، ثلاثة منها و هى فى ناحية القبلة و تفضى الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبى و يبدو ان هذه الأبنية كانت معدة لاستراحة الخليفة إذا جاء لصلاة الجمعة و كان يدخل الى الجامع من باب بجانب المحراب.

اما مئذنة الجامع فانها تشبه ملوية جامع سامراء، و هى ذات مرقاة خارجية و هى اصغر حجما من ملوية جامع سامراء و يبلغ علو المئذنة نحو ۱۹ مترا، و تبدأ المرقاة من يمين الباب و تدور ثلاث دورات كاملة باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة، و يستدل من الاخبار التاريخية و من موضعه ان من عمل المتوكل العباسى، و لكن لا ادرى لم عرف هذا الجامع بجامع ابى دلف، علما ان القائد العباسى القاسم بن عيسى العجلى، توفى سنة ۲۲۶ ه، فى حين ان المتوكل الذى أمر ببناء الجعفرية او المتوكلية و من ضمنها جامع ابى دلف، تولى الخلافة سنة ۲۳۲ ه، معنى ذلك ان ابا دلف لم يعاصر بناء المتوكلية و لم ير جامعها.

و يبدو ان المتوكل العباسى، كان ذا هواية كبيرة فى تشييد الأبنية و مد العمران، و من اشهر القصور التى شيدها قصر الجعفرى، و هو بالقرب من سامراء بموضع يسمى الماحوزة ، و لا تزال بقايا القصر و بركته تشاهد على ضفة دجلة فى شمال السور الداخلى لمدينة المتوكلية فى الزاوية التى يكوّنها نهر دجلة من جهة و نهر القاطول الكسروى من الجهة الثانية . و نستشف من الاخبار التاريخية ان بناء القصر كلف الحاكم العباسى المتوكل اموالا طائلة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۸۹

ذكر ابو الفدا: ان المتوكل انفق فى عمارته اموالا- تجل عن الحصر ، و ذكر ايضا ان المتوكل انفق على بنائه الفى الف دينار و كان المتولى لذلك دليل بن يعقوب النصرانى كاتب بغا الشرابى .

و بعد أن تمّ بناء المتوكلية انتقل المتوكل و حاشيته و رجال دولته و عامة الناس اليها، و للبحترى الشاعر قصيدة عامرة فى هذا القصر و بانيه يقول فى مطلعها:

قد تمّ حسن الجعفرىّ و لم يكن‌ليتمّ إلّا بالخليفة جعفر

و لأبى على البصرى وصف حال المدينة العظيمة التى انفقت عليها الأموال

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۰

الطائلة و حالها البائس بعد تحول السلطة و الرعية عنها قصيدة طويلة جاء فى مطلعها:

إن الحقيقة غير ما يتوهّمفاختر لنفسك أى امر تعزم

إن هذه المدينة الجديدة التى انتقل اليها المتوكل و رعيته، لم تكن على ما يبدو بالمدينة الناجحة او الملائمة لحياة السكان، ذلك ان الذين اشرفوا على مهمة ايصال الماء الى المدينة المتوكلية لم يكونوا على خبرة واسعة و امكانية وافرة، فجاءت النتيجة على عكس ما كان يرغب المتوكل و الناس جميعا، و قد لعب مشروع النهر دورا خطيرا فى هجران المدينة، مثل دوره فى نشوء فكرة الانتقال اليها، و ذلك بسبب فشل هذا المشروع و عجزه عن تأمين ايصال المياه إليها فى موسم الصيف . و ذكر اليعقوبى: ان النهر لم يتم أمره و لم يجر الماء فيه إلّا جريا ضعيفا لم يكن له إتصال و لا استقامة على انه قد انفق عليه شبيها بألف الف دينار و لكن كان حفره صعبا جدا انما كانوا يحفرون حصا و افهارا لا تعمل فيها المعاول .

و بدىء العمل فى تشييد المدينة سنة خمس و اربعين و مائتين و وجّه فى حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة، فقدر النفقة على النهر الف الف و خمسمائة الف دينار، و امر بأن تختط القصور و المنازل و اقطع الولاة و الامراء و الكتاب و الجند، و مدّ الشارع الاعظم من دار اشناس التى بالكرخ و هى التى صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره، و اقطع الناس يمنة الشارع الاعظم و يسرته و جعل عرض الشارع الأعظم مائتى ذراع، و قدّر ان يحفر فى جنبى الشارع نهرين يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذى يحفره، و بنيت القصور و شيدت الدور و ارتفع البناء، و اتصل البناء من الجعفرية الى الموضع

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۱

المعروف بالدّور ثم بالكرخ و سرّ من رأى مادّا إلى الموضع الذى كان ينزله ابو عبد اللّه المعتز، ليس بين شىء من ذلك فضاء و لا فرج و لا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ .

ان ذلك العمل الذى قام به المتوكل، يعتبر من الأعمال الخارقة، و التى تستحق النظر و الاعتبار، و بصورة خاصة إذا ما قدرنا تلك الظروف و امكانياتها الفنية التى تكاد تكون امكانيات بدائية، و رغم ذلك فان المدة التى تمّ فيها بناء المدينة المتوكلية مدة قصيرة جدا، فقد كمل بناؤها فى اقل من سنتين و انتقل المتوكل الى قصور المدينة اول يوم من المحرم سنة سبع و اربعين و مائتين للهجرة، و اقام فيها حوالى تسعة اشهر و قتل فى شوال سنة سبع و اربعين و مائتين فى قصره الجعفرى، و تولى الخلافة العباسية ولده المنتصر، فانتقل الى سرّ من رأى و امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزة (مكان المتوكلية) و ان يهدموا المنازل و يحملوا النقض الى سامراء فانتقل الناس و حملوا نقض المنازل الى سامراء و خربت قصور الجعفرى و منازله و مساكنه و اسواقه فى اسرع مدة و صار الموضع موحشا لا أنيس به و لا ساكن فيه و الديار بلاقع كأنها لم تعمر و لم تسكن .

و للمتوكل آثار عمرانية فى سامراء، بعضها لا يزال شاخصا حتى اليوم و البعض الآخر نتعرف عليه من الاخبار التاريخية، و خير من يلخص اعمال هذا الحاكم العباسى، ياقوت فى معجمه قوله: من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم، و القصر المختار خمسة آلاف الف درهم و الوحيد الفى الف درهم و الجعفرى المحدث عشرة آلاف الف درهم، و الغريب عشرة آلاف الف درهم، و الصبح خمسة آلاف الف درهم، و المليح خمسة آلاف الف درهم و قصر بستان الإيتاخية عشرة آلاف الف درهم و التلّ علوّه و سفله

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۲

خمسة آلاف الف درهم و الجوسق فى ميدان الصخر خمسماية الف درهم و المسجد الجامع خمسة عشر الف الف درهم و بركوان للمعتز عشرين الف الف درهم و القلايد خمسين الف دينار و جعل فيها ابنية بماية الف دينار، و الغرد فى دجلة الف الف درهم و

القصر بالمتوكلية و هو الذى يقال له الماجوزة خمسين الف الف درهم، البهو خمسة و عشرين الف الف درهم و اللؤلؤة خمسة آلاف الف درهم .

يعتبر عام ۲۲۱ ه، هو بداية حياة سامراء كعاصمة للدولة العباسية، و فى هذه السنة سارت جحافل العباسيين الى محاربة بابك الخرمى، الذى خرج على الدولة العباسية، و قد دارت معارك شديدة بين العباسيين و أنصار بابك، و فى سنة ۲۲۲ ه، سقطت مدينة (البذ) ، التى كانت قاعدة لبابك الخرمى، و قد نجح الافشين القائد العباسى ان يأسر بابك الخرمى و يقتاده اسيرا إلى سامراء سنة ۲۲۳ ه، حيث قتل ثم صلب.

و من سامراء توجه المعتصم سنة ۲۲۳ ه، لمحاربة البيزنطيين و قصد عمورية بجيش كبير، و انتصر الجيش العباسى انتصارا رائعا، و لما عاد المعتصم الى سامراء بعد ذلك النصر الذى احرزه على البيزنطيين فى عمورية احتفل باستقباله احتفالا باهرا، و مدحه ابو تمام الشاعر بقصيدته التى جاء فيها:-

السيف اصدق انباءا من الكتبفى حده الجدّ بين الحد و اللعب

و فى سنة ۲۲۷ ه، توفى المعتصم و دفن فى سامراء بقصره المعروف بالجوسق، و كان من وزرائه، احمد بن عمار بن شادى و محمد بن عبد الملك الزيات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۳

عودة للواثق

و تولى الخلافة من بعد المعتصم ولده هارون الواثق، و يعتبر من افاضل الخلفاء العباسيين، و كان فاضلا لبيبا، فطنا فصيحا و كان يتشبه بالمأمون فى حركاته و سكناته .

و فى مفتتح خلافته ثارت القيسية بدمشق، فأرسل الواثق إليهم رجاء بن ايوب الحضارى و كانوا معسكرين بمرج راهط، فحاربهم رجاء و هزمهم و أعاد الأمن و الاستقرار لدمشق .

و فى سامراء سنة ۲۲۸ ه، اعطى الواثق اشناس تاجا و وشاحين .

و فى سنة ۲۳۲ ه، توفى الواثق فى سامراء و دفن فى قصره المعروف بالهارونى. و لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عبد الملك الزيات وزير ابيه .

عودة للمتوكل

و تولى الحكم المتوكل جعفر بن المعتصم، و لم تمض شهور حتى أمر بالقاء القبض على الوزير محمد بن عبد الملك الزيات و بحبسه، و فى سنة ۲۳۵ ه امر بقتل ايتاخ.

و فى سنة ۲۳۵ ه، ظهر بسامراء رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابورى فزعم أنه نبى و انه ذو القرنين و تبعه سبعة و عشرون رجلا و خرج من اصحابه ببغداد رجلان بباب العامة و آخران بالجانب الغربى، فأتى به و باصحابه المتوكل فأمر به فضرب ضربا شديدا حتى مات .

و فى سنة ۲۳۶ ه أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على عليه السّلام و هدم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۴

ما حوله من المنازل و الدور و ان يبذر و يسقى موضع قبره و ان يمنع الناس من اتيانه، فنادى بالناس فى تلك الناحية من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة حبسناه فى المطبق .

و فى سنة ۲۳۷ غضب المتوكل على احمد بن ابى دؤاد و قبض ضياعه و املاكه و حبس اولاده، و احضر المتوكل يحى بن اكثم من بغداد الى سامراء و ولاه قضاء القضاة ثم ولاه المظالم، فولى يحى بن أكتم قضاء الشرقية حيان ابن بشر، و ولى سوار بن عبد اللّه العنبرى قضاء الجانب الغربى و كلاهما اعور، فقال الجماز فيهما:

رأيت من الكبائر قاضيين‌هما احدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدراكما اقتسما قضاء الجانبين الخ

و فى سنة ۲۴۱ ه وقع مطر شديد بسامراء فى شهر آب ، و فى سنة ۲۴۳ ه سار المتوكل من سامراء الى دمشق على طريق الموصل، و دخل دمشق سنة ۲۴۴ ه، و عزم على المقام بها و نقل دواوين الملك إليها و امر بالبناء بها ثم استوبأ البلد، و ذلك بأن هواه بارد ندى و الماء ثقيل و الريح تهب فيها مع العصر فلا يزال يشتد حتى يمضى عامة الليل و هى كثيرة البراغيث و غلت فيها الأسعار و حال الثلج بين السابلة و المسيرة فرجع الى سامراء و كان مقامه بدمشق شهرين و أياما . و يذكر المسعودى ان المتوكل نزل قصر المأمون و ذلك بين داريا و دمشق، على ساعة من المدينة، فى اعلا الأرض، و هذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة و اكثر الغوطة و يعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت، و هو سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة .

و فى سنة ۲۴۵ ه، امر المتوكل ببناء مدينة المتوكلية و قد تعرضنا بالكلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۵

عنها فيما سبق. و فى سنة ۲۴۶ انتقل المتوكل الى المتوكلية، و فى سنة ۲۴۷ ه، قتل المتوكل بقصره بالمتوكلية، قتله باغر التركى و اصحابه الأتراك .

أيام المنتصر

و بويع المنتصر ابن المتوكل خليفة للعباسيين، و حضر الناس الجعفرية (المتوكلية) من القواد و الكتاب و الوجوه و الشاكرية و الجند و غيرهم فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس .

و يكاد يجمع المؤرخون من ان المنتصر كان راسخ العقل كثير المعروف راغبا فى الخير ، جوادا كثير الانصاف، حسن العشرة و أمر الناس بزيارة قبر على و الحسين عليهما السّلام، و أمن العلويين و كانوا خائفين ايام أبيه و أطلق وقوفهم .

توفى المنتصر سنة ۲۴۸ ه و دفن فى قصر الجوسق ، ذلك لأن اباه انزله ذلك القعر الذى بناه المعتصم ، و المنتصر اول خليفة من بنى العباس عرف قبره و ذلك ان امه طلبت اظهار قبره ، و من الجدير بالذكر ان المنتصر عاد الى سامراء فبدأ الخراب يدب الى المتوكلية، و رجع الناس الى منازلهم بسامراء .

فى أيام المستعين باللّه و المعتز

و بويع فى سامراء احمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى تولى فيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۶

المنتصر، و لقبه المستعين باللّه، و فى عصره ظهرت بعض الفتن فى سامراء التى اثارها الجنود الأتراك، ففى ۲۴۹ ه، وثب الجند بسامراء مرة بعد اخرى و تحاربوا و تحاملوا على (أوتامش) و قالوا أخذ ارزاقنا و ازال مراتبنا، و خرجت عصبة من الأتراك و الموالى

الى الكرخ ، فخرج إليهم اوتامش ليسكنهم فقتلوه و قتلوا كاتبه شجاع بن القاسم و ذلك فى شهر ربيع الآخر و نهبت دورهما فوقع ذلك بموافقة المستعين و كتب إلى الآفاق بلعنه .

و يذكر ابن الأثير ان نفرا من الناس لا يدرى من هم بسامراء فتحوا السجن و اخرجوا من فيه فبعث فى طلبهم جماعة من الموالى فوثب العامة بهم فهزموهم، فركب بغا و اتامش و وصيف و عامة الأتراك فقتلوا من العامة جماعة، فرمى وصيف بحجر فأمر باحراق ذلك المكان و انتهب المغاربة ثم سكن ذلك آخر النهار .

و هذه الحوادث تدل على سوء الاوضاع و اختلال الامور، و صار القادة الاتراك يوشى بعضهم ببعض و يتآمر احدهم بالآخر، ففى سنة ۲۵۱ ه، قتل باغر التركى، قتله وصيف ، و بعد ذلك انحدر المستعين مع بغا و وصيف و شاهك الخادم و احمد بن صالح بن شيرزاد الى بغداد فى حراقة، ثم تتابع الى بغداد الكتاب و العمال و بنو هاشم و جماعة من اصحاب وصيف و بغا .

و فى السابع من محرم سنة ۲۵۲ ه بويع للمعتز باللّه فى سامراء و كان سبب البيعة ان المستعين لما استقر ببغداد اتاه جماعة من الاتراك و القوا انفسهم بين يديه و جعلوا مناطقهم فى أعناقهم تذللا و خضوعا و سألوه الصفح و الرضا، قال لهم المستعين: انتم اهل بغى و فساد و استقلال للنعم، الم ترفعوا إلى فى اولادكم فألحقتهم بكم و هم نحو من ألفى غلام؟ و فى بناتكم فأمرت بتصييرهن

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۷

فى عداد المتزوجات و هن نحو من اربعة آلاف و غير ذلك كله أجبتكم اليه و أدرت عليكم الأرزاق، فعملتم آنية الذهب و الفضة و منعت نفسى لذتها و شهوتها لصلاحكم و رضاكم و انتم تزدادون بغيا و فسادا، فعادوا و تضرعوا و سألوه العفو فقال المستعين: قد عفوت عنكم و رضيت. فقال له احدهم و اسمه بابى بك : فان كنت قد رضيت فاركب معنا الى سامراء فان الاتراك ينتظرونك. فأمر محمد بن عبد اللّه بعض اصحابه فقام إليه فضربه، و قال محمد: هكذا يقال لأمير المؤمنين: قم فاركب معنا. فضحك المستعين و قال: هؤلاء قوم عجم لا يعرفون حدود الكلام، و قال لهم المستعين: ترجعون الى سامراء فان ارزاقكم دارة عليكم و أنظر انا فى أمرى فانصرفوا آيسين منه و أبغضهم ما كان من محمد بن عبد اللّه الى (بابى بك) و أخبروا من وراءهم خبرهم و زادوا و حرضوا تحريضا لهم على خلعه، فاجتمع رأيهم على اخراج المعتز و كان هو و المؤيد فى حبس الجوسق و عليهم من يحفظهم فأخرجوا المعتز من الحبس و بايعوا له بالخلافة.

و لما علم المستعين استعد لمواجهة الموقف فمنع الميرة عن سامراء و امر بتحصين بغداد و بحفر الخنادق فى الجانبين، و نصب على الأبواب المنجنيقات و العرادات و شحن الاسوار، و فرض فرضا للعيارين و جعل عليهم عريفا اسمه (يبنويه) و عمل لهم تراسا من البوارى المقيرة و اعطاهم المخالى ليجعلوا فيها الحجارة للرمى، و كتب المستعين الى عمال الخراج بكل بلدة ان يكون حملهم الخراج و الاموال الى بغداد و لا يحمل منها الى سامراء شىء و كتب الى الجند الذين بسامراء يأمرهم بنقض بيعة المعتز و مراجعة الوفاء له، و جرت بين المعتز و محمد بن عبد اللّه مكاتبات و مراسلات يدعو المعتز محمدا الى المبايعة و يذكره ما كان المتوكل اخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۸

و قدم عبد اللّه بن بقا الصغير من سامرا الى المستعين و كان قد تحلف بعد ابيه فاعتذر و قال لأبيه: انما قدمت لا موت تحت ركابك فأقام ببغداد أياما ثم هرب الى سامراء، فاعتذر الى المعتز و قال: انما سرت الى بغداد لا علم اخبارهم و آتيك بها فقبله المعتز و رده الى خدمته، و ورد الحسن بن الأفشين بغداد فخلع عليه المستعين و ضم اليه جمعا من الاشروسنية و غيرهم .

و دارت بين جيوش المعتز و جيوش المستعين معارك شديدة تبادلا فيها النصر و الهزيمة، و أخيرا انتصرت جيوش المعتز و أرغم المستعين على خلع نفسه، و خلال تلك الحوادث، اجتمعت العامة بسامراء و نهبوا سوق الجوهريين و الصيارفة ، ثم نقل المستعين الى واسط و بعد فترة قصيرة، بعث المعتز اليه من قتله، و حمل رأسه الى سامراء و قدّم الى المعتز و هو يلعب الشطرنج و قيل له هذا رأس

المخلوع فقال: ضعوه حتى افرغ من الدست، فلما فرغ نظر إليه و أمر بدفنه و امر لقاتله بخمسين الف درهم و ولاه معونة البصرة .

و كثرت الاضطرابات سنة ۲۵۳ ه في سامراء، و قد سببت تأخر اموال البلدان و نفاد ما في بيوت الاموال، فوثب الاتراك فخرج إليهم (وصيف) ليسكنهم فرموه فقتلوه و حزّوا رأسه، و تفرد بغا بالتدبير و ضعف امر المعتز حتى لم يكن له أمر و لا نهي و انتفضت الاطراف، و خرج بديار ربيعة رجل من الشراة يقال له مساور بن عبد الحميد و يعرف بأبي صالح من بني شيبان ثم صار الى الموصل فطرد عاملها حتى قرب من سامرا و نزل في المحمدية ، فدخل القصر و جلس على الفرش و دخل الحمام و ندب له المعتز قائدا و جيشا بعد قائد و جيش و هو يهزمهم حتى كثف جمعه و اشتدت شوكته .

و توفي الامام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۹۹

بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بسامراء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ۲۵۴ ه، و بعث المعتز بأخيه ابن احمد بن المتوكل فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد، فلما كثر الناس و اجتمعوا كثر بكاؤهم و ضجتهم فرد النعش الى داره فدفن فيها ، و هو يلقب بالعسكري لمقامه بسامراء و كانت تسمى العسكر .

و في عصر المعتز تولى احمد بن طولون امر مصر نيابة عن (بابكباك) كما ظهر يعقوب بن الليث الصفار و استولى على فارس و جمع جموعا كثيرة، و لم يقدر المعتز على مقاومته .

و في سنة ۲۵۴ ه، قتل بغا الشرابي، و نصب رأسه بسامراء و ببغداد و احرقت المغاربة جسده .

و في سنة ۲۵۵ خلع المعتز و قد وردت في هلاكه عدة روايات، ذكر المسعودي: انه ادخل الحمام مكرها و كان الحمام محميّا و منع الخروج منه، و ذكر روايتين بعد حادثة الحمام، فالاولى تقول انه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه، و الاخرى تقول: أنه اخرج بعد ان كادت نفسه تتلف للحمّى، ثم أسقي شربة ماء مقراة ثلج، فنثرت الكبد و غيره، فخ؟؟؟ من فوره، و ذلك ليومين خلوا من شعبان .

و ذكر ابن الاثير: ان الاتراك طلبوا منه مالا فلم يتمكن من تلبية طلبهم، فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب الحجرة و ضربوه بالدبابيس و خرقوا قميصه، و اقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلا و يضع اخرى لشدة الحر و كان بعضهم يلطمه و هو يتقي بيده، ... ثم ادخلوه سردابا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۰

و جصصوا عليه فمات .

و بويع محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي، خليفة للعباسيين، لليلة بقيت من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين للهجرة، بعد ان أحضر الأتراك الخليفة المعتز فخلع نفسه امام الناس و الى القارىء الكريم صورة الرقعة بخلع المعتز نفسه:-

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب شهدوا أن ابا عبد اللّه بن أمير المؤمنين المتوكل على اللّه أقر عندهم و اشهدهم على نفسه في صحة من عقله و جواز من امره طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافة و القيام بامور المسلمين فرأى أنه لا يصلح لذلك و لا يكمل له و أنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فأخرج نفسه و تبرأ منها و خلعها من رقبته و خلع نفسه منها و برأ كل من كانت له في عنقه بيعة من جميع اوليائه و سائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصدقة و الحج و سائر الايمان، و حللهم من جميع ذلك و جعلهم في سعة منه في الدنيا و الآخرة بعد ان تبين له ان الصلاح له و للمسلمين في خروجه عن الخلافة و التبرىء منها، و أشهد على نفسه بجميع ما سمى و وصف في هذا الكتاب، جميع الشهود المسمّين فيه و جميع من حضر بعد أن قرىء عليه حرفا حرفا فأقر بفهمه و معرفته جميع ما فيه، طائعا غير مكره و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين» فوقع المعتز في ذلك بقوله: أقر أبو عبد اللّه بجميع ما في هذا الكتاب، و كتبه بخطه و كتب الشهود شهاداتهم، شهد الحسن بن محمد، و محمد بن يحى، و احمد بن

جناب، و يحى بن زكريا ابن ابى يعقوب الأصبهانى، و عبد اللّه بن محمد العامرى، و احمد بن الفضل ابن يحى، و حماد بن اسحق، و عبد اللّه بن محمد، و ابراهيم بن محمد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۱

و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين

فى أيام المهدى

و يعتبر المهتدى من خلفاء العباسيين الذين و صفوا بحسن السيرة و التقوى و الورع و كثرة العبادة .

و فى رمضان من سنة ۲۵۵ ه، وثب عامة بغداد و جندها بمحمد بن أوس البلخى، الذى كان قدم من خراسان بجيوشه، فأعطى اصحابه من اموال جند بغداد فتحرك الجند و الشاكرية فى طلب الارزاق، و كان الذين قدموا مع محمد بن اوس من خراسان قد أساؤوا مجاورة اهل بغداد و جاهروا بالفاحشة و تعرضوا للحرم، فاتفق العامة مع الجند فثاروا و اتوا سجن بغداد عند باب الشام فكسروا بابه و اطلقوا من فيه، و نهب اهل بغداد منازل الصعاليك من اصحاب محمد بن اوس البلخى، و جرح بن اوس البلخى و انهزم هو و اصحابه و تبعهم الناس حتى اخرجوهم من باب الشماسية و انتهبوا منزله و جميع ما كان فيه .

و واجهت خلافة المهتدى أخطر مشكلة، تلك هى مشكلة الزنج و قيام حركتهم فى منطقة البطائح من جنوب العراق، و قد بدأت تلك الحركة سنة ۲۵۵ ه، و اشغلت الخلافة العباسية حتى سنة ۲۷۰ ه، و دارت بين الزنج و جيوش العباسيين حروب طاحنة انتهت بانتصار الموفق ولى عهد الخلافة العباسية ايام الخليفة المعتضد العباسى .

حاول المهتدى أن يتقرب من العامة ليستند إليهم و يتخذهم عونا قويا له فى كفاحه الاتراك، فبنى قبة لها اربعة ابواب و سماها قبة المظالم، و جلس

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۲

فيها للخاص و العام، و امر بالمعروف و نهى عن المنكر، و حرم الشراب و نهى عن القيان، و اظهر العدل، و كان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع، و يخطب الناس و يؤم بهم . و لما اشتد النزاع بينه و بين الاتراك، أحضر جماعة منهم فضرب أعناقهم و فيهم بابكيال رئيسهم فاجتمع الاتراك و شغبوا فخرج إليهم المهتدى فى السلاح معلقا فى عنقه المصحف و استنفر العامة و اباحهم دماءهم و اموالهم و نهب منازلهم .

و لكن يبدو ان الاتراك كانوا من القوة أن سيطروا على زمام الامور فى سامراء، حيث تجمعوا فتفرق العامة و تمكنوا من الخليفة و دخلوا قصره و قضوا عليه ، و ذكر ابن الأثير يصف اللحظات الأخيرة للخليفة المهتدى و صراعه مع الأتراك فيقول: فركب المهتدى و قد جمع له جميع المغاربة و الأتراك و الفراغنة فصير فى الميمنة مسرورا البلخى و فى الميسرة ياركوج. و وقف هو فى القلب مع اسارتكين و طبغايغو و غيرهما من القواد، فأمر بقتل بابكيال و القى رأسه إليهم عتاب بن عتاب فحملوا على عتاب فقتلوه. و عطفت ميمنة المهتدى و ميسرته بمن فيها من الاتراك فصاروا مع اخوانهم الاتراك فانهزم الباقون عن المهتدى، و قتل من اصحاب المهتدى خلق كثير و ولى منهزما و بيده السيف و هو ينادى: يا معشر المسلمين، انا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتكم، فلم يجبه احد من العامة الى ذلك، فسار الى باب السجن فأطلق من فيه و هو يظن انهم يعينونه فهربوا و لم يعنه احد. فسار الى دار احمد بن جميل صاحب الشرطة، فدخلها و هم فى اثره فدخلوا عليه و اخرجوه و ساروا به الى الجوسق على بغل فحبس عند احمد بن خاقان، و قبل المهتدى يده فيما قيل مرارا عديدة ، و جرى بينهم و بينه كلام ارادوه فيه على الخلع و استسلم للقتل و قالوا: انه كان قد كتب بخطه رقعة لموسى بن بغا و بابكيال و جماعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۳

من القواد انه لا يغدر بهم و لا يغتالهم و لا يفتك بهم، و لا يهم بذلك و انه متى فعل ذلك فهم فى حل من بيعته و الامر إليهم يقعدون من شاؤوا فاستحلوا بذلك نقض امره، فداسوا خصيته و صفعوه فمات و اشهدوا على موته انه سليم ليس به أثر و دفن بمقبرة المنتصر .

فى أيام المعتمد على اللّه

تولى الخلافة بعد هلاك المهتدى ابو العباس احمد بن المتوكل الملقب بالمعتمد على اللّه، و فى أيامه كان الأمر و النهى لأخيه طلحة المعروف بالموفق، و كانت للموفق ايضا قيادة الجيوش و محاربة الاعداء، و مرابطة الثغور، و ترتيب الوزراء و الامراء، و كان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته .

و فى سنة ۲۵۶ ه، اى فى السنة التى بويع فيها المعتمد بالخلافة، دخل الزنج مدينة البصرة و قتلوا كثيرا من اهلها و احرقوها ، و فى نفس السنة ظهر على بن زيد العلوى بالكوفة و استولى عليها و ازال عنها نائب الخليفة و استقر بها، فسيرت الجيوش لمحاربته و انتصر فى بداية الأمر على بن زيد و لكنه لم يتمكن من الوقوف امام كيجور التركى و جيوشه، و استقامت الامور للقائد التركى فى الكوفة و عاد بعدها الى سامراء بغير امر الخليفة، فوجه إليه الخليفة نفرا من القواد فقتلوه بعكبرا فى ربيع الاول سنة سبع و خمسين و مائتين .

و فى سنة ۲۵۸ حصل وباء فى العراق شمل بغداد و واسط و سامراء، و ذكر اليعقوبى أنه مات كثير من الخلق و كان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل ان ينصرف، فيقال انه مات ببغداد فى يوم واحد اثنا عشر الف انسان .

و اشتدت المعارك بين جيوش الخليفة العباسى و الزنج، و فى سنة ۲۵۹ ه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۴

عاد الموفق من حرب الزنج متعللا بالمرض فبعث المعتمد موسى بن بغا، فشخص من سامراء نحو الزنج و جرت بينه و بينهم حروب شديدة ، و فى هذه السنة دخل الأهواز، كما دخل يعقوب بن الليث الصفار مدينة نيسابور .

و فى سنة ۲۶۰ ه توفى فى سامراء الامام الحسن بن على بن محمد (ع) المعروف بالعسكرى و دفن فى داره فى البيت الذى دفن فيه ابوه و هو ابن ثمان و عشرين سنة .

فى أيام المعتمد

و فى سنة ۲۶۱ ه، جلس المعتمد العباسى فى دار العامة بسامراء فولى ابنه جعفرا العهد و لقبه المفوض الى اللّه، و ولى اخاه الموفق العهد بعد جعفر و لقبه الناصر لدين اللّه و ولاه المشرق و بغداد و السواد و الكوفة و طريق مكة و المدينة و اليمن و كسكر، و كور دجلة و الاهواز و فارس و اصبهان و قم و كرج و دينور و الرى و زنجان و السند، و شرط ان حدث به الموت و جعفر لم يبلغ، ان يكون الامر للموفق ثم لجعفر بعد و أخذت البيعة بذلك. و امر الموفق ان يسير الى حرب الزنج .

و فى سنة ۲۶۲ سار المعتمد العباسى بجيشه الى سامراء لمحاربة يعقوب بن الليث الصفار، فوصل بغداد ثم الى الزعفرانية فنزلها و قدم أخاه الموفق، و دخل يعقوب الصفار مدينة واسط، و سير المعتمد اخاه الموفق فى العساكر لمحاربة يعقوب، فتنازل الموفق مع جيوش يعقوب و اوقع بها هزيمة كبيرة، و رجع المعتمد الى سامراء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۵

و فى سنة ۲۶۴ حصلت مشكلة بين الاخوين الخليفة المعتمد و ولى عهده الموفق، و سببها انه خرج سليمان بن وهب من بغداد الى سامراء و شيعه الموفق و القواد، فلما صار إلى سامراء غضب عليه المعتمد و حبسه و قيده و انتهب داره و دارى ابنيه وهب و ابراهيم، و

استوزر الحسن بن مخلد فی ذی القعدة، فسار الموفق من بغداد إلی سامراء و معه عبد اللّه بن سلیمان بن وهب، فلما قرب من سامراء تحول المعتمد الی الجانب الغربی فعسکر به مغاضبا للموفق، و اختلفت الرسل بینه و بین الموفق و اتفقا و خلع علی الموفق، و اطلق سلیمان بن وهب و عاد الی الجوسق .

و توفی یعقوب بن اللیث الصفار و تولی من بعده اخوه عمرو بن اللیث، و عینه الموفق علی الشرطة ببغداد و سامراء، کما ولی خراسان و فاراب، و اصبهان و سجستان و کرمان و السند .

و فی هذه الفترة شددت الخلافة العباسیة علی محاربة الزنج و القضاء علیهم، فقد تحسنت اوضاع الخلافة بعض الشیء خاصة بعد وفاة یعقوب بن اللیث الصفار، کما ان توسع الزنج و سیطرتهم علی مدینة واسط و تهدیدهم الخلافة کان من العوامل المهمة التی دفعت بالخلافة العباسیة و القادة العباسیین الی اتخاذ مواقف حاسمة ضد الزنج، فجهز الموفق الجیوش الکثیفة، و اعد کذلک اسطولا نهریا، و اصبحت قیادة ذلک الجیش لابی العباس المعتضد ابن الموفق، و انتصر المعتضد انتصارات اولیة علی جیوش الزنج کانت لها اهمیة کبیرة فی تقویة المعنویات فی صفوف العباسیین، فقد انتصر علی قائد الزنج سلیمان ابن جامع انتصارا رائعا و نجح فی تمزیق جیشه .

و لما اعد الزنج قوة کبیرة لمحاربة المعتضد، توجه الموفق سنة ۲۶۷ بجیش کبیر لینضم الی جیش المعتضد و لیکون قوة و سندا له، و لما سمع المعتضد

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۶

بتحرکات الزنج و استعداداتهم تراجع الی مقره بجوار واسط لینتظر والده .

ثم سار الموفق و ابنه المعتضد و سیطروا علی مدینة (المنیعة) القریبة من واسط و هی من حصون الزنج الکبیرة، ثم سارا بجیوشهما لاحتلال (المنصورة) و کان الزنج قد حصنوها بخمسة خنادق، و جعلوا أمام کل خندق منها سورا یمتنعون به . ثم سار الموفق الی المختارة عاصمة الزنج القریبة من ابی الخصیب فی لواء البصرة، و کانت هذه المدینة محصنة بتحصینات منیعة، فحاصرها الموفق و منع التموین عنها و اطال الحصار علیها، و قد حاول الزنج فک الحصار المضروب علیهم و لکن دون جدوی.

و اخذت هجمات العباسیین علی المختارة بشکل متتابع و کان الهجوم العام علی شرقی أبی الخصیب و غربیه فی اواخر محرم من سنة ۲۷۰ ه و تمزقت جیوش الزنج و هرب رئیسهم و ابنه و سلیمان ، و بذلک انتهت هذه المشکلة الخطیرة التی هددت الخلافة العباسیة و التی کانت من اهم عوامل تفککها و انحلالها.

و حصلت بین المعتمد الخلیفة العباسی و ولی عهده الموفق جفوة، فقرر المعتمد الذهاب الی مصر، و کتب الخلیفة الی احمد بن طولون یشکو إلیه حاله سرّا من اخیه الموفق، فأشار علیه احمد بن طولون اللحاق به بمصر و وعده النصرة و سیر عسکرا الی الرقة ینتظر وصول المعتمد إلیهم. فاغتنم المعتمد غیبة الموفق و انشغاله فی حروب الزنج، فسار و سار معه جماعة من القواد فأقام بالکحیل یتصید، فلما سار الی عمل اسحق بن کنداج و کان عامل الموصل و عامة الجزیرة وثب ابن کنداج بمن مع المعتمد من القواد فقبضهم و انحدر بهم الی سامراء فتلقاه صاعد بن مخلد کاتب الموفق، فسلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۷

اسحق بن کنداج، الخلیفة إلیه فأنزله دار احمد بن الخصیب و منعه من نزول دار الخلافة، و وکل به خمسمائة رجل یمنعون من الدخول إلیه، و لما بلغ الموفق ذلک، بعث الی اسحق بخلع و اموال، و اقطعه ضیاع القواد الذین کانوا مع المعتمد، و لقبه ذا السندین، و لقب صاعدا ذا الوزارتین، و اقام صاعد فی خدمة المعتمد، و لکن لیس للمعتمد حل و لا ربط، و قال المعتمد فی ذلک:

أ لیس من العجائب أنّ مثلی یری ما قلّ ممتنعا علیه

و تؤخذ باسمه الدنیا جمیعا و ما من ذاک شیء فی یدیه

إلیه تحمل الأموال طرّا و یمنع بعض ما یجبی إلیه

و فی سنة ۲۷۱ ه، تأزمت الحالة بين الطولونيين و العباسيين، و سار المعتضد على رأس جيش لمحاربة خمارويه بن احمد بن طولون، و انتصر الطولونيون على جيش العباسيين ، و فی نفس السنة عزل عمرو بن الليث عن خراسان، و وقعت معارك بين الصفاريين و العباسيين، و دارت الدائرة على جيش عمرو بن الليث الصفار فانهزم عمرو و عساكره، و غنم العباسيون عددا كبيرا من الدواب و البقر .

و بلغت الخلافة العباسية حدا من الضعف و الفوضى و عدم السيطرة و الضبط على الامور، حتى لنلمس ذلك فی تصرفات القادة و الامراء، و من امثلة ذلك ان خلافا شخصيا وقع بين محمد بن ابی الساج و اسحق بن كنداج و كلاهما من ولاة الامر فی الجزيرة، و ان محمد بن ابی الساج نافر ابن كنداج فی الأعمال و اراد التقدم و امتنع عليه اسحق، فماذا كانت النتيجة؟ ارسل ابن ابی الساج الی خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر و اطاعه و صار معه و خطب له بأعماله و هی قنسرين . فقامت الحرب بين المتنافرين و تدخل خمارويه بجيوشه لصالح محمد بن ابی الساج، حتى سيطر على الجزيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۸

و الموصل و خطب لخمارويه فيها ثم لنفسه بعده . و هذا مما لا شك فيه من العوامل التی ادت الی اضعاف الدولة العباسية و هبوط هيبة الخلافة. و استمرار الحروب بين المتنافسين قد سبب ارتباكا عاما فی جهاز الدولة الاقتصادی و العسكری.

و فی سنة ۲۷۴ ه، عادت الحرب ثانية بين العباسيين و الصفاريين، و فی سنة ۲۷۶ ه، جعلت شرطة بغداد الی عمرو بن الليث الصفار و كتب اسمه على الاعلام و الترسة و غيرها .

و فی سنة ۲۷۸ توفی الموفق ولی عهد الخلافة العباسية و كان مريضا بالنقرس ، و فی ذات السنة تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة، و اشتهر منهم حمدان و كان قد اتخذ كلواذی القريبة من بغداد مقرا له، و كان يظهر الزهد و التقشف و يسف الخوص و يأكل من كسبه و يصلی اكثر الناس و يصوم ، و يظهر انه كان أكارا بقارا ، و قد نظّم حمدان حركة القرامطة تنظيما كان له الأثر الكبير فی نجاح الدعوة القرمطية و انتشارها فی انحاء مختلفة من العالم الاسلامی .

و فی سنة ۲۷۹ ه، خرج المعتمد العباسی و جلس للقواد و القضاة و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الی اللّه جعفر من ولاية العهد، و جعل ولاية العهد للمعتضد باللّه ابی العباس احمد بن الموفق .

و يبدو ان المعتمد العباس ترك سامراء، و انه اتخذ بغداد حاضرة ملكه، و ذلك بعد ان عمّر قصره العظيم المعروف فی التاريخ بقصر المعشوق .

و فی نفس السنة توفی الخليفة المعتمد على اللّه فی القصر الحسنی ببغداد، و حمل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۰۹

الی سامرا فدفن بها .

و هكذا انتهت قصة سامراء عاصمة العباسيين، و التی عاشت حوالی الخمس و الخمسين سنة، ملك بها ثمانية خلفاءهم المعتصم، و الواثق باللّه، و المتوكل على اللّه، و المنتصر باللّه، و المستعين باللّه، و المعتز باللّه، و المهتدی باللّه، و المعتمد على اللّه.

و بانتقال الخليفة العباسی الی بغداد، انتقلت معه الدواوين و جميع اجهزة الدولة، و بعد فترة و جيزة اصبحت سامراء من المدن الصغيرة، بعد ان كانت قد ضاهت بغداد فی سعتها و كثرة عمرانها و جمال قصورها و نضارة متنزهاتها.

ذكر القزوينی فی سامراء: انها اعظم بلاد اللّه بناء و اهلا ... و لم يكن فی الارض احسن و لا أجمل و لا أوسع ملكا منها ، و قال ابن جبير فی رحلته: و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ... و على قبالة هذا الموضع فی الشط الشرقی مدينة (سر من رأی) و هی اليوم عبرة من رأی أين معتصمها و واثقها و متوكلها، مدينة كبيرة قد استولی الخراب عليها إلّا بعض جهات منها هی اليوم معمورة، و لم يبق إلّا الأثر من محاسنها و اللّه

طرف من اطلال قصر المعشوق

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۰

وارث الأرض و من عليها لا إله غيره .

و من المرجع ان بناء مدينة سامراء كان مشروعا لم تتوفر له اسباب و دعائم النجاح، و الذى أبقاها كمدينة (قضاء) اليوم هو وجود العتبات المقدسة فيها، و كونها قريبة من بغداد و ان لآثارها العباسية اهمية تاريخية و اثرية تعمل على ورود كثير من السيّاح و الجوابين إليها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۱

سامرا فى الشعر

اشارة

جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية نماذج مقتطفة مما جاء من ذكر سامراء فى الشعر فؤاد عباس

من خريجى الجامعة الاميركية ببيروت

و المفتش الاختصاصى فى وزارة التربية العراقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۳

أحمد بن أبى دؤاد

(سرّ من را) أسرّ من بغدادفارم بغداد عامدا ببعاد

حبذا مسرحاتها ليس تخلوابدا من طريدة و طراد

و ديار كأنما نسج الدهرعليها محبّر الابراد

و اذكر المشرف المطلّ منالتلّ على الصادرين و الورّاد

و اذا روّح الرعاة فلا تنس‌تداعى فراقد الاولاد

السيد أحمد الموسوى

قال مؤرخا تجديد ضريحى العسكريين (ع) بسامرّاء:

الى مهرجان أقام الهدىله حفلات باسمى معرّس

رأت (سرّ من را) و من أمّهاضريحا على خير مثوى يؤسّس

نعم هو مثوى هداة الانام‌كأن النبىّ بمغناه يرمس

به شيّد الحق تاريخه:(و جدّد نصب ضريح مقدّس)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۴

الشيخ أحمد النحوى

قال مصدّرا و الاعجاز لولده الشيخ محمد رضا و قد نظماها فى طريق أسامرّاء من قصيدة :

رحها فقد لاحت لديک المعاهدو عمّا قليل للديار تشاهد

و تلک القباب الشامخات ترفّعتو لاحت على بعد لديک المشاهد

و قد لاحت الاعلام اعلام من لهم‌حديث المعالى قد رواه (مجاهد)

حثثنا اليها العيس قد شفّها النوى‌و قد اخذت منها السرى و الفدافد

نؤّم بها دار العلى (سرّ من رأى)ديار لآل اللّه فيها مراقد

ديار بها الهادى الى الرشد و ابنه‌و نجل ابنه و الكل فى الفضل واحد

و له من قصيدة عند زيارته الامامين العسكريين (ع) فى سامرّاء :

فيا ابن النبى المصطفى و سميّه‌و من بيديه الحلّ فى الكون و العقد

اليک حثثناها خفافا عيا بهاعلى ثقة أن سوف يوقرها الرفد

فألوت على دار أناخ بها الندى‌و ألقى عليها فضل كلكله المجد

فعوجا فهذا السر من (سرّ من رأى)يلوح فقد تمّ الرجا و انتهى القصد

و هاتيک ما بين السراب قبابهم‌فآونة تخفى و آونة تبدو

البحترى

قال من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الثغرى و يذكر انتصاره

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۵

على بابک :

ما زلت تقرع باب بابک بالقناو تزوره فى غارة شعواء

حتى اخذت بنصل سيفک عنوة‌منه الذى اعيا على الخلفاء

اخليت منه (البذّ) و هى قرارة‌و نصبته علما ب (سامرّاء)

و قال فى (الخضر بن أحمد) :

قالت اراک بسرّ من را ثاويافى مرتع جشب و عيش منصب

قلت اربعى فى سرّ من را سيّدكرمت ضرائبه عظيم المنصب

و قال :

كم ليلة ذات اجراس و اروقة‌كاليمّ يقذف امواجا باموا‌ج فالزوّ و (الجوسق) الميمون قابله

غنج (الصبيح) الذى يدعى بصّناج بسرّ من را) سرى همى و سامرنى

لهو نفى الهم عن قلبى باخراج و قال يمدح علىّ بن مرّ الطائى :

اهزّ بالشعر اقواما ذوى و سن‌فى الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

على نحت القوافى من مقاطعهاو ما علىّ لهم ان تفهم البقر

لا رحلنّ و آمالى مطرّحة‌(بسر من راء) مستبطى لها القدر

*** و قال :

و أرى المطايا لا قصور بهاعن ليل (سامرّاء) تدّرعه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۶

و قال :

و لما قصدنا (سرّ من را) تضاء لاو لا خضر يقرى فيهما، البدو و الحضر

و قال يخاطب ابراهيم بن المدبّر :

ايّ شيء الهاك عن سرّ من رااى و ظلّ للعيش فيها ظليل

بديع الزمان الهمدانى

أما ترونى اتغشّى طمراممتطيا فى الضرّ أمرا مرّا

اقصى امانيّ طلوع الشعرىفقد غنينا بامانى دهرا

و كان هذا الحرّ أعلى قدراو ماء هذا الوجه اغلى سعرا

فانقلب الدهر لبطن ظهراو عاد عرف العيش عندى نكرا

لم يبق من وفرى الا ذكراثم الى اليوم هلّم جرّا

لو لا عجوز لى (بسرّ من را)و افرخ دون جبال (بصرى)

قد جلب الدهر عليهم ضرّاقتلت يا سادة نفسى صبرا

أبو تمّام

قال من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم و يذكر اخذ بابك الخرّمى :

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۷ لما قضى رمضان فيه قضاءهشالت به الأيام فى شوّال

ما زال مغلول العزيمة سادراحتى غدا فى القيد و الأغلال

متلّبسا للموت طوقا من دملما استبان فظاظة الخلخال

لاقى الحمام (بسرّ من راء) التىشهدت لمصرعه بصدق الفال

قطعت به اسبابه لما رمىبالطرف بين الفيل و الفيّال

*** و قال من قصيدة يمدح ابا سعيد و قد غاب عنه :

سأوطىء اهل (العسكر) الآن عسكرامن الذلّ محّاء لتلك المعالم

فانى و ما حورفت فى طلب الغنىو لكنكم حورفتم فى المكارم

*** و قال فى اصدقاء له ثلاثة :

لى فى نصيبين شجو يستهلّ لهدمعى و شجو (بسامرّا) و أرّان

ثلاثة سلبتنيهم حتوفهمبعد ائتلاف و خلّتنى و احزانى

لقد خبت منهم بعد استنارتهافى الافق أنجم إنعام و إحسان

*** و قال يذم بغداد و يمدح سرّ من رأى :

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۸ لقد اقام على بغداد ناعيهافليبكها لخراب الدهر باكيها

كانت على ما بها و الحرب موقدةو النار تطفىء حسنا فى نواحيها

ترجى لها عودة فى الدهر صالحةفالآن اضمر منها اليأس راجيها

مثل العجوز التى ولّت شبيبتهاو بان منها جمال كان يحظيها

لزّت بها ضرّة و هزاء واضحةكالشمس احسن منها عند رائيها

جابر الكاظمىّ

قال من قصيدة بمناسبة تعمير مشهد العسكريين (ع) فى سامرّاء الذى تمّ سنة ۱۲۸۵ ه :

شمس قدس أبى سناها الغياباقد انارت من العراق الرحابا

سامرت (سامرّاء) منها ذكاءنورها اذهب الظلام ذهابا

تأخذ الشمس أهبة من ضياهاثم تهدى الى النهار إهابا

و قال يمدح السيّد مرزا محمد حسن الشيرازى و يهنّيه بيوم الغدير :

ان يوم الغدير يوم منيرملأ الارض و السما منه نور

قد صفا الدهر و ازدهى بصفاءإذ أعاد الصفا اليه الغدير

أىّ سبط سرّت به (سرّ من را)إذ لها بالهداة دام السرور

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۱۹

السيد جعفر كمال الدين

قال فى دار السيد حسن الصدر فى سامرّاء :

لقد بقيت بسامرّاء منفردامثل انفراد سهيل كوكب اليمن

و الدهر لما رمانى فى فوادحه‌آليت لا اشتكى إلّا الى (الحسن)

الجواهرى

من قصيدة عنوانها: الطبيعة الضاحكة فى سامرّاء :

حييت سامرّا تحية معجب‌برواء متسع الفناء ظليله

بلد تساوى الحسن فيه فليله‌كنهاره و ضحاؤه كأصيله

ساجى الرياح كأنما حلف الصباألّا يمرّ عليه غير عليله

طلق الضواحى كاد يربى مقفرمنه بنزهته على مأهوله

و كفاك من بلد جمالا أنه‌حدب على انعاش قلب نزيله

عجبى بزهو صخوره و جباله‌عجبى بمنحدراته و سهوله

بالشاطىء الأدنى و بسطة رمله‌بالشاطىء الأعلى و برد مقيله

بجماله و البدر يملؤه سنابجلاله رهن الدجى و سدوله

بالنهر فياض الجوانب يزدهى‌بالمطربين: خريره و صليله

ذى جانبين: فجانب متطامن‌يقسو النسيم عليه فى تقبيله

بازاء آخر جائش متلاطم‌يرغو اذا ما انصبّ نحو مسيله

فصلتهما الجزر اللطاف نواتئاكلّ تحفز ماثلا لعديله

و جرت على الماء القوارب عورضتبالجرى فهى كراسف بكبوله

فاذا التوت لمسيله فكأنهاتبغى الوصول اليه قبل وصوله

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۰ و اذا نظرت رأيت ثمّة قارباتمتازه بالضوء من قنديله

أو صوت مجذاف يبين بوقعهفوق الحصى عن شجوه و عويله

***

ساد السكون على العوالم كلّهاو تجلبب الوادى رداء خموله

و تنبهت بين الصخور حمامةتصغى لصوت مطارح بهديله

و اشاع شجوا فى الضفاف ورقةإيقاظ نوتىّ بها لزميله

و لقد رأيت فويق دجلة منظراالشعر لا يقوى على تحليله

شفقا على الماء استفاض شعاعهذهبا على شطآنه و حقوله

حتى اذا حكم المغيب بداله‌شفق يحوط البدر حين مثوله

فتخالف الشفقان: هذا فائرصعدا، و هذا ذائب بنزوله

ثم استوى فضى نور عابث‌بالمائجتين: مياهه و رموله

فاذا الشواطىء و المساحب و الربىو الشط و الوادى و كل فضوله

قمراء راقصة الأشعّة جلّلت‌بخفّى سرّ رائع مجهوله

و الجوّ افرط فى الصفاء فلو جرىنفس عليه لبان فى مصقوله

هذى الحياة لمثلها يحنو الفتى‌حرصا و اشفاقا على مأموله

***

و اذا اسفت لمؤسف فلأنه‌خصب الثرى يشجيك فرط محوله

قد كان فى خفض النعيم فبالغت‌كف الليالى السود فى تحويله

بدت القصور الغامرات حزينةمن كل منهوب الفناء ذليله

كالجيش مهزوم الكتائب فلّه‌ظفر، ورقّ عدّوه لفلوله

(العاشق) المهجور قوض ركنه‌كالعاشق الآسى لفقد خليله

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۱ و الجعفرىّ و لم يقصّر رسمه‌الباقى- برغم الدهر- عن تمثيله

بادى الشحوب تكاد تقرأ لوعةلنعيمه المسلوب فوق طلوله

و كأنما هو لم يجد عن (جعفر) بدلا يسرّ به و لا عن جيله

فضّت مجالسه به و خلون من‌شعر (الوليد) بها و من ترتيله

***

و لقد شجتنى عبرة رقراقةحيرانة فى العين عند دخوله

انى سألت الدهر عن تخطيطه‌عن سطحه عن عرضه عن طوله

فأجابنى: هذى الخريدة صدره‌و البلقع الخالى مجرّ ذيوله

و سل الرياح السافيات فانهاادرى بكل فروعه و اصوله

و تعلّمن ان الزمان اذا انتحى‌شهب السما كانت مداس خيوله

مدّت بنو العباس كفّ مطاول‌فمشى الزمان لهم بكفّ مغوله

و اجتاح صادق ملكهم لما طغوابدعيّ ملك كاذب منحوله

و كذا السياسة فى التقاضى عنده‌تسليم فاضله الى مفضوله

خلّدت سامرّاء لم اوصلك من‌فضل حشدت علىّ غير قليله

يا فرحة القلب الذى لم تتركى‌اثرا للاعج همه و دخيله

و افاك ملتهب الغليل و راح عن‌مغناك يحمد منك برد غليله

أنعشيّه و نفيت عنه هواجساضايقنه و أثرن من تخييله

و صدقته أملا رآك لمثله‌أهلا، فكنت، و زدت فى تأميله

هذا الجميل الغض سوف يردّه‌شعرى اليك مضاعفا بجميله

و له من قصيدة عنوانها: سامرّاء او ساعة مع البحترىّ :

أسدى اليّ بك الزمان صنيعافحمدت صيفا طيبا و ربيعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۲ أجللت منظرك البديع و منظراجللته لم لا يكون بديعا!!؟

درج الزمان بها سريعا بعدماناشدته الّا يمرّ سريعا

قرّت بمرآها العيون و قرحةللعين الّا تبصر المسموعا

و نعمت اسبوعا بها و سعيدةسنة نعمت خلالها اسبوعا

الفيت حسن الشاطئين مرقرقاغضّا و خصب الشاطئين مريعا

واضعت احلامى و شرخ شبيبتى‌و طلاقتى فوجدتهنّ جميعا

صبح اغرّ و ليلة جذلانةبيضاء تهزأ بالصباح سطوعا

و البدر بالأنوار يملأ دجلةزهوا و يبعث فى النفوس خشوعا

و ترى ارتياحا فى الضفاف و هزةتعلو الرمال اذا أجدّ طلوعا

و جرت على الحصباء دجلة فضّةصهرت هناك فموّعت تمويعا

و كأنما سبكوا قواريرا، بهامضّى السنا، فتصدّعت تصديعا

و ترى الصخور على الجبال كأنمالبست بهنّ من الهجير دروعا

***

دور الخلائف عافها سمّارهاو تقطعت اسبابها تقطيعا

درجت بساحتها الحوادث و انبرى‌خطب الزمان لها فكان فظيعا

حتى شواطىء دجلة منسابةتأبى تشاهد منظرا مفجوعا

أبّنتها مرثية و لطالماغازلت منها حسنها المسموعا

و لقد تذمّ جلادة فى موقف‌للنفس أجمل ان تكون جزوعا

قصر الخليفة جعفر كيف اغتدى‌بيد الحوادث، فظّة، مصفوعا!

و كم استقرّ على احتقار طبيعةلم تأله التحطيم و التصديعا!!

و لقد بكيت و ما البكاء بمرجع‌ملكا بشهوة مالكيه بيعا

زر ساحة السجن الفظيع تجد بهما يستثير اللوم و التقريعا

ان الذين على حساب سواهم‌حلبوا ملذّات الحياة ضروعا

رفعوا القصور على كواهل شعبهم‌و تجاهلوا حقّا له مشروعا

حتى اذا ما الشعب حرّك باعه‌فاذا هم ادنى و أقصر بوعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۳

الحسين بن الضحاك

قال مفضلا سامرّاء على بغداد:

على سرّ من را و المصيف تحيةمجلّلة من مغرم بهواهما

الأهل لمشتاق ببغداد رجعةتقرّب من ظلّيهما و ذراهما؟؟

محلّان لقّى اللّه خير عباده‌عزيمة رشد فيهما فاصطفاهما

و قولا لبغداد اذا ما تنسّمت‌على أهل بغداد جعلت فداهما

أفى بعض يوم شفّ عينىّ بالقذاحرورك حتى رابنى ناظراهما!!

حيدر الحلى

أدم ذكرها يا لسان الزمانو فى نشرها فمك العاطر

و هنّ بها (سرّ من را) و من‌به ربعها آهل عامر

و قل يا تقدّست من بقعةبها يغفر الزلة الغافر

كلا اسميك فى الناس باد له‌باوجههم أثر ظاهر

فأنت لبعضهم (ساء من‌رأى) و به يوصف الخاسر

و أنت لبعضهم (سرّ من‌رأى) و هو نعت لهم زاهر

و قال من قصيدة فى مدح النبى و العسكريّين (ع) و العلّامة محمد حسن الشيرازى :

زان (سامرّا) و كانت عاطلاتتشكّى من محلّيها الجفاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۴ و غدت افناؤها آنسةو هى كانت اوحش الارض فضاء

حىّ فيها (المرقد الاسنى) و قل‌زادك اللّه بهاء و سناء

ثم ناد (القبّة) العليا و قل‌طاولى يا قبة (الهادى) السماء

بمعالى (العسكريين) اشمخى‌و على افلاكها زيدى علاء

و بنا عرّج على تلك التى‌اودعتنا عندها (الغيبة) داء

خالد الكاتب

كانت اول شىء قيل فى بناء سرّ من رأى :

عزم السرور على المقام بسرّ من را للامام

بلد المسرّة و الفتوح المستنيرات العظام

و تراه اشبه منزلفی الارض بالبلد الحرام

فاللّه يعمره بمناضحی به عزّ الأنام

و قال فيها أيضا :

بيّن صفو الزمان عن كدرهفی ضحكات الربيع عن زهره

يا سرّ من را بوركت من بلدبوركَ فی نبته و فی شجره

غرس جدود الأنام نكبتها(بابك) و (المازيار) من ثمره

فالفتح و النصر ينزلان بهو الخصب فی تربه و فی شجره

و قال فيها أيضا :

اسقنی فی جرائر و زقاقلتلاقی السرور يوم التلاقی

من سلاف كأن فی الكأس منهعبرات من مقلتی مشتاق

فی رياض بسرّ من را الی الكرخ و دعنی من سائر الآفاق

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۵ ياد كارات كل فتح عظيملامام الهدی أبی اسحاق

دعبل بن علی الخزاعی

قال يهجو عميرا الكاتب :

خرجت مبكرا من (سرّ من را)ابادر حاجة فاذا (عمير)

فلم أثن العنان و قلت أمضیفوجهك يا عمير ... و خير

و قال فی انشاء سرّ من رأی :

(بغداد) دار الملوك كانتحتی دهاها الذی دهاها

ما غاب عنها سرور ملكعاد الی بلدة سواها

ما (سرّ من را) بسرّ من رابل هی بؤسی لمن يراها

عجّل ربّی لها خرابابرغم أنف الذی ابتناها

سكن

جارية محمود الورّاق قالت فی المعتصم العبّاسی :

ان الامام اذا ارفا الی بلدأرفا اليه بعمران و ايناس

فاصبحت (سرّ من را) دار مملكةمختطّة بين انهار و أغراس

يا غارس الآس و الورد الجنیّ بهاغرس الامام خلاف الورد و الآس

غراسه كل عات لا خلاق لهعبل الذراع شديد البأس قنعاس

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۶ كبابك و أخيه اذ سما لهمابباتر للشوی و الجيد خلّاس

فذاك بالجسر نصب للعيون و ذا(بسرّ من را) علی سامی الذرا راسی

شاعر

يهجو ابا الفرج محمد بن على السامرّى (نسبة الى سامرّاء) احد وزراء الخليفة العباسى المستكفى باللّه :

الآن إن كفر المقتّر رزقهقالوا كفرت فخف عقاب النار

أ أكون رجلى مركبى و جنيبتى‌خفّى على ذلىّ بذاك و عار

و (السرّ من رائىّ) فى اصطبلهمئتا عتيق فاره مختار

كلب حمار بالخيول، و كاتب‌فطن يضيق به كراء حمار!؟

انا قد دهشت فعرفونى أنتم:هذا من الانصاف فى الاقدار؟؟

الشيخ عبد الحسين الحويزى

قال مادحا الامام على الهادى (ع) :

بك ارض (سامرّاء) اشرق نورهافمحت دجاها بالسنا المتوقد

و علت بهيكلك الشريعة مسنداو السمك يعلو بارتفاع الاعمد

و نزلت كالبيت العتيق مكانةزيّنتها فى نائل متجدّد

و قال من قصيدة مادحا الامام الحسن العسكرى (ع) :

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۷ شخصت لرفعتك النجوم طوالعااكبرن شخصك بالعيون الحسّد

و خطرت عن عمرو العلا بارومةنشرت على الخضرا ذوائب سؤدد

اصبحت ملتزما (مقام حظيرة)قدسيّة عظمى و (قبلة مسجد)

باب لدار علاك اضحت (حطّة)مسحت بها جبهات قوم سجّد

عبيد اللّه بن أبى طاهر

اقول لمّا هاج قلبى ذكرىو اعترضت وسط السماء الشعرى

كأنها ياقوتة فى مدرى‌ما أطول الليل بسرّ من را

الوزير الكاتب (أبو محمد بن سفيان)

كتب الى ابى اميّة ابراهيم بن عصام يعرّض باحد الملوك :

امرر بقاضى القضاة ان لهحقّا على كل مسلم يجب

و قل له ان ما سمعت بهعن (سرّ من راء) كلّه كذب

قد غرّنى مثل ما غررت بهفجئته يستحثّنى الطرب

حتى اذا ما انتهيت صرت الى‌سراب قفر من دونه حجب

و ملّة للسماح ناسخةلها نبىّ إلهه الذهب

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۸

السيد محمد على آل خير الدين

من قصيدته. الحنين الى سامرّاء :

عج للمحصّب من مشارق دجلةحيث الفضا و الماء و الخضراء

فهناك مربع جيرتى و هناك مفزع حيرتى و هناك (سامرّاء)

فاحبس بحيث العز يسحب ذيلهتيها و ينشر للفخار لواء

و اخضع بحيث المجد القى رحلهو اخشع بحيث أظلّت العلياء

و اجنح الى الحرم المنيع فلودنىملك زوته هيبة و بهاء

تبصر تجلى نور ربك فى ثرىرقدت به ساداتنا النجباء

ابن المعتز

قال فى سرّ من رأى :

مقفرة الربع لجّ هاجرهاعامرها موحش و غامرها

ينتحب البوم فى منازلهاكأن اوطانها مقابرها

و قال :

بأبى يا سرّ من رالا اراك اللّه شرّا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۲۹ ما ارى من يتقرّىو الذى لا يتقرّا

منهم إلا الأبرّاما جد الاخلاق حرا

و قال :

يا سرّ من را لعنت من بلديخيب فيك الادلاج و البكر

كأنما الليل حين يسكنهايقدح فيه من بقّها شرر

و قال فى خراب سامرّاء :

قد اقفرت (سرّ من را)و ما لشىء دوام

فالنقض يحمل منهاكأنه الآجام

ماتت كما مات فيلتسلّ منه العظام

المنتصر العباسى

كتب الى المتوكل و هو بالشام :

الى اللّه اشكو عبرة تتحيرو لو قد حدا الحادى لظلّت تحّدر

فيا حسرتا أن كنت فى (سرّ من رأى)مقيما و بالشام الخليفة جعفر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۰

السيد موسى الطالقانى

و على (سرّ من رأى) فاحبس الركب و نح فى عراص ربع محيل

و اسعد اليوم فى المناح على خيرالبرايا بزفرة و عويل

كم شهيد ثوى بها و شريدغاب فيها و كان مأوى الدخيل

فمتى ينجلى النوى عن محيّافيه يشفى قلبى و يطفى غليلى؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۱

سامراء فى المراجع العربية

اشارة

كتبه الدكتور حسين على محفوظ

دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا و الاستاذ بكلية الآداب فى جامعة بغداد اليوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۳

سامراء فى التواريخ

الجامع المختصر سنة ۶۰۲ ه

و فيها قتل الأمير سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بأرض المعشوق . قتله اخوه على. و ذلك، فى شعبان .

الحوادث الجامعة سنة ۶۴۰ ه

و فيها؛ وقع حريق فى مشهد سر من رأى، فأتى على ضريحى على الهادى و الحسن العسكرى- عليهما السّلام- فتقدم الخليفة المستنصر باللّه بعمارة المشهد المقدس، و الضريحين الشريفين، و اعادتهما الى أجمل حالاتهما.

و كان الضريحان مما أمر بعملهما ارسلان البساسيرى ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۴

سنة ۶۴۳ ه

و فيها؛ تقدم الخليفة بارسال طيور من الحمام، إل اربع جهات، لتصنف أربعة اصناف، منها: مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن، و مشهد العسكرى بسر من رأى، و مشهد غنى بالكوفة، و القادسية.

و نفذمع كل عدة من الطيور- عدلان و وكيل. و كتب بذلك سجل، شهد فيه العدول على القاضى بثبوته عنده. و سميت هذه الاصناف باليمانيات، و العسكريات، و الغنويات، و القادسيات.

و نظم النقيب الطاهر، قطب الدين الحسين بن الاقساسى فى ذلك ابياتا و عرضها على الخليفة، أولها:

خليفة اللّه يا من سيف عزمتهموكل بصروف الدهر يصرفها

و يقول فيها:

ان الحمام التى صنفتها شرفتعلى الحمام التى من قبل نعرفها

و القادسيات أطيار مقدسةإذ أنت يا مالك الدنيا مصنفها

و بعدها غنويات تنال بهاغنى الحياة و ما يهوى مؤلفها

و العسكريات أطيار مشرفةو ليس غيرك فى الدنيا يشرفها

ثم الحمام اليمانيات ما جعلتالا سيوفا على الأعداء ترهفها

لا زلت مستعصما باللّه فى نعميهدى لمجدك أسناها و ألطفها

سنة ۶۵۳ ه

و فيها؛ حملت القصعة الحجر، المعروفة ب «قصعة فرعون» من سر من رأى إلى بغداد فى كلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۵

و رفعت تحت دار الخليفة. و كانت عظيمة جدا، فلم تزل إلى سنة سبع و خمسين و ستمائة، ثم كسرت .

دوحة الوزراء سنة ۱۲۱۰ ه

انتهز الوزير فرصة حلول موسم الزيارات، و اعتدال الهواء، و قرر السفر نحو سامراء. و تحرك من بغداد فى اليوم الحادى و العشرين من شهر شوال، و ظل يتنقل فى تلك المناطق للاصطياف، و تمضية الوقت، ثم عاد إلى بغداد .

تاريخ العراق بين احتلالين سنة ۹۶۱ ه

جاء إلى سامراء (سيدى على رئيس .. الذى أودع إليه السلطان قبطانية مصر) وزار فيها عليا الهادى، و الامام حسنا العسكرى .

سنة ۱۱۱۷ ه

فى أواسط هذه السنة؛ توجه الوزير (حسن باشا الجديد) لزيارة الامامين على الهادى، و حسن العسكرى فى سامراء. فأنعم على الفقراء و الخدام، ثم ذهب يتصيد فى تلك الفلوات .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۶

سنة ۱۱۳۲ ه

فى اواخر السنة الماضية؛ وقع الطاعون و كثرت الاصابات. و يعد بالألف أو أزيد يوميا. و هرب أغلب الأهلين، و خرج الوزير بعساكره إلى أنحاء سامراء. و استمر (الطاعون) إلى أوائل هذه السنة ...

سنة ۱۲۱۰ ه

فى ۱ شوال، خرج (الوزير سليمان باشا) من بغداد متوجها نحو سامراء للزيارة. و منها، مضى إلى عشيرة بنى عز. قضى بضعة أيام فى الصيد ...

سنة ۱۲۷۱ ه

أمر (الوزير؛ الوالى محمد رشيد باشا الكورنكى) بكرى نهر الدجيل فى (بلد) التابعة لقضاء سامراء .

سنة ۱۲۸۶ ه

قضاء سامراء ... (من اقضية لواء بغداد) فى ايام مدحت باشا .

سنة ۱۲۸۷ ه

زار (ناصر الدين شاه) العتبات فى النجف، و كربلاء، و سامراء .

سنة ۱۲۹۶ ه

هاجم الهماوند سامراء، و لم تنقطع غوائلهم . موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج۱۲ ؛ ص۱۳۶

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۷

سنة ۱۳۳۵ ه

فى ۵ جمادى الأول، سنة ۱۳۳۵ ه، و ۲۷ شباط سنة ۱۹۱۷ م ...

تبين ان العدوّ يبلغ جيشه مائتى الف، و ليس لنا أكثر من خمسة آلاف محارب، فأمرت الدولة بنقل ما عندها من سجلات، و نقود، و مهمات أخرى إلى سامراء فى القطار ...

* بعد واقعة بغداد تبعثر الجيش العثمانى و انحل انحلالا كبيرا ... توزعت جيوشه إلى جبهات عديدة ..

فى ۲۹ آذار سنة ۱۹۱۷ ... انسحبت قوة العثمانيين إلى نهر العظيم ..

و من ثم اتصل (القول اردو ۱۳) بجيش سامراء. و حدثت واقعة العظيم فى ۱۸ نيسان سنة ۱۹۱۷ م، و عادت المفرزة من العظيم إلى سامراء ..

و فى جبهة سامراء نفسها كان قد رجع الجيش إلى اصطبلات .. و فى ۲۱ نيسان سنة ۱۹۱۷ م تعرض الانكليز له بقوى كبيرة فضايقه، و اضطره ان ينسحب و لم يثبت على القصف الشديد من العدو.

ترك سامراء و محطة القطار. و هذه الواقعة تعرف ب (واقعة السكّر) لأن لدى الجيش العثمانى فى المحطة مقدارا كبيرا من السكّر. ثم حدثت واقعة رويضات ... و الغريب ان الانكليز بعد أن ربحوا المعركة رجعوا إلى سامراء لما أصابهم من ضايعات كبيرة. فعادت خيالة الجيش العثمانى، فأشغلت تكريت .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۸

الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ۱۹۲۰ و نتائجها

فكر المخلصون بالقاء زمام القضية من ناحيتها الدينية إلى أحد كبار العلماء المجتهدين .. و هو آية اللّه المرحوم الميرزا محمد تقى الشيرازى. و قد كان ..

يومذاك يسكن مدينة سامراء ..

* و عند ما صمدت عشائر العزة فى وجه الجيش البريطانى المحتل (فى لواء ديالى)، أوعز حاكم سامراء «الميجر برى» الى عشائر العبيد بأن يذهبوا فيحرقوا بيوت عشائر العزة و قراهم، و ينهبوا أموالهم (و كانت بين العزة و عشائر العبيد خصومة قديمة) .

* وصلت الحركة إلى قضاء سامراء، فاشترك فعليا أفراد عشيرة الجبور برآسة المرحوم عبد الحميد السلامة، و المجمع برآسة محمد المهدى، و البوأسود برآسة حسين المطر، و البو فراج من العزة برآسة علوان المحمد، و بنو تميم برآسة حاتم الهذال، و العزة برآسة لفته الهيلان، و بعض العشائر الأخرى فهجموا على مركز قضاء سامراء، و حاصروا «الميجر برى» الحاكم السياسى و «فورنو» ضابط البوليس، و طلبوا منهما أن يسلما. إلّا انهما اعتصما فى المدينة داخل السور، و ساعدهما سكان قصبة سامراء بحجة انهما دخلاء عليهم (اى فى حمايتهم) كما أن بعض العشائر هناك قد قامت بمساعدة الانكليز، و اصطدمت بالثوار فحال ذلك دون تحرير سامراء، و الفتك بالحامية الانكليزية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۳۹

و شايح السراء فى شأن سامراء

لفظة سامراء، معناها طريق سام. و كان سام بن نوح- على ما يزعمون- إن أتى جوخى، فى فصل الشتاء- مر عليها ... او ان لفظ سا؛ اتاوة الملك، و لفظ مرا؛ عدد، و كان كسرى يأخذ الخراج فى ذلك الموضع. و صحفت- على كلا القولين- بالهمز و التشديد فى حرفين.

ثم أتى نحوها المعتصم اذ اشتكت بغداد من جنده. فارتاد سامراء للاجناد، و اختارها. ثم بنى ما شاء من دساكر، فسرّ من رأى من العساكر. فسميت سرّ، و سرّ من رأى، و سامرا، و سر من راء، و سرى. و سميت عسكر، و معناها مجتمع الجنود، و سميت ساء من رأى بعدما انهدم البناء بها.

عمرت سنة ۲۲۱ ه، و هدمت سنة ۲۷۹.

طولها (مايد)، أى: ۴۵ درجة و ۱۴ دقيقة، و عرضها (لديه)، أى؛ ۱۴ درجة و ۱۵ دقيقة. جوها طلق، و تربها نقى، و ماؤها جار، حلّ بها المعتصم، و الواثق، و المتوكل، و المنتصر، و المستعين، و المعتز، و المهتدى، و المعتمد، و المعتضد، و هو الذى اقام فى بغداد، من ضغط الأتراك. فظعن المقيمون فيها، و تركوا تلك القصور و الرياض، و خربت تلك المبانى اجمع .

* هذا، و لما صفا الهواء للمتوكل و استوى على عرش الملك فى سامراء اصغى إلى و شاية الأعادى، و استقدم الامام «على الهادى»، فجاء هو و ابنه الحسن، و ظل يعفى تارة، و يسجن تارة. حتى سّمه المعتز سنة ۲۵۴ و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۰

المهدى بن الحسن ولد فى تلك السنة. ثم قضى الامام الحسن سنة ۲۶۰ ه، سمّه المعتمد ،.

* ثم شيد ناصر الدولة الحمدانى الدار و الجدث، و كلل الضريح بالستور، و حاط سر من رأى بسور، سنة ۳۳۳ ه .

* ثم شاده معز الدولة البويهى، فأسس الدعائم، و عمر القبة و السرداب، و رتب القوام و الحجاب، و رفع الضريح بالأخشاب، و ملأ الحوض بالتراب، اذ صار كالبئر إذ كان الناس يأخذون التراب منه للبركة. و ذلك لأن العسكرى كان يتوضأ به أحيانا.

و جدد الصحن و سوره، و طرز البناء، و أكمل عمارة الحمدانى، سنة ۳۳۷ ه .

* ثم سيج عضد الدولة البويهى الروضة بالساج، و ستر الضريح بالديباج، و عمر الاروقة، و وسع الصحن، و شيد السور، و ذلك فى سنة ۳۶۸ .

* ثم ترك الأمير ارسلان بغداد، و حل تكريت، و عمر القبة، و الضريح و عمل الصندوق من الساج، و جعل الرمان فيه من ذهب، و ذلك فى سنة ۴۴۵ ه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۱

ثم جدد بركياروق السلجوقى الأبواب، و سيج الروضة، و رمم القبة و الرواق و الصحن و الدار، على يد الوزير مجد الدولة، فى سنة ۴۹۵ ه .

* ثم عمر الناصر العباسى القبة و المآذن، و زين الروضة، و عقد السرداب، و منع ان يأخذ احد ترابا من الحوض، و كتب اسماء الأئمة الاثنى عشر على نطاق العقد، على يد الشريف معد بن محمد بن معد، سنة ۶۰۶ ه .

* ثم ابدل المستنصر الصندوق- بعد الحريق- و جعله من الساج و عمر الروضة، و السياج؛ على يد السيد جمال الدين احمد بن طاووس، سنة ۶۴۰ ه .

* ثم زين ابو أويس حسن الجلائرى الضريح، و شيد القبة، و عمل البهو، و شاد الدار، و نقل المقابر التى فى الصحن إلى الصحراء، و ذلك فى سنة ۷۵۰ ه .

* ثم زين الشاه حسين الصفوى الروضة بالساج، و دعم البناء، و عمل الشباك من الفولاذ، و رخم الأرض و الدور، سنة ۱۱۰۶ ه .

* ثم عمر احمد الدنبلى البرمكى الروضة و السرداب، و بدّل بابه، و اخشابه بالحجر الصوان و الرخام، و كان وكيله الميرزا السلماسى. و توفى الخان الدنبلى و لما يكمل البناء، و بقى السلماسى ينفق عليه، و ذلك سنة ۱۲۰۰ ه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۲

ثم واصل البناء ابنه حسين، و أكمل البهو و الأبواب، و زين جامع السرداب، و كتب الآيات على الاركان، و زين القبة بالكاشانى، و حفر قبرا له مع أبيه فى الرواق، و ذلك على يد الميرزا السلماسى ايضا، سنة ۱۲۲۵ ه .

* ثم جدد ناصر الدين شاه القاجارى الشباك، و ذهب القبة، و عمر الضريح، و الرواق، و القبة، و الصحن، و المآذن، و الدار. و رخم الروضة، و الرواق، و البهو، و الصحن. و شرع الأبواب، و رمم السور- الذى بناه الدنبلى من قبل- و ذلك على يد شيخ العراقين، الشيخ عبد الحسين الرازى، سنة ۱۲۸۵ ه .

* و وسعت فى زمان الملك فيصل الأول الطرق بين الدور و ذلك سنة ۱۳۴۱ ه .

* و هكذا فى زمان الملك غازى الأول سنة ۱۳۵۲ ، و فيصل الثانى سنة ۱۳۵۹ ه.

* و نورت الروضة بالكهرباء سنة ۱۳۴۹ ه و عملت اسالة الماء سنة ۱۳۴۳ ه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۳

كبار الحوادث:

سنة ۲۶۰ ه، سجن سرارى الامام الحسن.

سنة ۲۷۹ ه، عاد المعتضد إلى بغداد بعد الفتنة.

سنة ۴۴۵ ه، حرب البساسيرى و السلجوقيين.

سنة ۶۴۰ ه، احتراق المشهد بسبب الشمع.

سنة ۱۱۰۶ ه، احتراق المشهد أيضا.

سنة ۱۳۱۱ ه، الفتنة بين الأهالى.

سنة ۱۳۵۶ ه، سرقة لوحتين من الذهب، و قطع من الفضة .

مقابر المشاهير:

السيدة حليمة بنت الامام الجواد، عمة الامام على الهادى، سنة ۲۷۴ ه.

السيدة نرجس زوج الامام الحسن العسكرى، ام المهدى، سنة ۲۶۰ ه.

ابو هاشم، داود، من ذرية عبد اللّه بن جعفر، سنة ۲۶۱ ه.

احمد الدنبلى الخوئى، سلطان خوى، سنة ۱۲۰۰ ه.

ابنه؛ الحسين بن احمد الدنبلى الخوئى، سنة ۱۲۰۷ ه.

محمود الطهرانی، سنهٔ ۱۳۰۴ ه. عبد الحمید اللاری، سنهٔ ۱۳۰۶ ه.

مهدی الشیرازی، ۱۳۰۸ ه. اسد اللّه الطبیب الشیرازی؛ اخو المیرزا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۴

محمد حسن الشیرازی، سنهٔ ۱۳۱۱ ه. ابراهیم النوری، سنهٔ ۱۳۲۰ ه.

محسن الزنجانی، سنهٔ ۱۳۲۱ ه. رضا بن هادی الهمذانی، سنهٔ ۱۳۲۰ ه.

شریف الحسینی التویسرکانی، سنهٔ ۱۳۲۲ ه. حسین بن رضا علی المقری، الطبیب الهندی، سنهٔ ۱۳۳۴ ه. حسین بن محمد رضا بن علی الحسینی، الأصفهانی، سنهٔ ۱۳۳۴ ه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۵

مآثر الکبراء فی تاریخ سامراء سنهٔ ۱۳۱۸ ه المسألة الدخانیة

و مما وقع فی عصر (المیرزا محمد حسن الشیرازی، نزیل سامراء، المجدّد المصلح الامام) المسألة الدخانیة. و کان ممن عارض السلطان ناصر الدین شاه، و شدد النکیر علیه فی اعطائه امتیاز التنباک لانکلترا هو السید جمال الدین الأفغانی فأخرجه ناصر الدین شاه من ایران فلما وصل الی البصرة فی سنهٔ ۱۳۰۸ کتب الی سیدنا الامام الکبیر الشیرازی قدس سره کتابا بلیغا یستفزه فی ذلک و یستصرخه و یستنجد به بأنواع العبارات المهیجة و المؤثرة فی النفوس و قد شاع هذا الکتاب فی وقته و وصلت نسخته الی النجف، قال العلامة السید محسن العاملی کنت فی النجف و قرأناه و قرأه الناس و قد نشرت صورة الکتاب فی بعض اعداد العرفان الصیداویة و لکن الامام الشیرازی لم یظهر منه شیء فی هذا الباب من اجل هذا الکتاب و هذه صورته:

ج ۱- سامراء (۱۰)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۶

کتاب السید جمال الدین الأفغانی لسیدنا الإمام الکبیر الشیرازی رحمه اللّه

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم حقا اقول ان هذا الکتاب خطاب الی روح الشریعة المحمدیة اینما وجدت و حیثما حلت و ضراعة تعرضها الامة علی نفوس زکیة تحققت شؤونها کیفما نشأت و فی ای قطر نبغت الا و هم العلماء فأحببت عرضه علی الکل و ان کان عنوانه خاصا.

حبر الامة، و بارقة انوار الأئمة، دعامة عرش الدین، و اللسان الناطق عن الشرع المبین، الحاج میرزا محمد حسن الشیرازی صان اللّه به حوزة الاسلام، ورد به کید الزنادقة اللئام، لقد خصک اللّه بالنیابة العظمی عن الحجة الکبری، و اختارک من العصابة الحقة و جعل بیدک ازمة سیاسة الامة بالشریعة الغراء و حراسة حقوقها بها، و صیانة قلوبها عن الزیغ و الارتیاب فیها، و احال الیک من بین الانام و انت وارث الانبیاء مهام امور تسعد بها الملة فی دارها الدنیا و تحظی بها فی العقبی و وضع لک اریکة الریاسة العامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۷

علی الافئدة و النهی، اقامة لدعامة العدل، و انارة لمحجة الهدی، و کتب علیک بما أولاک به من السیادة علی خلقه حفظ الحوزة و الذود عنها و الشهادة دونها علی سنن من مضی، و ان الامة قاصیها و دانیها، و حاضرها و بادیها، و وضیعها و عالیها، قد اذعنت لک بهذه الریاسة السامیة الربانیة جاثیة علی الرکب، خارّة علی الاذقان، تطمح نفوسها الیک فی کل حادثة تعروها و تطل بصائرها الیک

فی کل مصیبة تمسها، و هی تری ان خیرها و سعدها منک، و ان فوزها و نجاتها بک، و ان امنها و امانیها فیک، فاذا لمح منک غض نظر، او نأیت بجانبک لحظة، و اهملتها و شأنها لمحة، ارتجفت افئدتها، و انتکثت عقائدها و زاغت ابصارها، و انهدت دعائم ایمانها، نعم لا- برهان للعامة فیما دانوا إلا استقامة الخاصة فیما امروا، فان وهن هؤلاء فی فریضة او قعد بهم الضعف عن اماطة منکر اعتور أولئک الظنون و الاوهام، و نکص علی عقبه مارقا عن الدین القویم، حائدا عن الصراط المستقیم، و بعد هذا و ذاک و ذلک اقول ان الامة الایرانیة بما دهمها من عراقیل الحوادث التی آذنت باستیلاء الضلال علی بیت الدین و تطاول الاجانب علی حقوق المسلمین، و وجوم الحجة الحق (ایاک اعنی) عن القیام بناصرها و هو حامل الامانة، و المسؤول یوم القیامة، قد طارت نفوسها شعاعا، و طاشت عقولها، و تاهت افکارها، و وقفت موقف الحیرة، و هی بین انکار و اذعان، و جحود و ایقان لا- تهدی سبیلا- و هامت فی بیداء الهواجس فی عتمة الوساوس ضالة عن رشدها لا- تجد الیه دلیلا و اخذ القنوط بمجامع قلوبها و سد دونها ابواب رجائها و کادت تختار یأسا منها الضلالة علی الهدی و تعرض عن محجة الحق و تتبع الهوی و ان احاد الامة لا یزالون یتساءلون شاخصة ابصارهم عن اسباب قضت علی حجة الاسلام (ایاک اعنی) بالسبات و السکوت و حتم علیه ان یطوی الکشح عن اقامة الدین علی اساطینه و اضطره الی ترک الشریعة و اهلها الی ایدی زنادقة یلعبون بها کیفما یریدون و یحکمون فیها ما یشاؤن حتی ان جماعة من الضعفاء زعموا ان قد کذبوا و ظنوا فی الحجة ظن السوء و حسبها ان الامر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۸

احبولة الحذق و اسطورة المذق و ذلک لأنها تری و هو الواقع ان لک الکلمة الجامعة و الحجة الساطعة و ان أمرک فی الکل نافذ و لیس لحکمک فی الامة منابذ و انک لو اردت ان تجمع آحاد الامة بکلمة منک و هی کلمة تنبثق من کیان الحق الی صدور اهله لترهب به عدو اللّه و عدوهم و تکف عنهم شر الزنادقة و تزیح ما حاق بهم من العنت و الشقاء و تنشلهم من ضنک العیش الی ما هو أرغد و اهنأ فیصیر الدین بأهله منیعا حریزا، و الاسلام بحجته رفیع المقام عزیزا هذا هو الحق انک رأس العصابة الحقة، و انک الروح الساری فی آحاد الأمة فلا یقوم لهم قائم الا بک و لا تجتمع کلمتهم الا علیک لو قمت بالحق نهضوا جمیعا و لهم الکلمة العلیا و لو قعدت تثبطوا و صارت کلمتهم هی السفلی و ربما کان هذا السیر و الدوران حینما غض حبر الامة طرفه عن شؤونهم و ترکهم هملا بلا راع و همجا بلا رادع و لا داع یقیم لهم عذرا فیما ارتابوا خصوصا لما رأوا ان حجة الاسلام قدالفی «!؟» فیما اطبقت الأمة خاصتها و عامتها علی وجوبه و اجمعت علی خطر الاتقاء فیه خشیة لغوبه الا و هو حفظ حوزة الاسلام الذی به بعد الصیت و حسن الذکر و الشرف الدائم و السعادة التامة و من یکون الیق بهذه المزایا و احری بها ممن اصطفاه اللّه فی القرن الرابع عشر و جعله برهانا لدینه و حجة علی البشر، ایها الحبر الاعظم ان الملک قد وهنت مریرته فساءت سریرته و ضعفت مشاعره فقبحت سیرته فعجز عن سیاسة البلاد و ادارة مصالح العباد فجعل زمام الامور کلیها و جزئیها بید اثیم غشوم ثم بعد ذلک یسب الانبیاء فی المحافل جهرا و لا یقیم لشریعة اللّه امرا و لا- یری لرؤساء الدین و قرا یشتم العلماء و یقذف الاتقیاء و یهین السادة الکرام و یعامل الوعاظ معاملة اللئام و انه بعد رجوعه من البلاد الافرنجیة قد خلع العذار و تجاهر ... و موالاة الکفار و معاداة الابرار هذه هی افعاله الخاصة فی نفسه ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الایرانیة و منافعها لاعداء الدین المعادین و السبل الموصلة الیها و الطرق الجامعة بینها و بین تخوم البلاد و الخانات التی تبنی علی جوانب تلک المسالک الشاسعة التی تنشعب فروعها

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۴۹

الی جمیع ارجاء المملکة و ما یحیط بها من البساتین و الحقول نهر کارون و الفنادق التی تنشأ علی ضفتیه الی المنبع و ما یستتبعها من الجنائن و المروج و الجادة من الاهواز الی طهران و ما علی اطرافها من العمران و الفنادق و البساتین و الحقول و التنباک و ما یتبعه من المراکز و محلات الحرث و بیوت المستحفظین و الحاملین و البائعین أنی وجد و حیث نبت و حکر العنب للخمور و ما یستلزمه من الحوانیت و المعامل و المصانع فی جمیع اقطار البلاد و الصابون و الشمع و السکر و لوازمها من المعامل و البنک و ما أدراک ما

البنک و هو اعطاء الاهالی کلیـة بیـد عدو الاسـلام و استرقاقه لهم و اسـتملاکه ایاهم و تسـلیمهم له بالریاسة و السـلطان، ثم ان الخائن البلید اراد ان یرضـی العامة بواهی برهانه فحبق قائلا ان هذه معاهدات زمانیة و مقاولات وقتیة لا تطول مدتها ازید من مایة سـنة، یا للّه من هـذا البرهـان الـذی سوله خرق الخـائنین و عرض الجزء الباقی علی الدولـة الروسـیة حقا لسـکوتها لو سـکتت مرداب رشت و انهر طبرسـتان و الجـادة من أنزلی الی خراسـان و مـا یتعلق بهـا من الحـدود و الفنـادق و الحقول و لکن الدولـة الروسـیة شـمخت بأنفهـا و اعرضـت عـن قبـول تلـک الهدیـة و هی عازمـة علی اسـتملاک خراسـان و الاستیلاء علی آذربیجـان و مازنـدران ان لـم تنحـل هـذه المعاهـدات و لم تفسـخ هـذه المقاولات القاضـیة بتسـلیم المملکة تماما بید ذلک العدو هذه هی النتیجة الأولی لخیانة هذا الاخرق، و بالجملـة ان هـذا المجرم قـد عرض اقطاع البلاد الایرانیـة علی الـدول ببیع المزاد و انه یبیع ممالک الاسـلام و دور محمـد و آله علیهم السّـلام للأجانب و لکنه لخسة طبعه و دناءة فطرته لا یبیعها الا بقیمة زهیدة و دراهم بخسة معدودة نعم هکذا یکون اذا امتزجت اللآمة و الشـره بالخیانة و السـفه و انک ایها الحجة ان لم تقم بناصـر هذه الامة و لم تجمع کلمتهم و لم تنزع السـلطة بقوة الشـرع من ید هذا الأثیم لأصـبحت حوزة الاسـلام تحت سـلطة الاجانب یحکمون فیها ما یشاؤون و یفعلون فیها ما یریدون و اذا فاتتک هذه الفرصة ایها الحبر و وقع الامر و انت حی لمـا ابقیت ذکرا جمیلا- بعـدک فی صـحیفة العـالم و اوراق التواریـخ و انت تعلم ان علماء ایران کافـة و العامة بأجمعهم ینتظرون منک

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۰

و قد حرجت صدورهم و ضاقت قلوبهم کلمة واحدة و یرون سعادتهم بها و نجاتهم فیها و من خصه اللّه بقوة کیف یسوغ له ان یفرط فیها و یترکها سـدی، ثم اقول للحجـة قول خبیر بصـیر ان الدولـة العثمانیـة تتبجح بنهضـتک علی هذا الامر و تساعدک علیه لانها تعلم مداخلـة الافرنـج فی الاقطـار الایرانیـة و استیلاءهـا علیها تجلب الضـرر الی بلادها لا محالـة و ان وزراء ایران و امراءها کلهم یبتهجون لکلمـة تنبض فی هذا الشأن لانهم بأجمعهم یعافون هذه المسـتحدثات طبعا و یسـخطون من هذه المقاولات جبلة و یجدون بنهضـتک مجالا لا بطالها و فرصـة لکف شـر الشـره الـذی رضـی بها و قضـی علیها، ثم ان العلماء و ان کان کل صـدع بالحق وجبه هذا الاخرق الخائن بسوء اعماله و لکن ردعهم للزور و زجرهم عن الخیانـة و نهرهم المجرمین ما قرت کسـلسة المعـدات قرارا و لا جمعتها وحـدة المقصـد فی زمان واحـد و هؤلاء لتماثلهم فی مـدارج العلوم و تشاکلهم فی الریاسـة و تساویهم فی الرتب غالبا عنـد العامة لا ینجذب بعضـهم الی بعض و لا یصـیر احـد منهم لصـقا للآخر و لا یقع بینهم تأثیر الانجـذاب حتی تتحقق هیأة وحدانیة و قوة جامعة یمکن بها دفع الشـر و صیانة الحوزة کل یدور علی محوره و کل یردع الزور و هو فی مرکزه هذا هو سبب الضعف عن المقاومة و هذا هو سبب قوة المنکر و البغی و انت وحـدک ایهـا الحجـة بما اوتیت من الدرجـة السامیـة و المنزلـة الرفیعـة علـة فعالـة فی نفوسـهم و قوة جامعة لقلوبهم و بک تنظّم القوی المتفرقـة الشاردة و تلتئم القـدر المتشـتة الشاذة و ان کلمة تأتی منک بوحدانیة تامة یحق لها ان تدفع الشـر المحـدق بالبلاـد و تحفظ حوزة الـدین و تصون بیضـة الاسـلام فالکل منک و بک و الیک و انت المسؤول عن الکل عنـد اللّه و عند الناس، ثم اقول ان العلماء و الصـلحاء فی دفاعهم فرادی عن الـدین و حوزته قد قاسوا من ذلک شدائد ما سبق لها منذ قرون و تحملوا لصـیانة بلاد المسلمین عن الضیاع و حفظ حقوقهم عن التلف کل هوان و کل صغار و کل فضیحة، و لا شک ان حبر الامة قد سمع ما فعله ادلاء الکفر و اعوان الشرک بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج ملا فیض اللّه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۱

الدربنـدی و ستسـمع قریبـا ما فعله الطغاة الجفاة بالعالم المجتهـد النقی البار الحاج السـید علی اکبر الشـیرازی و سـتحیط علما بما فعله بحماة الملـة و الامة من قتل و کی و ضـرب و حبس و من جملتهم الشاب الصالح المیرزا محمد رضا الکرمانی الذی قتله ذلک ... فی الحبس و الفاضـل الکامـل البار الحاج سـیاح، و الفاضل الأدیب النجیب المیرزا محمـد علی خان، و الفاضل المتفنن اعتماد السـلطنة و غیرهم و امـا قصتی و ما فعله ذلک الظلوم معی فمما یفتت اکباد اهل الایمان، و یقطع قلوب ذوی الایقان و یقضـی بالدهشـة علی اهل

الكفر و عبدة الاوثان ان ذلك ... امر بسحبى و انا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السّلام فى شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان و صغار و فضيحة لا يمكن ان يتصور مثلها فى الشناعة هذا كله بعد النهب و الغارة انا للّه و انا اليه راجعون ثم حملنى زبانيته الاوغاد و انا مريض على برذون مسلسلا فى فصل الشتاء و تراكم الثلوج و الرياح الزمهريرية و ساقتنى جحفلة من الفرسان الى خانقين و صحبنى جمع من الشرطة الى بغداد، و لقد كاتب الوالى من قبل و التمس منه ان يبعدنى الى البصرة علما منه انه لو تركنى و نفسى لأتيتك ايها الحبر و بثت لك شأنه و شأن الأمة و شرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا ... و دعوتك ايها الحجة الى عون الدين و حملك على اغاثة المسلمين و كان على يقين انى لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبقى على دست الوزارة المؤسسة على خراب البلاد و اهلاك العباد و اعلاء كلمة الكفر و مما زاده لؤما على لؤمه و دناءة على دناءته انه دفعا لثرثرة العامة و تسكينا لهياج الناس نسب تلك العصابة التى ساقتها غيرة الدين و حمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام و حقوق الاهالى بقدر الطاقة و الامكان الى الطائفة البابية كما اشاع بين الناس اولا بأنى مجنون، وا إسلاماه ما هذا الضعف! ما هذا الوهن كيف امكن ان صعلوكا دنى النسب و وغدا خسيس الحسب قدر ان يبيع المسلمين و بلادهم بثمن بخس دراهم معدودة و يزدرى العلماء و يهين السلالة المصطفوية و بيت السادة المرتضوية بالبهتان العظيم و لا يد قادرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء لقلوب المؤمنين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۲

و انتقاما لآل سيد المرسلين عليه السّلام ثم لما رأيت نفسى بعيدا عن تلك الحضرة امسكت عن بث الشكوى، و لما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد على اكبر الى البصرة طلب منى الى الحبر الاعظم كتابا ابث فيه هذه الغوائل و الحوادث و الكوارث فبادرت اليه امتثالا و علمت ان اللّه تعالى سيحدث بيدك امرا و السّلام عليك و رحمة اللّه و بركاته»

يقول الامير شكيب ارسلان فى تعليقه على حاضر العالم الاسلامى فكان هذا النداء من السيد الحسينى من اعظم اسباب الفتوى التى افتاها ذلك الامام ببطلان هذا الامتياز و اضطرت الحكومة الفارسية خوف انتفاض العامة الى الغائه انتهى.

و قال العلامة السيد محسن العاملى (و لكن الحقيقة ان الامام الشيرازى افتى بتحريم تدخين التنباك حينما بلغه اعطاء الامتياز الى الدولة البريطانية قبل ان يرسل له السيد جمال الدين هذا الكتاب و لم يكن افتاؤه بتأثير كتاب السيد جمال الدين و لو لم يكن له مؤثر دينى من نفسه عظيم لم يؤثر فيه كتاب جمال الدين و لكن الناس اعتادوا اذا مالوا الى شخص ان يسندوا كل وقائع العالم اليه .

المسألة الدخانية التى طار صيتها فى الآفاق

ألف بعض الفضلاء من المتأخرين رسالة واسعة فى المسألة الدخانية باللغة الفارسية، و رأيت نسخة منها مخطوطة عند العلامة الميرزا محمد الطهرانى بسامراء فأحببت ايراد بعض عباراتها المهمة التى لها دخل فى المقصود قال (ما تعريبه) لما استولت دول الاجانب على بلاد ايران جعلوا يتربصون بأهلها الدوائر حتى اخذوا امتيازات الكثير من اجناسهم و اطعمتهم فعطلت أسواق التجارات من جراء ذلك و كثر الحزن فى مكاسبهم فآل امرهم الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۳

الفقر و المسكنة و بطلت مصانع منسوجاتهم و معامل سكرهم ثم لم يقنع الأجانب بذلك فجعلوا يفسدون اخلاقهم و يعيرون علماءهم و يزينون للجهال معارفهم و لا ريب أن النفوس ميالة الى اللهو و اللعب و الناس الى امثالهم أميل و المجالسة مؤثرة و المخالطة تورث المحبة و المحبة تورث الاتحاد فى اللباس و المآكل و المشارب و العلوم و المعارف و جميع الآداب و الرسوم فيؤول حينئذ أمر المسلمين الى الفناء و الزوال، و كان الأجانب يرسلون فى كل سنة عدة من ابنائهم الى ايران فيدخلون انفسهم فى مكاسبهم بكل حيلة و مكيدة حتى مهنة التجارة و الخياطة و العمارة و الصياغة و غيرها، و كان الامر كذلك الى ان سافر السلطان ناصر الدين شاه الى

لندن فی سنة ۱۳۰۶ ه فاستقبلوه فی موکب عظیم و احتفلوا به و بذلوا جهدهم فی اکرامه و احترامه اللائق به و هو غافل عن مقاصدهم و ما یریدون منه ثم احتفلوا به فی محفل کبیر و قالوا له ان امتیار التتن و التنباک نستدعیه منکم مدة خمسین سنة بشروط نقوم بها:

الاول:- نرسل فی کل سنة خمسة عشر الف لیرة الی خزینتکم سواء ربحنا او خسرنا و هذا المبلغ نؤدیه کله فی مدة خمسة اشهر.

الثانی:- یجب علی أولیاء الحکم فی جمیع بلدان ایران اجبار الزراعین باعطاء التعهدات لنا و ان کل ما یزرعون من التتن و التنباک لا یجوز لهم بیعه و شراؤه و تضمینه الا باذن صاحب الامتیاز، و لیس لاحد اصدار الاجازة بذلک الا من صاحب الامتیاز و لیس للبایع و المشتری ان یعامل بغیر دفتر الاجازة و من فعل ذلک فعلیه المجازاة.

الثالث:- یجب علی صاحب التتن و التنباک ان یسلم ربع المنافع الی الخزانة و ذلک بعد وضع جمیع المخارج المتعلقة بذلک و للمأمورین تفتیش الدفاتر فی رأس کل سنة.

الرابع:- حریة الآلات و المکائن المتعلقة باصلاح التتن و التنباک و خلوها عن مصارف العشارین حین دخولها فی ایران.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۴

الخامس:- عدم جواز الحمل و النقل من التتن و التنباک مطلقا الا باجازة صاحب الامتیاز.

السادس:- یجب علی اصحاب الامتیاز شراء جمیع الدخان الموجود فی ممالک ایران و لیس للبایع الامتناع من ذلک.

السابع:- یجب علی اولیاء الحکم أن لا یزیدوا فی الاعشار و الکمارک المعمولة الی مدة خمسین سنة.

الثامن:- کل من باع او ابتاع خفیة او وجد عنده شیء منه بدون اجازة فیجب علی المأمورین للدولة العلیة الایرانیة مجازاته الشدیدة.

التاسع:- یجوز لاصحاب الامتیاز انتقال حقوقهم مع شروطها الی من یریدونه کائنا من کان.

العاشر:- یجوز لأصحاب الامتیاز ابتیاع الأراضی للمخازن الدخانیة نعم لا یجوز ابتیاع ازید من ذلک.

الحادی عشر:- لو تجاوز حکم ما قرر فی دفتر الشروط عن مقدار السنة بمعنی ان الهیئة التی تعرف باسم الکمپانیة لم یشتغلوا بالعمل حتی ینقضی من تاریخ کتابة الشروط مقدار سنة بطلت الشروط و بطل الامتیاز فیجب تشکیل ذلک بسرعة ثم کتبوا وثیقة الامتیاز صورتین و ختمهما السلطان ناصر الدین شاه بخاتمه، و قبل ذلک کله غفلة عن حقیقة الحال او عدم علمه بالمآل ثم رجع السلطان الی عاصمة ملکه طهران و جاءت من لندن هیئة تعرف باسم الکمپانیة و اشتغلوا بشراء الأراضی و بناء المخازن و احضار المکائن و الآلات و الأدوات و انتشر الخبر فی الآفاق و نشروا ذلک فی الجرائد و هتفوا بخطأ هذه المعاملة و قالوا ان دخانیة اصبهان وحدها فی سنة واحدة تبلغ عشرین الف لیرة و طعنوا بالسلطان و کثر اللغط فبینما هم کذلک اذ جاء من لندن جماعة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۵

الاجانب لا یقل عددهم عن مائة الف نسمة بین رجال و نساء و دخلوا طهران و شرعوا فی تنفید مقاصدهم و ارسلوا فی کل بلد من بلاد ایران عدة من هیئتهم و قویت بذلک کل ملة فی ایران سوی ملة الاسلام و کثرت الفواحش و شرب الخمور فلم تزل کل یوم تکثر هذه الدواهی و قد فتح الاجانب المدارس لدعوة الناس الی مذهب المسیح و جعلوا المبشرین (البرتستانت) فی جمیع المستشفیات ینفقون اموالا جمة علی الفقراء و المساکین و یستخدمون بنات الاسلام و فتیانها و صار المسلمون مقهورین تحت ایدیهم و فرقوا اربعمائة الف تومان بین الامراء و الحکام لیوافقوهم فی تنفید مقاصدهم و ابتاعوا قطعة ارض قرب حدیقة الایلخانی بخمسة و اربعین الف اشرفی و انفقوا لعمارتها مائة و خمسین الف لیرة و جعلوها مسورة بسور رفیع حصین و نصبوا علی ابراجها مدافع، و کان قطر السور اربعة اذرع فلما فرغوا من استحکاماتهم فی طهران ارسلوا هیئة الی شیراز فلما قربوا من البلدة و انتشر خبر قدومهم فیها اجتمع الاشراف عند علمائهم و انکروا هذا العمل فوافقهم العلماء فی ذلک مصلحة لدینهم و اصلاحا لمفاسد امورهم فأخبر بذلک اصحاب الامتیاز فخافوا ان یدخلوا البلدة الی ان سیرت الحکومة السید العلامة الحاج السید علی اکبر الذی کان من قدوة العلماء فی شیراز الی (ابو شهر) خفیة فلما علم بذلک اهل البلدة هاجوا و ماجوا و اضطربت الامور و عطلت الاسواق و لاذوا بالحضرة المقدسة

حضرة السيد احمد بن موسى بن جعفر عليهم السّلام الذى يعرف بشاه جراغ و كثر البكاء و الضجيج بحيث خشيت الحكومة المحلية فأمرت باحضار جنود لتفريق الناس بالبنادق فقتل عدة من المسلمين و انهزم الباقون مجروحين خائفين و جلين و لكن الاضطراب يشتد فى كل يوم غير ان الحكومة المحلية استقبلت اصحاب الامتياز و ادخلتهم البلدة مع كل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۶

الاحترام و سار الحاج السيد على اكبر الشيرازى مع جماعة من العلماء من (ابو شهر) الى (سر من رأى) و استعانوا بآية اللّه المجدد الشيرازى قدس سره فأمر رحمه اللّه بضيافة السيد و تجليله و تعظيمه بما لا مزيد عليه، ثم ان أصحاب الامتياز ارسلوا هيئة الى آذربيجان فأخبر بذلك العلامة الحجة الميرزا جواد آقا فأمر بمنع دخول الهيئة و انكر ذلك اشد الانكار فآل الامر الى تأخير ذلك الحكم عن آذربيجان و كثرت المراسلات بين السلطان بين هذا العالم الغيور الاسلامى الى ان قهر و اضطهد و دخلت الهيئة آذربيجان بالقوّة القاهرة و اخذوا يبتاعون النقاط الرئيسية للبلدة و الامكنة المعمورة و ابتنوا فيها قصورا شاهقة و ابنية فخمة فزاد ذلك وحشة الناس و خوفهم على اضمحلال بلاد ايران و سقوطها بيد الاجانب بلا كلفة فاستغاث الناس بعلمائهم و استدعوا منهم المكاتبة الى سلطانهم و الاحتجاج عليه و ان يبينوا له مفاسد هذه المعاملة ففعلوا غير انهم ما نالوا مرادهم فكتبوا الى سر من رأى بالقصة التفصيلية و استغاثوا كلهم بآية اللّه المجدد و كان قدس سره من خطته أن لا يتداخل فيما يتعلق بأمور المملكة و السياسة فلما كثرت الشكاوى من جميع بلاد ايران و تواترت الكتب من العلماء و الاشراف و معاريف التجار و تكلموا فى اطراف القضية و اوضحوا مفاسد هذا الامتياز أبرق آية اللّه المجدد فى التاسع عشر من ذى الحجة سنة ۱۳۰۸ الى السلطان ناصر الدين و كتب كتابا مفصلا الى نائب السلطنة اوضح فيه ما يجب ايضاحه و شرح ما يجب شرحه فأرسل السلطان جواب المكتوب مع كمال التعظيم و التوقير و كان مفاده.

اولا- ان ايران حالها فى هذا اليوم ليس كحالها فى الامس فيجب على سلطانها ان يحفظ استقلالها و هذا لا يتم إلا باظهار المودة مع الدول القوية.

و ثانيا- دفع الفاسد بالافسد امر راجح.

و ثالثا- خراج ايران الذى يعرف باسم الماليات لا يفى بمصالح الملك فليس لنا بد عن امثال هذه المعاملات مع الاجانب لتتم به مصالح المملكة.

و رابعا- لا يجوز للسلطان اذا ختم بخاتمه فى دفتر المعاملة ان ينقضه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۷

و خامسا- لا يمكن الفسخ و الابطال فيها لانها تحولت الى ايد قوية من دول اوربا و كيف يمكن للسلطان مع ضعفه ان ينازع الأقوياء.

و سادسا- على فرض امكان السلطان من فسخ هذه المعاملة و ابطالها فانه يحتاج الى مصارف كثيرة لا يمكننا تحصيل عشرها، فأرسل السلطان الكتاب الى قنصله فى بغداد و كتب له بأن يسافر إلى (سر من رأى) حاملا معه الكتاب و يبذل جهده فى ارضاء الامام الشيرازى ففعل القنصل فلم يقبل (قدس سره) هذه المعاذير و اجاب عن كل واحد منها و ابرق للسلطان برقية ثانية و كتب كتابا ثانيا ادلى فيه ببراهين قاطعة أخطاء هذه المعاملة الفاسدة فكتب فى آخر الكتاب ان عجزت الدولة عن الجواب فلسنا بعاجزين و ان لم تقدر ان تجيب الخصم و تطالب بحقوق الملة فخل بيننا و بينه ثم فى خلال ذلك صدر الأمر من رئيس اصحاب الامتياز بجمع التنباك الموجود فى جميع ممالك ايران و شرائه فوقع التشاجر و التنازع فى القيمة و مقدار الثمن و ما ادخره بعض لحاجة أو لغرض آخر حتى ان احد التجار كان له اثنا عشر الف كيس من التنباك فجاء اليه اصحاب الامتياز لابتياع ذلك فلم يرض البايع بما عينه صاحب الامتياز من الثمن فاستمهله لغد فلما خرج اصحاب الامتياز من عنده اخرج اكياس التنباك فى الفضاء وصب عليها النفط و احرقها جميعه فلما اصبحوا جاؤا اليه و طالبوه بالاكياس فقال بعتها باغلى الثمن فاستشاطوا غضبا و قالوا له كيف بعتها من غير إذن منا فذهب بهم الى الرماد و قال بعتها لهذا غيرة للدين فافعلوا الآن ما شئتم فكثر الاضطراب بين الناس و اشتد الأمر على الزراع و ضاق الأمر على الرعية

لكثرة ما حملوهم من التكاليف الشاقة الضارة لدينهم و دنياهم و اتصل باصحاب الامتياز كثير من الدجالين الذين يريدون التقرب اليهم و يدعون انهم من المسلمين، فكانوا يدلونهم على اعراض الناس و نواميسهم و ما ادخروا من التنباك و جعلوا يصرفون عوام الناس عن إطاعة العلماء فاضطهد اهل الدين و كانوا يحبذون السفور لبنات المسلمين و ينصبون الكراسى فى المعامل الاسلامية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۸

ليجلسوا و ينظروا الى بنات المسلمين اللاتى يشتغلن فى المعامل، و هن سافرات و وقع من امثال ذلك مالا يحيط بيانه القلم، فلما رأى العلماء فى اصبهان ان البلية قد عمت البلاد امتنعوا عن استعمال التنباك و بيعه و شرائه فوافقهم أهل الدين و انتشر الخبر فهددوهم بارسال المدافع الى بيوتهم و تخريب مساكنهم غير ان العلماء لم يكترثوا بهذه التهديدات غيرة للدين فآل أمرهم الى النفى و الاخراج فخرج بعضهم خفية و بعضهم جهرا الى (سر من رأى) و استغاثوا برئيس الشيعة الامام المجدد رحمه اللّه فلما رأى أنه قد تفاقم الأمر و انتهى الأمر الى هذه النتيجة السيئة التى لا ترضى اللّه و رسوله كتب مصدرا فتواه التى رنّ صداها فى العالم الاسلامى لا سيما فى ايران فكان نص تعريبها بعد البسملة «اليوم استعمال التنباك و التتن حرام بأى نحو كان و من استعمله كمن حارب الامام عجل اللّه فرجه» و نصها بالفارسية (بسم اللّه الرّحمن الرّحيم امروز استعمال تنباكو و تتن در حكم محاربه امام زمان عليه السّلام است حرره الاحقر محمد حسن الحسينى) فأرسل صورة الفتوى الى اكبر علماء طهران الحاج ميرزا محمد حسن الأشتيانى قدس سره و فى اواخر شهر ربيع الثانى سنة ۱۳۰۹ اقام اصحاب الامتياز الاجانب فى دائرة الكمپانى حفلة عظيمة اجتمع فيها خلق عظيم من رجالهم و نسائهم و حضر القنصل الروسى و القنصل الالمانى و القنصل الايطالى و الامريكى و القنصل التركى و غيرهم من القناصل و المأمورين و الامراء و الحكام و التجار الايرانيين و كانت هذه الحفلة حفلة سرور و نشاط لظفرهم بمرادهم و كانوا فرحين بانقضاء مدة الاستمهال حسبوا انهم من الغد يسيطرون على المسلمين و ينالون مرامهم فلما اصبح الناس فى غاية الحزن و الانكسار سمع بعضهم من بعض ان الامام الشيرازى حرم استعمال التنباك و التتن و جعله فى حكم المحاربة مع الامام الحجة ابن الحسن (ع) فكادوا يطيرون فرحا و سرورا و جعلوا يسألون من أين جاء هذا النبأ العظيم الذى فيه حياة ايران و الايرانيين فازدحموا على دار حجة الاسلام الآشتيانى لكى يعرفوا صحة الخبر و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۵۹

الآشتيانى مترقبا هذه الفتوى غير ان البريد تأخر اسبوعا فأخذ أولياء الامر يعاقبون من تكلم بحرمة الاستعمال و يقولون هذا من حيلكم و لم تصدر من الامام الشيرازى فتوى بالحرمة فاذا بالبريد قد دخل دار الآشتيانى و أعطاه صورة الفتوى فقرأها الآشتيانى على عموم الناس فلم تنقض ساعات إلا و استنسخوا عنها مائة الف نسخة و قرأوها على المنابر فى المساجد و المحافل و ما أمسى الناس إلا و طبق البلدة الخبر و انتشر فى البلدان و القرى التى كانت من اعمال طهران فأمرت الحكومة بجمع النسخ و أخذها من أيدى الناس غير أنه ما نالت مرامها و جعلت تسأل عن نسخة الاصل فدلت على الآشتيانى و كان قدس سره يخشى من إظهار نسخة الاصل فاستعلمت الحكومة الامر من (سر من رأى) فأبرقوا للعلامة الميرزا حسين النورى و الشيخ الحاج آقا النورى و أمثالهما فأجيبوا بصحة صدور الفتوى من الامام الشيرازى فايقنوا بصدق صدور الحكم فابرق التجار و العلماء الى جميع ممالك ايران بذلك و خضع الناس جميعا للحكم و انقادوا و امتثلوا مبتهجين مسرورين و كل من كان عنده شىء من التنباك أحرقه و كسر غليانه و شطبه و من عجيب نفوذ هذا الحكم ان الفساق المتجاهرين بالفسق الذين يفطرون شهر الصيام و يشربون الخمر امتنعوا عن استعمال الدخان فقيل لهم ما بالكم تشربون الخمر و لا تشربون التنباك قالوا ان شرب الخمر له توبة و هذا ليس له توبة فمن استعمل التنباك فهو مثل من قتل الامام عليا (ع) و قاتل الامام لا تقبل توبته، و من عجيب نفوذ هذا الحكم بسرعة ان اصحاب المقاهى كسروا كل ما عندهم من ادوات الغليان، و ان كان من أغلى الأثمان و أبطل اصحاب المعامل كل ما له تعلق بالغليان سواء فى ذلك التاجر و الكواز و الصياغ و غيرهم، و كسروا ما عندهم فى المعامل فبلغ الامر الى أن رجلا سأل بعض العلماء و قال انى رششت التنباك بالشمس ليبس و أريد الآن جمعه فاجعله

فی کیس و اخرجه من داری فهل هذا استعمال اولا؟، و ارسل رجل رأس غلیان الی دکان لیصلحه قبل وصول الحکم فبعد انتشار الحرمة ذهب لیأخذ رأس

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۰

رأس الغلیان فرأی أن الأستاذ یصلح ثقبته و ما هو معد لشرب الافیون ورد رأس الغلیان کما کان و لم یصلحه فقال له الرجل هل یجوز شرب الافیون قال لا و لکن له توبته بخلاف شرب الغلیان الذی لیس له توبة، و رأوا درویشا یشرب الغلیان فانکروا علیه فحلف انه لیس فیه تنباک و انما هو حشیشة فلم یقنعوا بذلک حتی قلبوا رأس الغلیان فرأوا انه قد صدق فترکوه، و من عجیب نفوذ هذا الحکم الشریف أن خوانین حرم السلطان و جواریها قد کسروا ما کان عندهم من الغلیان و استعفی السلطان ناصر الدین شاه خدامه عن هذا العمل فعفا عنهم و خلی سبیلهم، و من عجیب نفوذ هذا الحکم الشریف أن الیهود و المجوس و سائر الفرق الباطلة و افقوا جماعة المسلمین و قالوا ان هذا حکم محترم یجب اتباعه و لا یجوز التخلف عنه فمن تخلف عنه فبعید عن الشرف، و لا یدلنا التاریخ منذ خلق اللّه الدنیا علی ان حکما نفذ بسرعة فی جمیع طبقات الناس کبیرا کان أو صغیرا رجالا أو نساء مؤمنا أو منافقا مسلما او کافرا عالیا کان او دانیا مثل هذا الحکم فانتشر فی العالم الاسلامی امتنع المسلمون عن شربه بسرعة بالطوع و الرغبة و یرون ذلک فخرا لأنفسهم، و قد دلّنا التاریخ من أحوال الأنبیاء علیهم السّلام انهم من بعد سنین متطاولة من تبلیغهم احکام اللّه و تحملهم المذلة و الأذی فی ذلک یتبعهم شرذمة قلیلة و عظمة نفوذ هذا الحکم الشریف بلغت درجة لا یمکن وصفها لانا نری بالعیان و نسمع بالآذان انه قل ما یوجد اتفاق جمیع العلماء فی جمیع البلدان فی حکم یتعلق بالمصلحة العامة و هذا الحکم الشریف لما صدر من مصدره خضع له جمیع العلماء و استقبلوه بکل ارتیاح و قبول و انقادوا الیه بکل ابتهاج و سرور و لعمری أن هذا من النوادر الغریبة التی قلّ ما تتفق فی عصر من العصور کما یدلنا سیر التواریخ لا سیما تواریخ العظماء المصلحین ثم ان اصحاب الامتیاز اصبحوا حیاری مبهوتین کأن علی رؤوسهم الطیر فکتبوا الی لندن بهذا المضمون (ان قد وقعت داهیة عظمی لا یدلنا التاریخ علی مثلها فی ایران و هی ان شرب التنباک و الانفیة التی کانت عادتهم استعمالها فی اللیل و النهار

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۱

و أهم لوازمهم بل کانوا یعدونه من الواجبات فی بیوتهم ترکوه بتاتا حین وصلت الیهم فتوی رئیسهم بالحرمة، و من حین صدور الحکم من رجل واحد ترکوا اعظم ما کانوا متعودین به منذ سنین متطاولة من غیر کره و لا اجبار و عامة المسلمین خضعوا لفتوی رئیسهم حتی دوائر الحکومة الایرانیة و صار استعمال التنباک عندهم من انکر المنکرات و لم یزالوا یکسرون (الشطب) (و الغلیان) و یرمون بخزفه و أخشابه الی دائرة الامتیاز) و مثل ذلک کتب السفراء الی ممالک اوربا فاجتمع اصحاب الامتیاز الی السلطان و استغاثوا به فوعدهم بالعلاج و کان السلطان فرحا بهذا الحکم الشریف بالباطن غیر انه لم یکن له بد من المماشاة مع اصحاب الامتیاز فعقد حفلة عظیمة دعا فیها مشاهیر علماء دار الخلافة منهم المیرزا الآشتیانی و المولی السید علی اکبر التفرشی و الشیخ فضل اللّه النوری و شریعة مدار امام الجمعة و شریعت مدار السید محمد رضا و الآخوند ملا محمد تقی القاشانی، و من طرف الدولة أحضر السید عبد اللّه البهبهانی و نائب السلطنة و أمین السلطان و أمین الدولة و مشیر الدولة و قوام الدولة و مخبر الدولة فلما اجتمعو احضر السلطان صورة ما قرر بینه و بین اصحاب الامتیاز و خاطب العلماء و قال هذا ما قرر بین الدولة و بین اصحاب الامتیاز فانظروا فیه فما کان فیه مخالفا لحکم الشرع المطاع نأمر بتغییره، و أما أصل المسألة فابطاله محال، فلما قرأوا فاذا فی صدر الدفتر کلمة (مینویل) فسأل العلماء عن تفسیر هذه الکلمة فقیل لهم أن هذه الکلمة معناها بالانکلیزیة الامتیاز و الانحصار یعنی ان التنباک لا یجوز بیعه و لا شراؤه إلا باجازة اصحاب الامتیاز، و هذا حق یختص به فقط، فقال العلماء هذا اول ما یجب تغییره او اسقاطه لأنه خلاف ما قرر فی شریعة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و من الاصول المقررة الثابتة قاعدته ان (الناس مسلطون علی أموالهم) فعلی هذا الأصل کل واحد من الناس مسلط علی ماله یفعل فیه ما یشاء فهو مختار علی بیعه و ادخاره بأی نحو کان، و قاعدتکم ج ۱- سامراء (۱۱)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۲

هذه مخالفة لحكم الشرع المطاع حيث انكم أمرتم بأن الرعية لا تبيع إلا لشخص معين و بثمن معين فى مكان معين و هو مجبور مسلوب الاختيار فى جميع ذلك و الشارع لا يرضى بذلك أبدا فبهتوا و افحموا، و كل واحد من اركان الدولة لم يحر جوابا، فقال الوزير الاشتيانى أن السيد ميرزا محمد حسن الشيرازى مجتهد و جنابك ايضا مجتهد فيمكنك أن تفتى بالاباحة كما انه فتى بالحرمة، فاجابه الآشتيانى بكلمات قارصة و قال ان مولانا الميرزا الكبير سيد الشريعة و امام الشيعة و ملاذ الأمة و نائب الأئمة حكمه مطاع و أمره لازم الاتباع و نحن عبيده و مطيعوه فى كل ما يقول لأن الراد عليه على حد الشرك، فيئس الوزير الأعظم من اقناع العلماء و وعدهم برفع الامتياز فلما مضى اسبوع على عقد المجلس المشار اليه عقدوا مجلسا آخر و أحضروا المذكورين و حضر السلطان ناصر الدين و قالوا قد ابطلنا الامتياز عن داخل ايران فآحاد الرعية مختار فى بيع التنباك بأى وجه يريد و بأى ثمن و فى أى وقت يشاء لا إجبار فى البين غير أن الامتياز باق بحاله فى خارج المملكة و التنباك من ايران يحمل الى المملكة العثمانية فقط و معلوم عندكم ان اختيار الخارج ليس بأيدينا فنستدعى من العلماء أن يصعدوا المنابر و يعلنوا بالاباحة فقالوا ما افتينا بتحريمه حتى نفتى باباحته و لا ربط لنا فى المسالة انما القول قول السيد الكبير الميرزا الشيرازى منه الأمر و منا الاطاعة و الانقياد فراجعوه انتم فى المسألة حتى يتبين لكم الأمر، فكتبوا صورة برقية و ختموها بخواتيم العلماء و ارسلوها الى سامراء و كانوا فى انتظار الحكم بالاباحة فاذا الجواب من سامراء مفاده (التشكر من السلطان و الرجاء بقطع أيدى الأجانب من ايران) فلم يبق مجال للسلطان على علماء دار الخلافة فبقى حكم الحرمة بحاله، فلما مضى اسبوع رأى الناس فى صبيحة يوم الاثنين اعلانا على حائط شمس العمارة مفاده ان يوم الاثنين الآتى نحن مأمورون بالجهاد فمن كان مسلما فيجب عليه الجهاد بفتوى الامام الشيرازى مد ظله فولول الناس فهاجوا و ماجوا و انتشر الخبر الى تمام دار الخلافة و خاف الأجانب على انفسهم فجعلوا ينهزمون خفية حتى ان كثيرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۳

منهم خرجوا من ايران لابسين ثياب النساء و كانت قلوبهم مملوءة رعبا من الحكم بحرمة الدخان و قالوا ان المسلمين مستميتون و نرى ان رئيسهم الدينى لو أمرهم باحراق انفسهم بالنار لا يتخلفون عن امره فالاقامة فى ايران فيها خطر عظيم، و اما اصحاب الامتياز فلجأوا الى شمس العمارة أو استغاثوا بالسلطان ناصر الدين شاه فارسل السلطان الى الآشتيانى و استخبر منه فحلف انه لا علم له بذلك و وعد السلطان بتسكين الناس و كان كثير من الناس يبتاعون الاسلحة و يجددون العهد و الوصية و علت اصوات البكاء من دورهم و كانوا يودعون نساءهم و صبيانهم فلم تزل هذه الأمور تتضاعف و يشتد خوف الأجانب و اصحاب الامتياز فدعا الآشتيانى اصحاب المنابر و المحاريب و امرهم بتسكيت الناس و ان هذا الاعلان لا اصل له فهدأت فورة الناس غير ان سفراء اوربا خافوا الأمر و زعموا ان هذه الهدنة من المسلمين سياسة و اغفال للخصم فاحتفلوا قبل مضى اسبوع و احضروا اصحاب الامتياز و السلطان ناصر الدين شاه و كثيرا من الأكابر و الأشراف و كان المتكلم السفير الروسى و خاطب الحضار و قال (زنده باد اتفاق مسلمانها) أى ليحى اتفاق كلمة الاسلام على السلامة فتعجب السفراء من هذه الكلمة فلما رأى السفير الروسى تعجبهم قال حضرت هذه الحفلة حتى اقول لكم هذه الكلمة و ان شئتم اشرح لكم، قيل له قل، قال اليوم مقدار مائتى الف من رؤوس (الغليان) و كيزان البلور للغليان و غيرهما مما يتعلق بالدخان وقفت تجارتها عن روسيا و لا يدرى الى ما يصير مآلها و كان السبب فى ذلك ان «آرسن» رئيس اصحاب الامتياز وضع حكما فى ايران يخالف قوانينهم الاسلامية فافتى رئيسهم المطاع بحرمة استعمال الدخان فاطاعوه و تركوا عادة كانوا متعودين عليها منذ خمسمائة سنة و منشأ هذه الخسائر ليس إلا (آرسن) رئيس الامتياز، اليس من الواجب عليه رفع يده عن هذه المعاملة قبل حدوث حادثة اكبر من هذه، قالوا باجمعهم نعم، ثم قال هذا سهل يمكن تحمله، و لو فرضنا ان رئيس الامتياز لم يرفع يده عن هذه المعاملة و رئيس الاسلام يشدد فى الحكم لقطع يد الأجنبى و يفتى بحرمة شرب «الشاى»

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۴

و من المعلوم ان تأثيره فى قلوب المسلمين ليس بأقل من تأثير حرمة الدخان فعنده هل يمن احصاء الخسائر التى ترد الينا و الى سائر دول اوربا لأن ذلك يعطل تجارة السكر بأنواعه و تجارة جميع الآلات التى يتوقف عليها استعمال «الشاى» و قد يكون ذلك سهلا لو فرض و لكن لو اصدر سيدهم المطاع فتوى بحرمة استعمال جميع ما يرد من البلاد الخارجية الى ايران لعمت الخسائر و الاضرار جميع الدول و لو فرضنا مع ذلك سهولة هذه الخسائر العظيمة و لكن لو اصدر فتواه الحاسمة بوجوب قتل جميع المسيحيين الذين هم منتشرون فى بلاد ايران و تنزيهها عن الأجانب فما تفعلون فقالوا باجمعهم لا شبهة انه لو افتى بذلك لقاتلونا لانهم يرون الجهاد واجبا عليهم و من قتل منهم يكون شهيدا فعند ذلك نكون مسؤولين تجاه صاحبنا لأن التبعة الخارجية كثيرة فى بلاد ايران و تلك داهية عظيمة، فقال السفير الروسى لهم فانظروا عندئذ عواقب المسألة فقالوا بأجمعهم الحق ما تقول و يجب على (آرسن) رئيس الامتياز فسخ المعاملة و ابطالها فقال (آرسن) كيف افسخ هذه المعاملة و انى منذ دخلت ايران الى يومى هذا انفقت اربعة كرور من الليرات فى الرسومات و العمارات و الآلات و الوظائف و غيرها، فقال السفير الروسى هذه الخسائر التى وردت عليك كنت قد اقدمت عليها لعلمك خلاف القوانين الاسلامية و رؤساؤهم الدينيون لم يرضوا بذلك، فبهت (آرسن) و لم يحر جوابا ثم استمهل السفراء لينظروا فى امره فكان كلما فكر فى الأمر لم تطب نفسه الى ترك المعاملة، فكتب اليه السفراء بأن لا تقوم فى ايران الا ان تأخذ الاجازة باستعمال الدخان من علماء الاسلام، ثم ان (آرسن) جعل يسأل عن احوال علماء دار الخلافة و مراتب زهدهم و تقواهم الى ان وجد فيهم من كان يطلبه فدخل داره خفية و رشاه بثلاثة آلاف تومان له و خمسمائة تومان لكاتبه فقبل تلك الرشوة فقال برئيس الامتياز أنا افتيت بالحرمة لجهات اقتضت و الساعة أفتى بالاباحة فشرب فى الوقت الدخان فلما رأى ذلك (آرسن) فرح بذلك و زعم أنه نال مرامه من هذا الفاسق

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۵

المتهتك فقال المرتشى أنا متعهد بإبقاء معاملة الامتياز على حالها و استعمال الشعب الدخان و لكن يجب عليك ان تواجه السلطان و تستدعى منه إخراج من هو معارض لنا من طهران، فقام (آرسن) و اتى الى السلطان و قال ما جئنا الى ايران الا معتمدين عليك لتزيل عنا كل غائلة حدثت و اليوم أصابتنا خسائر فادحة و فيها مسؤولية عند السفراء فنستدعى من حضرتكم اما ان تتحمل خسائرنا لنرجع الى بلادنا او تأخذ لنا الاجازة من العلماء، و لما كان الأول غير ممكن للسلطان وعده بالثانى اضطرارا ثم حدثه بالفصة و ما وقع الاتفاق عليه مع المرتشى المذكور فبقى السلطان متحيرا فكتب إلى الآشتيانى بما مضمونه ان جنابك مخير بين ان تعلن بأباحة استعمال الدخان أو تسافر مدة قليلة من طهران فان الأمر كذا و كذا فكتب اليه الآشتيانى أما نقض حكم الامام الشيرازى فمحال، و اما المسافرة فاسافر مع الغد إن شاء اللّه فانتشر نبأ المسافرة فى تمام البلدة بسرعة هائلة فعظم ذلك الأمر عند العلماء فاجتمعوا من كل محلة و قصدوا دار الآشتيانى و اجتمع من طبقات الناس خلق كثير فملئت الشوارع و الاسواق و رفعوا اصواتهم بالبكاء و النحيب مستنكرين ذلك أشد الانكار و كان الأمر كذلك الى قريب من الظهر فبينما هم كذلك اذ بأفواج النساء صارخات باكيات يهرعن الى الأسواق فكلما رأين دكانا مفتوحا امرن بسده فعطلت الأسواق و ملئت الشوارع و السكك من الرجال و النساء فجعلوا يسبون اصحاب الامتياز و كل من ينصرهم و يعينهم و تارة يصرحون باسماء الوزراء الكبار بحيث خاف أركان الدولة على أنفسهم فسدوا ابواب شمس العمارة و نصبوا المدافع على سطوحها و أمروا الجيوش باطلاق نيران بنادقهم فخالف الجيوش أوامر الضباط و كانوا يبكون لبكاء النساء و علت اصوات البكاء من حرم السلطان و جواريها و كن يشتمن الوزراء الذين تعهدوا ببقاء الامتياز و هتفن بالسب الشنيع و الشتم الفظيع فارسل السلطان نائب السلطنة ليسكت الناس فلما صادف الناس صاحوا فى وجهه و ضربوه ضربا مبرحا فاطلق بعض حواشى السلطان بندقية فقتل نفرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۶

من الرجال فكثر الضجيج فسكتهم الآشتيانى و قال السلطان استدعى منى أن لا أخرج من دار الخلافة فامضوا إلى مساكنكم فهدأت

فورة الناس فدخل عضد الدولة الآشتياني بعد تفرق الناس مع جماعة من وجوه حواشي الدولة و اعتذر منه بكل لسان و قال له رفعنا الامتياز عن الخارجية فضلا عن الداخلية و قطعنا ايدى الأجانب بالكلية من ايران فنرجو من فضلكم الآن أن تبرقوا الى سامراء و تشرحوا للامام الشيرازى حقيقة الأمر ليصدر فتواه بجواز استعمال الدخان فاجابه الآشتياني لذلك فابرق برقية مفادها ان امتياز الدخانية رفع بيمن بركاتكم و مساعيكم الجميلة من داخل ايران و خارجها و بطلت المعاملة الجائرة و عاد الأمر كما كان و قطعت ايدى الأجانب من ايران فالناس منتظرون امركم فى جواز استعمال الدخان، و بهذا المضمون أرسل سائر العلماء برقيات إلى سامراء فجاء الجواب للآشتياني مفاده ان برقيات العلماء وصلت الى و أنا اشكر مساعيكم و اصدق اقوالكم غير انى لا اعتمد على طريق الوصول و هى البرقية فان كتبتم إلى تفصيل ما فى البرقيات بقطع يد الأجنبى عن ايران بتاتا و عود امر الدخانية الى ما كان سابقا فالترخيص يجيئكم انشاء اللّه، فكتبوا اليه قدس سره فجاء الجواب بالترخيص فخرج اصحاب الامتياز من ايران راجعين الى اوربا بخفى حنين، و كان يوم وصول الترخيص يوما مشهودا و فرح السلطان ناصر الدين شاه فرحا شديدا و قال ان الميرزا الشيرازى أحيى دولة القاجارية و كان قدره مجهولا عندنا و اليوم عرفنا منزلة هذا الرجل الكبير أدام اللّه بقاءه، و استنسخوا الف صورة من كتاب الامام الشيرازى و ارسلوها إلى سائر بلاد ايران فعاد الأمر كما كان و انتشر الخبر الى سائر آسيا و بلاد اوربا و افريقيا و امريكا و نشر ذلك فى الجرائد الخارجية، و أرسل الأمريكان الى سفيرهم فى بغداد سائلين عن هذا الرجل الكبير المطاع الدينى الذى قام فى قبال اربع دول و نال مرامه و غلب عليهم و أمر الروس سفيرهم فى بغداد بمسافرته الى سر من رأى ليظهر اخلاصه فامتثل و كان الأجانب من كل جانب يسألون حاله قدس سره حتى خيف عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۷

من اليد العادية و لكن يد اللّه فوق أيديهم؛ و كتب السلطان ناصر الدين شاه عريضة مفصلة بديعة، أظهر فيها اخلاصه الصميم، و كذا الوزراء و الحكام؛ حتى اشتهر- قدس سره- بآية اللّه المجدّد؛ لأنه جدد الدولة و المنة .. - .

العراق قديما و حديثا

قضاء سامراء

سامراء من المدن الواغلة فى القدم و العمران، فهناك من يقول ان وجودها سبق ظهور الاسلام بزمن بعيد، إذ دلت بعض الحفريات على أن بعض مواطنها كانت مأهولة منذ زمن ما قبل التاريخ و انها من بعد ان بلغت ابعد شأو فى المدينة و الحضارة أخذت فى الهوى و الهبوط شأن كل موجود حتى جاء المعتصم باللّه فجدد بناءها سنة ۲۲۱ ه- ۸۳۵ م و منهم من يرى أنها

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۸

مدينة عباسية بحتة، اختطها المعتصم بن الرشيد فى السنة المذكورة على الجانب الشرقى من دجلة، و حمل إليها الأغراس المختلفة من سائر أنحاء المملكة الإسلامية، و زينها بالقصور و البرك و الميادين، ثم جاء بعده بعض الخلفاء العباسيين فأقاموا فيها القصور، فبنى هارون الواثق باللّه القصر المعروف بالهارونى، و أضاف إليها جعفر المتوكل على اللّه القصر المسمى بالجعفرى، و شيد المعتمد على اللّه ابن المتوكل القصر المسمى بالمعشوق، و المعروف الآن بالعاشق. و كان الناس قد اتسعوا فى العمران فى زمن المتوكل أكثر مما اتسعوا فى بغداد حتى اتصل من «الدور» إلى «بلكوارا» أو «المنقور» كما يعرف الآن، فلم تزل المدنية فى سامراء فى تقدم و توسع حتى غدت أجمل مدن العراق دار متعة و عزة و سطوة للعباسيين أكثر من خمسين عاما، ثم قلب لها الدهر ظهر المجن فجعلها خرائب و آكاما تمتد اليوم على شاطىء دجلة الايسر إلى نحو من ثلاثين كيلومترا.

أما سامراء الحالية فإنها كانت إحدى المحلات الشهيرة فى أيام المعتصم و كان يسكنها الإمام على الهادى، فلما توفى (ع) سنة ۲۵۴

ه- ۸۶۸ م دفن مدينة سامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۶۹

فی بيته، و لما توفی ابنه الحسن العسكری سنة ۲۶۰ ه- ۸۷۳ م دفن إلی جوار أبيه فاتخذ شيعتهما مرقديهما مزارين و قد بنوا حولهما العمارات و أنشأوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۰

الدور و المنازل العامة فحافظت علی عمرانها و وضعها إلی ما بعد انقراض

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۱

الدولة العباسية، فلما شرع فی التنظيمات الإدارية فی العراق علی عهد الوالی مدحت باشا عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء، و هی اليوم علی مسافة ۱۲۸ كيلومترا من شمالی بغداد، أكثر بيوتها مبنی بالآجر المنتزع من سامراء القديمة؛ و جل سكانها من العشائر المحيطة بها و هم، أو أكثرهم، يدعون السيادة و انهم من نسل الإمامين العسكريين عليهما السّلام و كان هؤلاء يعيشون علی زوار العتبات المقدسة من الايرانيين و الهنود و الافغان، فلما وقف سيل هؤلاء أو كاد، انصرف الأهلون إلی الارض يحرثونها و يزرعونها ليعيشوا علی غلالها و يتجروا بخيراتها، و قد أدی هذا التحول الاقتصادی إلی ارتفاع مستوی المعيشة فيها فصاروا يأخذون مياه شربهم من الحنفيات بعد أن كانوا يستقونها من النهر علی يد السقائين، و أخذوا يستنيرون بالكهرباء بعد أن كانوا يتخذون الزيوت للإنارة، و انتشرت فی أرجائها الحدائق العامة و الخاصة بعد أن كانت بلقعا، أما جوها فإنه لم يزل لطيفا كما ان نسيمها لم يزل نقيا عليلا، و قد نصب لها جسر من زوارق حديدية فسهل لها المواصلات بعد أن كان الناس يعبرون النهر بالزوارق الخشبية، و مما زاد فی أهميتها مرور «قطار الشرق السريع» بها و تدل سجلات النفوس علی ان نفوس قضاء سامراء بلغت فی نهاية سنة ۱۹۴۷ (۶۴۹۰۴) نسمات عدا الأجانب.

و قد قامت مديرية الآثار القديمة سنة ۱۹۴۰ م بترميم بعض هذه الآثار و فتحت متحفا فی (سامراء) و ضعت فيه مخططات و مصورات مهمة عن آثارها و جمعت جزءا مما عثرت عليه من زخارف جصية و جبسية جميلة و آثار

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۲

زجاجية و فخارية من الفسيفساء و الآجر المزجج علی اشكال زهرية او علی هيأة الكاشی المعرق.

و كان يحيط بسامراء- الحالية- سور ضخم يبلغ طول محيطه كيلومترين و لا يتجاوز قطره الأعظم ۶۸۰ مترا، عمّره فی حدود سنة ۱۲۵۰ ه- ۱۸۳۴ م زين الدين السلماسی و قد انفق علی تعميره احد ملوك الهند كما جاء فی «شرح الطرّة» و لهذا السور اربعة ابواب باب القاطول و باب الناصرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۳

و باب بغداد و باب الملطوش، و قد هدمت مديرية الآثار العامة الباب الغربی- ای باب القاطول- فی عام ۱۹۳۶ م. و بنت الحكومة منه صرحا لها و دارا للبلدية و مستشفی للأهلين و مدرسة للبنين و ناديا للموظفين و دائرة للبرق و البريد. و هدمت الباب الجنوبی- ای باب الناصرية- فبنت خارجه مسلخا و مذبحة. و حولت الباب الشرقی- ای باب بغداد- إلی متحف محلی تعرض فيه نماذج الآثار المنتزعة او المستخرجة من الحفريات التی تقوم بها المديرية المذكورة.

و فی مدخل سامرا يقع مشروع الثرثار الذی يقی بغداد من الغرق و هو مؤلف من قسمين هما: ۱- القناة التی تصل دجلة بمنخفض وادی الثرثار و يبلغ طولها ۶۲ كيلو مترا و (۲) سدة علی نهر دجلة مقابل مدينة سامراء لحجز المياه الفائضة و تحويلها إلی القناة. و تتكون هذه السدة من سبع عشرة فتحة عرض كل منها (۱۲) مترا ترفع بالقوة الكهربائية و بالعتلات التی تدار باليد إذا انقطع تيار الكهرباء. أما طول السدة فهو (۴۴۹) مترا. و يتضمن المشروع أيضا ناظم من ست و ثلاثين فتحة عرض كل منها ۱۲ مترا مجهزة بأبواب

من الحديد لإمرار تسعة آلاف متر مكعب من الماء فى الثانية، كما يتضمن بناء اسس لتوليد القوة الكهربية تقدر طاقتها الانتاجية بمئة و اثنى عشر الف كيلو واط و قد بلغت نفقات حفر القناة و إنشاء السدة حوالى ستة عشر مليون دينار و بوشر فيه سنة ۱۹۵۲ م فتم افتتاحه فى الثانى من نيسان عام ۱۹۵۶ م و هو من مشاريع مجلس الإعمار المدعمة بواردات العراق من النفط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۴

سامراء فى الموسوعات و المراجع العامة

وفيات الأعيان

و لما كثرت السعاية فى حقه (- على الهادى) عند المتوكل أحضره من المدينة. و كان مولده بها. و أقره بسر من رأى، و هى تدعى بالعسكر؛ لأن المعتصم لما بناها- انتقل اليها بعسكره، فقيل لها العسكر.

و لهذا؛ قيل لأبى الحسن (على الهادى) المذكور: العسكرى؛ لأنه منسوب إليها، و أقام بها عشرين سنة، و تسعة أشهر.

و توفى بها، يوم الاثنين، لخمس بقين من جمادى الآخرة ... سنة اربع و خمسين و مائتين، و دفن فى داره ...

أخبار الدول و آثار الأول

سامرّا (سرّ من رأى)

مدينة عظيمة، كانت على شرقى دجلة، بين تكريت و بغداد. بناها المعتصم سنة احدى و عشرين و مايتين. و سكن بها جنوده، حتى صارت اعظم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۵

بلاد اللّه. و هى- اليوم- خراب، و بها اناس قلايل كالقرية .

أحسن الوديعة

سامراء .. و هى بليدة .. و من بغداد اليها مدت الحكومة الألمانية- بعد أخذ الامتياز من حكومة تركيا- السكة الحديدية المعروفة بالقطار، و ذلك بعد سنة ۱۳۲۷.

و سامراء بلدة عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الداء ...

و هذه البقعة الطاهرة .. هى مزار المسلمين عموما، و الشيعة خصوصا.

و أمر هذه البلدة كانت فى الشدة و الضعف، حتى جاء العلامة الميرزا السيد محمد حسن الشيرازى، فسكن بها، و جعلها- كما كانت- مركزا علميا لأصحابنا، و رحلت إليه طلابنا و أصحابنا، من البلاد؛ للتلمذ عليه. فعمر مدرسة كبيرة باقية حتى الآن و حمامين.

و اليوم فيها جماعة كثيرة من فضلاء الشيعة، و أخيارهم، و عوامهم.

و بالجملة، فسامراء من مراكز العلم قديما و حديثا ...

أعيان الشيعة

سامراء، يقال سر من رأى. و لعل سامراء مخفف منها. بناها المعتصم سنة ۲۲۱، و سكنها بجنوده، لما ضاقت بهم بغداد. فصارت مدينة عظيمة.

و لم تزل فى تناقص، حتى قرية، و كثرت فيها الشيعة، لما توطنها الإمام الميرزا الشيرازى؛ السيد محمد حسن. و صارت إليها الرحلة من الآفاق.

و كانت فيها فى عصره مدرسة عظمى للشيعة فى العلوم الدينية. و بعد وفاته

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۶

سنة ۱۳۱۲؛ تناقص عدد الشيعة فيها، و عادت إلى شبه حالها الاول.

و اليوم؛ فيها جماعة من العلماء و الطلاب .

تاريخ الشيعة

سامراء، اسسها المعتصم عام ۳۲۰ (كذا)، و جعلها عاصمة ملكه.

و انتقل اليها بحاشيته و جيشه. و انت جد خبير بأن التشيع يسير مع الاسلام اينما سار. فكم كان بين الجند، و القواد، و الامراء، و الكتاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء اهل البيت عليهم السّلام.

و ظهر التشيع جليا بعد ان قام الامامان فيها. و شاهد الناس ما لهما من علم و سجايا حميدة، و مزايا دلت على انهما فرعان من شجرة النبوة، و وارثان لذلك العلم الالهى؛ على الرغم من مناوأة العباسيين لهما، و اجتهادهم فى منع الناس من الاجتماع بهما، و اجتماعهما بالناس. و لكن الشمس تفيض على العالم اشعة تنمى الضرع و الزرع، و ان حالت السحب دون ذلك الشعاع.

و يشهد لظهور التشيع فى سامراء- ذلك اليوم- ما ذكره اليعقوبى فى تاريخه (۳: ۲۲۵) عن حوادث عام ۲۵۴، و وفاة الهادى (ع) تاريخه (۳: ۲۲۵) فيها، قال: «فصلى عليه فى الشارع المعروف بشارع ابى حمد. فلما كثر الناس، و اجتمعوا؛ كثر بكاؤهم و ضجتهم، فرد النعش إلى داره، فدفن فيها».

و هكذا، ذكر غيره عند وفاة ولده أبى محمد الحسن- عليه السّلام-.

و ما زال التشيع فيها راسخ القدم. إلى ان حاربه الأيوبى فى تلك الجهات، و اقتفى أثره بعد أمد بعيد- السلطان سليم العثمانى- و جرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۷

و لو لم يكن الّا مراد الرابع محاربا للشيعة فى هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعى لكفى فى اخفاء التشيع، و هرب الظاهرين من رجاله. و لقد نزح عنها ثلة من الناس هربا بأرواحهم. و كان منهم سدنة ذلك الحرم المقدس.

و لما قطن فيها زعيم اهل الدين- فى عصره- السيد ميرزا حسن الشيرازى! استعاد التشيع فيها نشاطه، و هاجر إليها كثير من ابناء العلم و ارباب المكاسب.

و حينما تضاءل- قبل هذا- التشيع زمنا طويلا كان آخذا بحظ وافر فى قبائلها الجنوبية القاطنة على ضفتى دجلة، و فى القرى، و الرساتيق الشرقية الجنوبية التى بينها و بين بغداد.

و ما زالت- بعد ارتحال السيد الشيرازى (عليه الرحمة) مهبطا لبعض أهل العلم.

و لم تخل- فى عهد من عهودها إلى اليوم، من رجال، لهم قيمتهم العلمية و الاجتماعية.

و يسكنها- اليوم- جماعة من الشيعة، من أهل الحرف و العمل.

و سامراء، من البلاد المقدسة، التى يؤمها الشيعة لزيارة الامامين الهادى، و ابنه الحسن العسكرى عليهما السّلام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۸

سامراء فى الأدلة و الجغرافيا

الدليل العراقى الرسمى لسنة ۱۹۳۶

أطلال سامراء

تقع أطلال سامراء المندرسة، بجوار مدينة سامراء الحديثة. تحتوى هذه الأطلال على آثار عربية مهمة تدل معالمها على ما كانت عليه هذه المدينة من العز، و المنعة، ففيها أنقاض السجن، و الكمرك؛ الذى بناه المتوكل على اللّه، و الذى يسمى بالعاشق، و هما مقابلان لسامراء الحالية، و سور (و) منارة الجامع الكبير الذى بناه المستنصر باللّه. و تعرف هذه المنارة بالملوية ... الخ .

دليل تاريخى على مواطن الآثار فى العراق سامراء اليوم

على نحو ۱۲۰ كيلو مترا من شمال بغداد، على ضفة دجلة الشرقية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۷۹

تقوم بلدة سامراء الحديثة، فوق جزء ضئيل من اطلال عاصمة بنى العباس القديمة، الممتدة اطلالها مسافة طويلة الى شمالها و جنوبها و شرقها.

و هى- اليوم- مركز قضاء واسع، من أقضية لواء بغداد.

كان يحيط بهذه البلدة، إلى ما قبل عشر سنوات سور ضخم، يبلغ طول محيطه نحو كيلومترين. شيد منذ نيف و مائة سنة؛ لصد غارات البدو عنها. و كان له أربعة ابواب؛ هى: باب القاطول فى الغرب، و باب الناصرية فى الشمال، و باب الملطوش فى الجنوب، و باب بغداد فى الشرق.

و قد هدم الآن معظم هذا السور توسيعا للبلدة التى أخذت تمتد فيها وراءه.

الروضة العسكرية و سرداب الغيبة

و فى قلب مدينة سامراء الحديثة؛ الروضة العسكرية حيث ضريح الامام على الهادى (ع)، و الحسن العسكرى (ع). و عليه قبة طليت بالذهب سنة ۱۲۸۵ ه.

و كان الامام على الهادى يسكن سامراء فى أيام المعتصم باللّه. فلما توفى سنة ۲۵۴ ه، دفن فى وسط داره، و لما توفى الامام الحسن العسكرى سنة ۲۶۰ ه، دفن بجنبه.

و فى جانب الضريح، الجامع. و تعلو بنايته قبة يزينها كل شىء ملون مزخرف. و تحت الجامع سرداب غيبة الامام الثانى عشر؛ محمد

بن الحسن العسكرى. و هو السرداب المعروف باسم «غيبة المهدى». و فيه باب خشبى جميل، عمل سنة ۶۰۶ ه ۱۲۰۹ م، بأمر الخليفة العباسى، الناصر لدين اللّه:

تزينه كتابة نسخية جميلة، تبرز على ارضية مزخرفة ..

و يزين جدران السرداب كاشى ملون و مزخرف. و يمتد- على طول الجدران الثلاثة- نطاق من الخشب، طوله ۸۰، ۴ م: فيه كتابة كوفية

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۰

بارزة هذا نصها: «بسم اللّه الرحمن الرحيم»- محمد رسول اللّه، أمير المؤمنين على بن ابى طالب، الحسن بن على، الحسين بن على، (على بن الحسين)، محمد بن على، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر: على بن موسى، محمد بن على، على بن محمد، الحسن بن على، القائم بالحق- عليهم السّلام-. هذا عمل على بن محمد و بن آل محمد رحمه اللّه» .

الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ۱۹۵۷ العشائر المتوطنة

اشارة

اسم العشيرة/ السكان بموجب ارقام الإدارة المحلية لسنة ۵۶/ مركز العشيرة أو موطنها وسعة المنطقة بالدونم أو الكيلومتر

البوعباس/ ۷۰۰۰/ يسكنون معيجل، و العلفة، و داود الجزيرة.

البودراج/ ۱۲۰۰/ يسكنون فى العاشك، و الطونية، و الجزيرة.

البونيسان/ ۱۲۵۰/ فى الديوانية الحريجية، و الجزيرة.

البوباقر/ ۵۰۰/ يسكنون ام الطلائب.

البو عيسى/ ۶۰۰۰/ يسكنون مكيشيفة، و الجزيرة.

الدوريين/ ۴۰۰/ يسكنون فى الزلابية، و الجزيرة.

العبيد/ ۲۶۵۰/ طعس الدابة وسعتها (۴۰۰ كم ۲)، و الحدادية وسعتها (۱۵۰ كم ۲)، و يسكنون الباصونى و عتبة الامام-

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۱

و الصراة، و الدعالج وسعتها (۳۰۰ كم ۲) و مطيبيجة وسعتها (۴۰۰ كم ۲)، و الخرابة وسعتها (۱۵۰ كم ۲)، و عجل وسعتها (۴۵۰ كم ۲).

البوصگر/ ۱۰۰/

الصايح/ ۹۵۵۵/ يسكنون ابوفسيلة وسعتها (۴۰۰ كم ۲) و الصراة وسعتها (۴۰۰ كم ۲)، و الخاتونية وسعتها (۶۰ كم ۲)، و مليحات وسعتها (۱۶۰ كم ۲) و سديدة وسعتها (۴۰۰ كم ۲)، و الاغير وسعتها (۷۵۰ كم ۲)، و المناهلة وسعتها (۳۰۰ كم ۲)، و الچبايش وسعتها (۳۰۰ كم ۲)، و ابو حواى وسعتها (۴۵۰ كم ۲) و الزلزلية وسعتها (۱۰۰ كم ۲)، و الفرحيات وسعتها (۶۵۰ كم ۲) و البعجى وسعتها (۱۵۰ كم ۲)، و صعيد، وسعتها (۱۰۰ كم ۲).

السادة/ ۵۰/ الجلوب وسعتها (۱۰۰ كم ۲)، و الخاتونية سعتها (۶۰ كم ۲)، و مليحات وسعتها (۱۶۰ كم ۲)،

العزة/ ۹۷۰/ ام البلبل وسعتها (۴۰۰ كم ۲)، و حاوى المتية وسعتها (۵۰۰ كم ۲)، و حاوى الحمود وسعتها (۱۵۰ كم ۲)، و قلعة الرمل (۱۰۰ كم ۲)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۲

و مجموع العشائر المتوطنة (۱۱) عشيرة.

و مجموع نفوس العشائر المتوطنة فى سنة ۱۹۵۶ (۰۷۵، ۳۰).

مجموع نفوس العشائر المتوطنة تخمينا فى ايلول سنة ۱۹۵۷، بعد اجراء التعديل اللازم (۶۹۵، ۱۸) .

الأحياء:

محلة العابد، محلة البوجول، محلة البوبدرى، محلة البونيسان، المحلة الغربية، محلة القاطول، محلة القلعة، المحلة الشرقية .

الدليل الجغرافى العراقى سامراء

و فيها اطلال مدينة (سر من رأى) العباسية. اسست فى زمن الخليفة المعتصم (۲۱۸- ۲۲۷ ه) لجعلها عاصمة له، ثم اوصلها الى أقصى اتساعها المتوكل (۲۳۲- ۲۴۷) ه.

و من اهم آثارها: بقايا دار الخليفة، و المنارة الملوية؛ التى انشئت مع المسجد الجامع الكبير- على عهد المتوكل.

و فى مدينة سامراء الحالية؛ ضريحا الامام على الهادى، و ولده حسن العسكرى- ع- كانت وفاة الاول فى سنة ۲۵۴ ه، و الثانى فى سنة ۲۶۰ ه .

الأماكن المقدسة فى العراق

اسس سامراء الخليفة المعتصم باللّه، سنة ۲۲۱ هجرية (۷۳۶ ميلادية).

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۳

و سكنها خلفه حتى سنة ۲۷۹ هجرية (۷۹۲ ميلادية) و فيها؛ مسجد مشهود، يرجع الفضل فى بنائه إلى ثلاثة من أئمة المسلمين الامام العاشر، و الحادى عشر، و الثانى عشر. فالعاشر الامام على العسكرى، و الحادى عشر الامام حسن بن على العسكرى. دفنا فى ضريح تعلوه قبة محلاة بالذهب، بأمر شاه العجم؛ ناصر الدين شاه. و فى حجرة صغيرة مبنية تحت الأرض، غاب الامام المهدى، الامام الثانى عشر، المعروف عنه ان جثته قد اختفت من الضريح سنة ۲۶۴ هجرية (سنة ۸۷۸ ميلادية).

و لما آلت مدينة الخلفاء إلى الخراب، و أخذت معالمها فى الاندثار؛ استوطن بعض الناس الأماكن المحيطة بالمسجد، بعد رجوع الخلفاء إلى بغداد و أصبح- بعدئذ- مكانا شهيرا عند الشيعيين يؤمونه للزيارة. و قد احيطت بلدة سامراء فى العهد الحديث بسور من الآجر لصيانتها ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۴

جغرافية العراق

سامراء:

تقع سامراء على ضفة دجلة اليسرى بعيدة عن الساحل، و هى مركز القضاء التابع الى لواء بغداد.

و القصبة مبنية على ارض خصبة رملية. و يحيط بها سور من الآجر.

و فيها، مرقد الإمامين على الهادى، و الحسن العسكرى؛ فى صحن كبير، واقع فى وسط القصبة. و يؤمها الزوار من كل حدب و صوب، للزيارة و التبرك.

و تقع مزارع القصبة و بساتينها على الضفة المقابلة، نظرا إلى خصب التربة هناك.

و قد كثرت فيها فى الآونة الاخيرة المضخات، لضخ الماء من نهر دجلة. و فى شمالى القصبة اطلال قصر الخليفة، و هى من أجل الآثار العباسية الباقية شأنا.

و البناء يدل على تقدم فن الريازة فى عهد العباسيين .

سامراء فى الرحلات رحلة ابن جبير

و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر (سنة ۵۸۰ ه) على شط دجلة، بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق، و يقال انه (كان) متفرجا لزبيدة ابنة عم الرشيد و زوجه- رحمه اللّه-.

و على قبالة هذا الموضع، فى الشط الشرقى؛ مدينة سر من رأى. و هى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۵

- اليوم- عبرة من رأى اين معتصمها؟ و واثقها؟ و متوكلها.؟

مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها، الا بعض جهات منها، هى- اليوم- معمورة.

و قد أطنب المسعودى- رحمه اللّه- فى وصفها، و وصف طيب هوائها، و رائق حسنها. و هى كما وصف، و إن لم يبق إلّا الأثر من محاسنها، و اللّه وارث الأرض و من عليها، لا إله غيره. فأقمنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين .

الاشارات الى معرفة الزيارات

مدينة سامراء، و قيل؛ سر من رأى، بها الامام على بن محمد الهادى، ولد بالمدينة، عاش خمس (كذا) و سبعين سنة.

و بها الامام الحسن بن على العسكرى (رضه).

و بها الامام الحجة، محمد بن الحسن المنتظر (رضه)؛ مولده سر من رأى، عمره سبحان عالم الغيب و الشهادة، قبره؛ اللّه يقضى حيث يشاء.

الخ ... .

رحلة ابن بطوطة

ثم رحلنا، فنزلنا موضعا- على شط دجلة، بالقرب من حصن يسمى «المعشوق». و هو مبنى على الدجلة.

و فى الشرقية- من هذا الحصن- مدينة سر من رأى، و تسمى- أيضا-

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۶

سامرا. و يقال لها «سام راه» و معناه بالفارسية؛ طريق سام. و راه هو الطريق.

و قد استولى الخراب على هذه المدينة؛ فلم يبق منها إلّا القليل، و هى معتدلة الهواء، رائعة الحسن؛ على بلائها، و دروس معالمها.

و فيها- أيضا- مشهد صاحب الزمان- كما بالحلة - .

نزهة الجليس و منية الأديب الأنيس

ثم سرنا من بغداد إلى سامرا ... لزيارة الإمام على الهادى، و الامام حسن العسكرى، فزرناهما- رضى اللّه عنهما- و فزنا بالقبول، و بلوغ المأمول، و أقمنا بها ثلاثة أيام، و رجعنا إلى بغداد دار السّلام ..

مدينة سامرا؛ على طرف شرقى دجلة. و هى بين بغداد و تكريت.

بناها المعتصم باللّه العباسى؛ سنة ۲۲۱ عند ما ضاقت بغداد بعبيده الأتراك.

و أنشأ بها جامعا، و عدة دور جليلة، قيل انه انفق على بنائها خمسمائة الف الف دينار. و بنى بها المنارة التى كانت من احدى العجائب. و بنى بها قصورا على شاطىء الدجلة.

و بها نهران يشقان شوارعها، و يشقان الجامع الذى بها.

و فى الجامع؛ سرداب قد ثبت- عند الشيعة الامامية- ان المهدى؛ محمد بن الحسن العسكرى- و هو صاحب الأمر المنتظر- قد غاب فيه الغيبة الكبرى ايام المتوكل العباسى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۷

رحلة المنشىء البغدادى

سامرا؛ من الدور إليها ثمانية فراسخ. طيبة الهواء كثيرا، و فيها نحو ألفى بيت.

و من المزارات فيها مزار الامام على النقى، و الامام حسن العسكرى (ع)، و محل غيبة الامام محمد المهدى.

و فى كل سنة يبلغ زوار الشيعة- من العرب و العجم- نحو ثلاثين ألفا؛ يأتون إلى هذه المشاهد للزيارة.

و يقال لسامراء (العسكر)، طولها و عرضها ثلاثة فراسخ. و هى تقع على ساحل دجلة.

و هى من بناء الخلفاء العباسيين، و أكثر بيوتها إلى الآن ظاهرة. و لها مسجد كبير من بناء الخلفاء. و المنارة فيها و يقال لها (الملوية)؛ و هى لا تزال قائمة و يصعد عليها من الخارج بالتواء، بخلاف سائر المنائر؛ فان طريق الصعود إليها من سلم فى الداخل.

و فى سامرا البطيخ الأحمر كثير الجودة، و ليس فيها و لا فى (الدور)، و تكريت بساتين من جهة ان أرض تلك الأنحاء كلسية (جص) .

رحلات عبد الوهاب عزام يوم سامراء ..

يوم السبت. السابع و العشرين من رمضان (۱۳۴۹ ه- ۱۹۳۱ م) كان يوما أغرّ بين أيّام رحلتنا. كان أغرّ و إن كره الساخطون، الذين سموه اليوم العصيب، و سموا سامرا «غم من رأى» بدل «سر من رأى». أليس

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۸

يوم سامرا أبقى الأيام فى نفوسهم أثرا، و أعظمها وقعا؟

بدأنا رحلة سامرا بأغلاط؛ غلطنا فى تقدير الطريق طانين أنه ساعتان أو ثلاث. و غلطنا فى اختيار المطايا. فأخذنا سيارات من بغداد

صغيرة مكان سيارات حيفا القوية، ثم أضاع سائقو السيارات ۴۵ دقيقة فى التزود من البنزين.

خرجنا من بغداد، و الساعة احدى عشرة و خمس و أربعون. و واصلنا السير مسرعين ما أسمحت السيارات، متعجلين حين تقف. و كثيرا ما وقفتها العلل. فواعدنا قنطرة المستنصر، فاجتمعنا عندها. و هى قنطرة عظيمة من الآجر، ذات ثلاث عيون، بناها المستنصر باللّه على نهر دجيل، و لا تزال قائمة متينة. و قد كتب عليها بخط واضح آيات من القرآن، و اسم الخليفة و ابيه و جده و الثناء عليهم الخ.

و قد نسخنا ما كتب عليها إلّا كلمات قليلة محاها الزمان. و تاريخ بناء القنطرة تسع و عشرون و ستمائة.

تركنا القنطرة نحمد هذا الخليفة العظيم، بانى المستنصرية و غيرها من الآثار الناطقة بهمته و حسن سياسته.

تركنا القنطرة مواصلين السير، حتى بلغنا شاطىء دجلة ازاء سامرا، و الساعة أربع و نصف. فوجدنا معبرا يسير بسلسلة ممتدة بين الشاطئين.

و كان لا بد من نقل السيارات، و هى سبع لا يمكن نقلها مرة واحدة. فعوّقنا العبور زمنا طويلا.

سرنا إلى سامرا؛ فإذا مدينة صغيرة مسورة، هى سامرا الحديثة. و إذا أطلال سامرا القديمة منثورة فى فضاء فسيح يعيا السائر دون نهايته.

و أقرب الأطلال إلى المدينة جامع المعتصم. و هو؛ واسع المساحة، عظيم السور، يذكّر الرائى بجامع ابن طولون. و كأن ابن طولون بنى جامعه على نسقه. و خارج المسجد على مقربة من جداره الشمالى، منارة عظيمة، لها

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۸۹

درج من الخارج، يدور حولها. و يظن ان منارة ابن طولون محاكاة لهذه المنارة؛ لم تبلغ درجتها من الضخامة و الإحكام.

سرنا بين الطلول، نقرأ فى سطورها تاريخا عظيما دارسا. و رأينا على دجلة مجلسا للمتوكل، بقى من قصره العظيم.

يدخل الى المجلس المشرف على دجلة، من رواق عليه قبة تظهر فيها محاكاة ايوان كسرى.

و لا تزال بلاطات المجلس، و الطريق المفضى إلى الباب واضحة المعالم.

و رأينا- إلى الشمال- بركة عظيمة جافة، حسبنا أنها البركة التى وصفها البحترى .

عدنا- بعد- إلى سامرا الحديثة، فاسترحنا قليلا فى دار رئيس البلدية، و جاءنا هناك القائمقام؛ أو مأمور المدينة. فذهبنا إلى مشهد سامرا. و هو مسجد على طراز مساجد الكاظمية، و كربلاء، و النجف. و لكنه أصغر، و أقل أبهة.

و تحت قبته مقصورة، فيها أربعة قبور؛ للإمام الهادى، و ابنه الحسن العسكرى، و السيدتين سكينة، و حليمة. و يقال لهما هنا سكينة خاتون، و حليمة خاتون. و هى كلمة تركيبية مستعملة فى العراق، معناها السيدة.

إحداهما؛ زوج الهادى، و الاخرى؛ عمته .

كنا أمرنا سائقى السيارات، أن يعبروا و ينتظروا على الشاطىء الآخر.

فلما جئنا لزيارة المسجد، لقيناهم هناك. فقلنا: ما خطبكم؟ قالوا: لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۰

نستطيع السير ليلا، و ليس معنا بنزين.

فعرفنا أنها ليلة ليلاء، و خرجنا- بعد زيارة المسجد- معجلين عن زيارة السرداب، الذى اختفى فيه الامام محمد المهدى بن الحسن العسكرى و هو الامام الثانى عشر صاحب الزمان. و كم أسفنا على أن فاتنا زيارة السرداب، و نحن بجانبه .. - .

-

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۱

سامرا فى المراجع الغربية

اشارة

كتبه و ترجمه من مختلف المصادر جعفر الخياط

الحائز على درجة استاذ علومC. S. M . من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوى، و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهنى العام حالا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۳

سامراء فى المراجع الغربية

تعد سامراء فى مقدمة المدن المقدسة فى الأسلام، لأن تربتها الذكية قد قبرت فيها رفات الأمامين العسكريين: أبى الحسن على الهادى و أبى محمد الحسن الخالص الملقب بالعسكرى، و لأن الأمام الحجة المهدى صاحب الزمان قد ولد فيها و اختفى فى بيت من بيوتها مبتعدا عن جور العباسيين و اضطهادهم المعروف لآل البيت النبوى الكريم، الذى أخذ يزداد و يشتد منذ ان تولى المتوكل الخلافة فيها.

الأسم و الموقع

و كانت سامراء قد مصّرت فى عهد الخليفة المعتصم حينما ضاق سكان بغداد ذرعا بجنده الأتراك، و كثر الاصطدام بين الفريقين بحيث ارتأى هذا الخليفة العسكرى ان يبتعد بجنده عن بغداد و يشيد عاصمة جديدة له على ضفاف دجلة. فوقع اختياره على بقعة أظهرت التنقيبات الأثرية انها كانت آهلة منذ القدم، و ان حضارتها ترجع الى عصور سحيقة فى التاريخ إذ يقول الدكتور سوسه فى (رى سامراء فى عهد الخلافة العباسية) أنه عثر فى أثناء تنقيباته

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۴

و تدقيقاته لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ، فى تل الصوان الواقع على نهر دجلة جنوبى سامراء فى جوار منارة القائم. و انه قد اتصل بالبروفسور هرتسفيلد الألمانى، الذى درس آثار سامراء دراسة مستفيضة سناتى عليها فيما بعد، و أخبره بذلك فكتب له مؤيدا ما توصل اليه بالأضافة الى قوله ان هذه الآثار هى من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ.

و يشير الى هذا: العلامة المستشرق لسترنج فى كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) بقوله (فى الص ۷۶ من الترجمة العربية): كانت مدينة سامراء التى اتخذها سبعة من خلفاء بنى العباس عاصمة لهم مدى نصف قرن و نيف، أى من سنة ۲۲۱ الى ۲۷۹ (۸۳۶- ۸۹۲ م)، معروفة قبل الفتح العربى ثم بقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذى لم يدم طويلا مدينة ذات شأن ردحا طويلا من الزمن. و اسمها بالآرامية سامرّا، فأمر الخليفة المعتصم حين أقام فيها ان تسمى «سر من رأى». و بهذه الصيغة الأخيرة وجد اسمها فى النقود العباسية المضروبة فيها. و كانت التسمية مع ذلك تلفظ بصورة مختلفة ذكر ابن خلكان ستا و من اشهرها: «سامراء»، و هو الاسم الذى اتخذه ياقوت عنوانا لبحثه عن هذه المدينة.

و جاء فى تعليق للمترجمين الفاضلين اللذين ترجما لسترنج هذا ان التنقيبات الأثرية فى أطلال سامراء قد أثبتت ان موضعها كان آهلا منذ أدوار ما قبل التاريخ. فقد اكتشف فيها البروفسور هرتسفيلد المنقب الألمانى مقبرة من تلك الأدوار بين بقايا القصر العباسى و السن الصخرى الذى بنيت عليه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب دار الخليفة. و عثر فيها على ضرب من الفخار المصبوغ أطلق عليه «فخار سامراء»، و هو يمثل دورا من أدوار ما قبل التاريخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۵

فى العراق سمى ب «دور حضارة سامراء» نسبة الى الموضع الأثرى الذى اكتشف فيه هذا الفخار لأول مرة. كما عثرت مديرية الآثار

العراقية القديمة على موضعين آخرين فى سامراء يرتقيان الى هذا الزمن، أحدهما فى شمال المقبرة المارة الذكر و الآخر فى جنوبى سامراء على ضفة دجلة شمال صدر القائم يسمى «تل الصوان» و قد جاء أسم هذا الموضع فى الكتابات الآشورية بصورة «سر مارتا» Sur -ur -mar -ta ، و كان لهذا الموطن فى أيام الفرس شأن كبير و لا سيما فى حروبهم مع الرومان و لقربه من القاطول الكسروى.

اما ما اورده ابن خلكان فى أسماء سامراء فهو: «و سر من رأى فيها ست لغات، حكاها الجوهرى فى كتاب الصحاح، فى فصل رأى، و هى (سر من رأى) بضم السين المهملة و فتحها و (سر من راء) بضم السين و فتحها و تقديم الألف على الهمزة فى اللغتين و (ساء من رأى) و (سامراء). و استعمله البحترى ممدودا فى قوله (و نصبته علما بسامراء).

ثم يتابع لسترنج بحثه فى هذا الشأن فيقول ان الأرض التى بنى عليها الخليفة المعتصم (و هو اصغر أبناء هارون الرشيد) أول قصر له حين قدم الى سامراء فى سنة ۲۲۱ (۸۳۶) كانت ديرا للنصارى اشتراه من أصحابه بأربعة الاف دينار (۲۰۰۰ باون استرلينى)، و كانت ارضه تعرف بالطيرهان. و يذكر الشىء نفسه الدكتور دوايت دونا لدسون فى كتابه (عقيدة الشيعة) ، و يزيد على ذلك قوله ان اسم سر من رأى أطلقه المعتصم نفسه على عاصمته الجديدة التى اصبحت تسمى «المدينة الثانية لخلفاء بنى هاشم»، و ان المسافة ما بين سامرا و بغداد كانت تبلغ حوالى ستين ميلا (انها اليوم حوالى ۱۲۰ ك)، و ان عدد المراحل ما بين سامراء و مكة المكرمة على ما يذكره ابن رسته كان تسعا و تسعين مرحلة طول كل منها اثنا عشر ميلا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۶

هذا و يقول المؤرخ الألمانى المشهور كارل بروكلمان فى كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية) ان سامراء اسم فارسى و ليس اسما آراميا ، كما يستفاد من السطور التالية: و اذا كان هارون الرشيد قد آثر فى السنوات الأخيرة من حياته ان يفزع الى الرقة، البلدة الريفية الواقعة على الفرات، اجتنابا لصخب بغداد، فقد عزم المعتصم على ان ينشىء سنة ۸۳۶ مقرا جديدا لنفسه فى سامراء القائمة على الضفة اليمنى من دجلة (الصحيح على الضفة اليسرى) على مسافة مائة كيلو مترا الى شمال بغداد. و لعل الأذن العربية توهمت ان الأسم الفارسى يخفى فى طياته نذير شوم فحرّف فى الاستعمال الرسمى الى «سر من رأى».

و ربما يكون بروكلمان قد استمد هذا الرأى من دائرة المعارف الأسلامية (غير المختصرة- ۱۹۱۳) . فقد جاء فيها ان شكل الأسم الأصلى قد يكون ايرانيا.

و ان هذا الافتراض يستند عن كون الأسم قريبا من «سام راه» و «سايى أمورا» أو «سار مورا»، و معنى الأسمين الأخيرين «مكان دفع الجزية».

و فى فصل خاص يفرده لسامراء المستر سيتون لويد، خبير مديرية الآثار العراقية القديمة مدة من الزمن، فى كتابه عن (المدن الأثرية القديمة فى العراق) يورد السبب المعروف عن كيفية بناء المعتصم مدينة سامراء و يقول ان المعتصم أخذ يطوف فى دجلة لاتخاذ المحل المناسب فاقلع مصعدا فى دجلة حتى وصل الى هضبة مستوية ترتفع عن ضفته اليسرى بعدة أمتار، عن مسافة قصيرة من موقع سد نمرود. و كان يقوم هنا دير من الأديرة، فكانت أول خطوة يخطوها أنه استشار رهبان هذا الدير فى الأمر و سألهم عن اسم الموقع. فكان جوابهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۷

له «.. اننا نجد فيما عندنا من مدونات ان المكان يسمى سر من رأى، و أن هناك نبوءة تقول ان ملكا مظفرا، قويا عظيما، ترافقه حاشية من رجال تشبه أوجههم طيور الفلا، سيعيد بناءه فى يوم من الأيام». و كأن الرهبان فى جوابهم هذا كانوا يتوقعون قبض نصف المليون من الدنانير التى دفعت لهم فيما بعد تعويضا عما استملك من أراضيهم فى هذا الشأن. و على كل فان القسم الأخير من النبوءة هو الذى تأثر به المعتصم، لأنه سرعان ما تذكر أباه هارون الرشيد و كان قد اخبره بالشىء نفسه تقريبا فى مناسبة سابقة. فقد خرج للصيد

مع اخوته فی یوم من الأیام فلم یکن موفقا فیه، و لم یصطد سوی بومة واحدة، و حینما جاء بها خجلا و وضعها بقرب ما کان اخوته قد اصطادوه من طیور الحباری و الغزلان تأثر أبوه هارون بذلک لسبب من الأسباب و تنبأ له بأنه سوف یتربع علی کرسی الخلافة ذات یوم، و ان رجال حاشیته ستکون لهم أوجه کأوجه البوم. و لذلک استقر المعتصم فی سامراء و شرع ببناء قصر منیف له سماه «دار العامة» فی مکان الدیر، و خطط مدینة من اجمل المدن القدیمة فی تخطیطها و طراز بنائها.

و یقول السر بیرسی سایکس فی کتابه «تاریخ ایران» ان قائدا ترکیا کان قد تعین للقیادة العسکریة العلیا التی کانت تعمل فی غرب الامبراطوریة علی عهد الخلیفة هارون الرشید، و کان ذلک قبل ان یتولی المعتصم الخلافة بثمان و أربعین سنة. و فی خلال هذه المدة کان یؤتی بالاف المماليک الأتراک من آسیة الوسطی للإنخراط فی سلک الجیش، و تکوین أفواج الحرس الملکی.

و استطاع الکثیرون من هؤلاء أن یحوزوا علی رضا الخلیفة فأخذوا یحلون بالتدریج فی محل العرب الذین عادوا الی بادیتهم. و قد ظهرت مساوىء هذا الجهاز منذ البدایة، لکن المعتصم کان یزداد اعتماده علی الأتراک کلما ازداد موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۸

کره العرب و احتقارهم لهم حتی تمکنوا بمرور الزمن من اغتصاب السلطة.

و حینما ازدادت تعدیاتهم علی الناس فی بغداد و کثر تعرضهم بهم فی الطرق و الأسواق تأثر المعتصم من ذلک و أسس مدینة سامراء علی بعد ستین میلا من العاصمة.

و جاء فی دائرة المعارف المشار الیها ان سامراء تقع علی دورة من دورات دجلة تتجه نحو الجنوب الشرقی ما بین قریتی «کرخ فیروز» فی الشمال و «المطیرة» فی الجنوب الشرقی منها. و هناک قناتان تتفرع إحداهما، و هی القاطول الکسروی، من فوق (کرخ فیروز) بالقرب من الدور فتجری فی اتجاه جنوبی شرقی لتتصل بالقناة الثانیة «القاطول الیهودی» التی تتفرع من دجلة فیما تحت المطیرة فتجری فی اتجاه شرقی- شمالی شرقی، و بذلک تحصر سامراء و ضواحیها الشرقیة فی بقعة تشبه الجزیرة. و تقع فی الضفة الغربیة فی مقابل سامراء عدة قصور یمر ما بینها نهر یجری بموازاة دجلة یسمی «الاسحاقی» ثم یعود فیصب فی دجلة فی موقع یقع تحت المطیرة و ما فوق قصر «بلگوارا» بقلیل.

و من الحوادث المشهورة فی تاریخ منطقة سامراء القدیم المعرکة الحامیة الحاسمة التی وقعت بین الرومان و الایرانیین فی یوم ۲۶ حزیران سنة ۳۶۳ قبل المیلاد. فقد اصطدم الجیشان بقیادة الأمبراطور جولیان و شاهپور العظیم، علی ما یسمیه السر بیرسی سایکس ، فیما یقرب من سامراء فقتل و خسر الرومان، فاستعاد الایرانیون بذلک نصیبین و ما کان قد استولی علیه جولیان فی شرق دجلة، و عادت جیوشه متقهقرة عبر دجلة بقیادة خلفه جوفیان .

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۱۹۹

بناء سامراء

و بعد ان اختار المعتصم موقع سامراء، علی ما مر ذکره، عهد تخطیطها و بناءها الی أشناس، القائد الترکی، علی ما یقول بروکلمان . فأنشأ فیها هذا قناتین متفرعتین من دجلة الی الشرق، خلعتا علی المدینة الجدیدة، بالأضافة الی النهر نفسه، منعة الحصن البحری، و کانت المدینة تنتظم من قبل ثمانیة أدیرة نصرانیة. و لقد شید قصر الجوسق للمعتصم أولا، حتی اذا ما جاء بعده خلفاؤه و کانوا سبعة طوال نصف قرن، حلوا جید المنطقة بقصور و مساجد جدیدة. و علی الرغم من أنه لم یبق لنا من هذه المنشآت الفخمة التی أقیمت خلال تلک الفترة القصیرة من الازدهار الا خرائب و أطلال فالحق أنها تقدم لنا صورة عن فن العمارة فی العصر العباسی هی أنبض بالحیاة من تلک التی تقدمها بغداد، حیث عبثت أیدی الأجیال المتأخرة بما ثبت من آثارها فی وجه الأعصار المغولی. و الواقع ان المعماریین المسلمین اعتمدوا فی الشرق، کما اعتمدوا فی الغرب، التقالید القدیمة سواء بسواء. فقصر الخلیفة المتوکل الموسوم

بلگوارا و هو أهم بناء لا تزال أسسه محفوظة لنا فى سامراء- انما شيد على طراز قصور المدائن الفهلوية من حيث التصميم العام، و تخطيط المساحات و شكل الواجهات.

أما مهندسو الجامع الكبير فتأسوا أثرا أعرق و أوفر حظا من جلال القدم.

ذلك أنهم بنوا مئذنة هذا الجامع فوق قاعدة طولها (۳۲۸) ياردة على طراز الأبراج البابلية ذات السلالم الخارجية الملوية، و هى «الزقورة». و الحق ان الموارد العظيمة التى كانت ما تزال فى متناول هؤلاء المعماريين، على الرغم من أن الامبراطورية كانت فى ذلك الوقت قد أخذت فى الانحطاط، لتظهر لنا أوضح ما يكون الظهور من مساحة الجامع الهائلة حقا. فهو بمثابة مستطيل يبلغ (۲۶۰) مترا طولا، و (۱۸۰) مترا عرضا تقريبا. و يستغرق

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۰

صحنه الداخلى المتوزع على خمس و عشرين بلاطة اربعة و اربعين الف متر مربع.

و لأجل أن نكون فكرة واضحة عن معنى هذا الرقم علينا ان نذكر ان صحن كنيسة القديس بطرس فى روما يبلغ (۱۵۱۶۰) مترا مربعا، فى حين لا يزيد صحن كاتدرائية كولون على (۶۱۲۶) مترا.

اما المستشرق لسترنج فيقول فى (بلدان الخلافة الشرقية) أن سامراء نفسها كانت تقوم على ضفة دجلة الشرقية، و تمتد قصورها الى مسافة سبعة فراسخ بمحاذاة النهر، و كان يقوم فى الجانب الغربى أيضا كثير من القصور.

و قد انفق الخلفاء الواحد تلو الآخر اموالا طائلة لا يكاد يصدقها العقل على إنشاء ميادين جديدة للصيد و اللعب ...

و قد أقطع المعتصم جنده الأتراك قطائع فى (كرخ فيروز) و ما فوقها حتى الدور، و قطائع أخرى فى جنوبى سامراء فى جهة المطيرة.

و بنى أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية، ثم خطط قصره. و كتب فى إشخاص الفعلة و البنائين و أهل المهن من سائر انحاء الدولة، و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصرة، و فرش الرخام من أنطاكية و اللاذقية. و اختط الشارع المسمى بالشارع الأعظم بموازاة دجلة. و قامت على يمين الشارع و يساره القصور الجديدة و القطائع. و كان الشارع الأعظم ممتدا من المطيرة الى الكرخ، و فى جانبيه دروب و اسواق. و أنشأ أيضا بيت المال الجديد، و دواوين الدولة و دار العامة التى كان يجلس فيها الخليفة فى يومى الاثنين و الخميس.

و لما فرغ المعتصم من الخطط و وضع الأساس للبناء فى جانب سامراء، عقد جسرا الى الجانب الغربى من دجلة. فأنشأ هناك البساتين و الأجنة، و حمل النخل اليها من البصرة و حملت الغروس من الشام و خراسان و سائر الأقاليم و كان يسقى الجانب الغربى أنهار تحمل من الأسحاقى، الذى حفره اسحاق بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۱

ابراهيم صاحب شرطة المعتصم ... و لما توفى المعتصم سنة ۲۲۷ (۸۴۲ م) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد فى فخامة قصورها و جمال مبانيها. و قد أكمل ابناه الواثق و المتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ما بدأ به أبوهما. فقد بنى هارون الواثق القصر المعروف بالهارونى، نسبة اليه، على دجلة و جعل فيه مجالس فى دكة شرقية و دكة غربية. و حفر الواثق فرضة من النهر تصلح لدخول السفن التى تردها من بغداد. و خلفه أخوه المتوكل على اللّه فى سنة ۲۳۲ (۸۴۷ م) فنزل الهارونى أولا، الا انه فى سنة ۲۴۵ (۸۵۹ م) شرع ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ، و مد الشارع الأعظم، و قد عرف قصره و المدينة الجديدة التى قامت حوله بالمتوكلية أو «القصر الجعفرى»، و ما زالت أطلال القصر الجعفرى فى الزاوية التى يؤلفها تفرع النهروان هناك، و اندمجت به الماحوزة و هى المدينة القديمة.

و بنى المتوكل ايضا جامعا جديدا متسع الأرجاء فى مكان الجامع الذى بناه أبوه، لأنه ضاق على أهل العاصمة الجديدة. و امتدت القصور و البساتين من المطيرة الى الدور و اتصلت. و فى سنة ۲۴۷ (۸۶۱ م) قتل المنتصر أباه المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى

فی المتوکلیة. و أقام الخلفاء الأربعة الذین أعقبوه فی ذلک العهد المضطرب، فی قصر الجوسق فی غربی دجلة قبالة سامراء، و هو من أبنیة المعتصم. و قد أقام المعتمد بن المتوکل و آخر الخلفاء فی سامراء فی الجوسق أولا ثم ابتنی له قصرا جدیدا فی الجانب الشرقی و هو القصر المعروف بالمعشوق.

و من هذا القصر انتقل مرکز الدولة العباسیة الی بغداد قبل وفاة المعتمد سنة ۲۷۹ (۸۹۲ م).

و قد اشارت مراجعنا الی اسماء کثیرة من القصور التی بناها الخلفاء فی من بقایا اطلال قصر المعشوق بسامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۲

سامراء. فذکر ابن سرابیون «قصر الجص» المشهور و هو من أبنیة المعتصم علی الأسحاقی. و سرد یاقوت جملة کبیرة من القصور، و زاد علی غیره مبینا ما أنفقه الخلفاء علیها من أموال خیالیة. فکان مجموع تلک النفقات مئتی ملیون و أربعة ملایین درهم، أی ما یعادل نحوا من ثمانیة ملایین باون استرلینی.

و لا بد لنا من ان نعلق هنا علی بعض ما أورده لسترنج حول موقع قصری الجوسق و المعشوق فنقول ان المعروف الیوم هو ان المعشوق الذی یسمی بالعاشق یقع فی الجانب الغربی و ما تزال أطلاله شاخصة، اما الجوسق فیقع فی الجامع الشرقی من سامراء. و نقول علاوة علی ذلک ان مترجمی کتاب لسترنج المشار الیه یشیران فی حاشیة لهما الی ان مدیریة الآثار العراقیة قد اکتشفت أثرا عباسیا یقع علی الأسحاقی المندرس فی غربی دجلة علی بعد (۱۷) کیلو مترا شمال محطة قطار سامراء یعرف بالحویصلات هو قصر الجص نفسه.

ثم یقول المستشرق لسترنج ان ابن حوقل و هو من أهل المئة الرابعة للهجرة (العاشرة میلادیة) یطنب فی وصف بساتین سامراء الزاهرة العامرة و لا سیما ما کان منها فی الجانب الغربی. لکن المقدسی یذکر أن الکرخ فی الشمال أصبح فی أیامه أکثر عمرانا من سامراء، و کان المسجد الجامع فیها ما زال قائما. و لقد وصفه بقوله: «و بها جامع کبیر یختار علی جامع دمشق قد لبست حیطانه بالمیناء و جعلت فیه أساطین الرخام و فرش به، و له منارة طویلة». و هی ما زالت شاخصة و تعرف بالملویة و الملویة الآن علی نحو نصف میل من شمال سامراء الحالیة. و هذا ما رآه المستوفی فی النصف الأول من المئة الثامنة فقال ان المنارة التی کانت تقوم فی المسجد الجامع یومذاک یبلغ طولها مئة و سبعین ذراعا، و لها مرقاة من خارجها لا یری مثلها فی مکان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۳

آخر و زاد علی ذلک أنه قد بناها المعتصم.

هذا و نضیف هنا ما جاء فی حاشیة لمترجمی کتاب لسترنج من معلومات عن «الملویة» نفسها. فقد ذکرا أنها تقع الیوم علی بعد قلیل من شمال شرقی سامراء الحدیثة، علی نحو (۲۵) مترا من الجدار الشمالی لجامعها القدیم.

و کان الخراب قد نال من بعض أقسامها و لا سیما من قاعدتها، و فی ملتویاتها الأولی، حتی ان معالم قاعدتها خفیت عن الأنظار بما تراکم علیها من أنقاض، فظن کثیرون ان مرقاتها تبدأ من سطح الأرض. الا ان مدیریة الآثار العراقیة عنیت بصیانة هذه المنارة فأزالت عنها تلک الأنقاض و أظهرت أسس القاعدة و أعادت بناءها و عمدت مرقاتها حتی القمة. و من طریف ما ورد فی حواشی المترجمین الفاضلین کذلک ان أبا منصور الثعالبی المتوفی سنة ۴۲۹ ه، أشار الی الملویة فی کتابه (ثمار القلوب) و قال عنها ان المتوکل کان یصعدها علی حمار مریسی، و ان درجها من خارجها و أساسها علی جریب من الأرض، و طولها تسع و تسعون ذراعا.

المسجد الجامع و قد قامت علیه المنارة المعروفة بالملویة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۴

و قد عثرنا فی دائرة المعارف الاسلامیة المار ذکرها علی تفصیلات أخری عن عمران سامراء العباسیة و ابنیتها، جاء فیها انه کان من شوارعها الرئیسة یومذاک (شارع السریجة) الذی یمر بین یدی دائرة الشرطة و السجن ثم یمتد الی المحلة التی کانت تحمل اسم

الوزير الحسن بن سهل، و من ثم الى شارع أبى أحمد بن رشيد والى قرية الأيتاخية المشيدة على ضفة القاطول الكسروى.

و قد سميت الأيتاخية باسم القائد التركى إيتاخ، لكنها صارت تعرف بعد ذلك بالمحمودية. و كانت هناك كما يفهم من المدونات التاريخية خمسة شوارع رئيسة أخرى هى: شارع الحير، و شارع برغموش التركى المؤدى الى حى الاتراك، و شارع صالح المؤدى الى مخيمات المعسكر، و شارع الحير الجديد، و شارع الخليج.

و تقول دائرة المعارف هذه كذلك ان المؤرخين يقدمون لنا تفصيلات كثيرة عن الأبنية المهمة التى كانت موجودة فيما يجاور سامراء، و منها أبنية كانت هنا قبل أن تشيد سامراء نفسها فى تلك المنطقة، مثل الأديرة الثمانية التى أهمها «دير الطواويس» و «دير مارى» و «دير أبى الصفرة»، لكن أشهر الأبنية كانت القصور الكبيرة. و قبل ان يقتل المتوكل بتسعة أشهر كان منشغلا بتخطيط مدينة جديدة فى شمال سامراء ما بين (كرخ فيروز) و الدور، و قد سميت «الجعفرية» باسمه. و من التفصيلات التى يوردها المؤرخون فى هذا الشأن ما ذكروه من ان المتوكل جاء من ايران بشجرة السرو المقدسة عند الزردشتيين فى كيشمار ليستعمل خشبها فى البناء. و يرى بعضهم كذلك ان اندثار قصور المتوكل و خرابها السريع بعد ذلك كان عقابا من اللّه له على الجريمة النكراء التى ارتكبها فى تهديم قبر الامام الحسين (ع) فى كربلاء سنة ۲۳۶ للهجرة. و بعد أن قتل المتوكل أعاد ابنه الخليفة المنتصر بلاطه الى سامراء نفسها، و جعل إقامته فى الجوسق. و قد شيد المعتمد، و هو آخر خليفة أقام فى سامراء، قصر المعشوق فى الضفة الشرقية سنة ۲۵۵ ه. و قد حل الخراب بمعظم هذه الأبنية و القصور منذ القرن العاشر للهجرة، و لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۵

يستقم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، و من أجل هذا عرفت تلك المنطقة من المدينة باسم «العسكر».

و جاء فى دائرة المعارف الاسلامية هذه أيضا أن السمعانى يذكر فى كتابه (الأنساب) قائمة بأسماء كان يتلقب أصحابها بلقب «سامرائى) أو «سرمرى» كما يذكر أسماء أخرى كان يلقب أصحابها بلقب «كرخى» نسبة الى ولادتهم فى «كرخ فيروز» .

بناء سامراء فى كتاب سيتون لويد

و يقول سيتون لويد فى «مدن العراق الأثرية» المار ذكره أن المعتصم استقر فى سامراء بعد ان عين موقعها، و أخذ يبنى لنفسه قصرا منيفا أطلق عليه اسم «دار العامة» فى موقع الدير الذى استملكه من الرهبان. كما أخذ يخطط حوله مدينة من أجمل المدن القديمة و أكثرها تنسيقا و عمرانا. و فى خلال أربعين السنة التى أعقبت ذلك، حكم فى سامراء خلفاء سبعة آخرون، فبنى كل منهم قصورا و مساجد جديدة و امتدت المدينة شيئا فشيئا بمحاذاة النهر حتى صار شارعها الأعظم يمتد فى وسطها الى مسافة عشرين ميلا قبل ان ينتهى بالبر المحيط بها. و فى نهاية تلك الفترة المزدهرة ترك كل شىء فى سامراء، و انتقلت العاصمة الى بغداد من جديد. و كان هذا الانتقال ثالث حادث فى تاريخ العالم، يؤدى فيه شذوذ ملك أو أمير الى اقامة مشروع جسيم باهظ التكاليف سرعان ما ثبت عقمه و عدم جدواه، و لذلك فان مشاهد سامراء القديمة تلوح للزائر اليوم و هى لا تختلف كثيرا عما يشاهده فى عاصمة اخناتون التى لم تعمر طويلا فى تل العمارنة بمصر، أو فى مدينة ملك آشور سرجون الثانى فى خورساباد القريبة من الموصل. فقد بقيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۶

أطلالها و هى متأثرة بعوادى الزمن فى الغالب بحيث يمكن استقصاء تخطيطها من دون حفريات تقريبا. و بوسع المرء أن يرى من الجو المدينة تلك بقصورها و شوارعها الوسيعة و ساحات سباقها، حتى أنه ليصعب على المرء أن يصدق بأنه ينظر الى مدينة مندثرة تخلى عنها سكانها منذ ثلاثة عشر قرنا.

و اذا عدنا الى حديث المعتصم و مدينته نجد انه بعد ان شيد «دار العامة» و جاء بالمهندسين الحاذقين من البلاد النائية ليختاروا له مواقع القصور الأخرى، و الجوامع و ما أشبه، شرع بتخطيط قسم السكن من المدينة و بتخصيص قطع الأرض لبناء البيوت العائدة

لمواطنيه. لكنه تذكر السبب الذى ترك بغداد من أجله فشيد ثكنات جسيمة مسيجة لجنده الأتراك فى شمالى المدينة، بمعزل تام عن الأحياء السكنية. ثم اشترى لكل واحد منهم جارية يتخذها زوجة له، و منع الطلاق الى حد الجيل الثانى من النسل. و بعد ان انتهى من هذه المهمة، وجه اهتمامه الى الحصول على الصنّاع و المواد من أطراف العالم العربى جميعه لتجميل مدينته و ما فيها من أبنية. فأسست مقالع للمرمر و أماكن خاصة للبنائين فى أماكن نائية مثل أنطاكية و الاسكندرونة فى سورية، ثم أرسلت الوفود الى مصر لتجمع من الكنائس المسيحية الأعمدة و مواد التبليط و الزخرفة.

و قد برهنت البقع الواسعة من الأرض المنحصرة ما بين السن الصخرى الذى شيدت فوقه المدينة و ضفاف دجلة على خصبها، فزرعت فيها جميع الأنواع المعروفة من الفواكه و الأزهار بحيث صارت القصور المشيدة فوق السن العالى تطل على جنان نظرة من الحدائق و البساتين. و قد اتسعت المدينة نفسها بين عشية و ضحاها برعاية الخليفة المستعجل، الذى اعتاد على التجوال فى الشوارع خلال الأمسيات، و توزيع المنح و الهبات السخية الى المواطنين و المهندسين الذين كانوا يتفوقون فى أعمالهم العمرانية خلال النهار. و لم تكن المدينة قد اكتمل بناؤها حينما توفى المعتصم، لكن حمّى التعمير و الانشاء كانت قد تفشت فاستمرت تسير من دون انقطاع فى أيام من جاء بعده من الخلفاء.

و يأخذ المستر سيتون لويد بوصف الأبنية المهمة التى أقيمت فى سامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۷

يومذاك، مثل المسجد الجامع و الملوية و دار العامة و قصر. بلگوارا و غير ذلك، مستندا على كتابات المنقب الفرنسى فيوليه، و الآثارى الألمانى هرتسفيلد، مما سنأتى عليه فى مكان آخر من هذا المبحث. على انه يتطرق كذلك الى ما فعله المتوكل أيضا فى سامراء، فيقول أنه حينما جاء دوره فى تحسين أحوال المدينة و توسيعها ابتنى له حيا جديدا بكامله فى خارج حدود المدينة الأصلية من جهة الشمال. فنشأت عن ذلك من جديد القصور و المبانى المنيفة و الشوارع و المخازن و ما أشبه. و حينما انتهى من هذا كله صار بوسعه ان يقول بقناعة صبيانية «الآن عرفت اننى ملك حقا، فقد شيدت مدينة لنفسى صرت أعيش فيها». و مع هذا فان أعظم مشروع اضطلع به المتوكل لم يكن مشروعا ناجحا. فقد كانت سامراء توزع معظم مائها المستمد من دجلة و الآبار على ظهور الحمير، و لم يكن يروق ذلك للمتوكل، فشرع يحفر قناة كبيرة تلف حول المدينة من الجهة الشرقية لتزودها بما يكفيها من الماء، فكلف حفرها مبلغا يزيد على المليون دينار على ما يقال. لكن المؤسف هو ان المتوكل تطرف فى الاعتماد على مهندسيه لأن القناة حينما اكتمل حفرها وجد المهندسون انها عاجزة عن أخذ الماء من دجلة بمقدار كاف، غير انه ما ان شعر بمرارة هذه الخيبة الفاضحة حتى قضى نحبه، فهجر خلفه حى المتوكلية بأجمعه و عاد الى الأقامة فى سامراء.

و من الأبنية الشمالية التى عجل الخراب اليها على هذه الشاكلة الجامع الكبير الثانى المعروف بأبى دلف. و كان لجامع أبى دلف أيضا منارة ملوية، و قد بقى شىء أكثر من داخليته بحيث أصبح أكثر رونقا و بهاءا من المسجد الجامع. فتشاهد فيه الأساطين و هى مبنية بالآجر و من الأبنية الشمالية التى عجل الخراب اليها على هذه الشاكلة الجامع الكبير الثانى المعروف بأبى دلف فتشاهد فيه الأساطين و هى مبنية بالآجر.

و بقى معظمها شاخصا حتى اليوم. و هناك بقايا منبر كذلك و محراب متقن الصنع، و من ورائه مجموعة من الغرف تحيط بفناء صغير كاف يجلس فيه الخليفة قبل الصلوة و بعدها. و هناك سور خارجى توجد آثاره أيضا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۸

و حينما يعود المرء من أبى دلف الى البلدة الحديثة يمر بأحسن المناطق السكنية، و بوسعه ان يسوق سيارته بسرعة غير يسيرة على طول «الشارع» الرئيس الذى يبلغ عرضه ثمانين قدما، و تلاحظ بقايا جدول للماء فى كلا الجانبين. كما تلاحظ بوابات الأبنية المتسطرة على طول الشارع و صفوف الدكاكين، و جدار السجن. و قد نقبت دائرة الآثار فى عدد كبير من البيوت و لذلك يشاهد عدد من

الغرف لا تزال جدرانها قائمة بارتفاع عدة أمتار و هى مرتبة بمجموعات مزدوجة إما لتكون للديوان و الحرم أو لتستعمل فى الصيف و الشتاء، و كلها مزخرف بأحسن الزخرف. فتشاهد فى كل مكان تقريبا حشوات الزخرف بالجص الى علو الوزرات، و لعل هذا من بقايا فكرة الزخرف بالألواح الحجرية التى كانت تكتسى بها أسافل الجدران فى القصور الآشورية و الحثية. و هناك فوق هذه أحيانا رسوم كلسية تعتبر مقدمة للطراز الأجد من الزخرف الهيلينى. و توجد نماذج جيدة لكلا النوعين فى قسم الآثار العربية من متحف بغداد.

و آخر ما يجده المرء عند عودته من أبى دلف الى سامراء الحديثة فى الجانب الأيسر من الطرائف التل الطويل الذى يمثل «منصة الخليفة الكبرى» فى وسط ساحة السباق الثانية. و تشبه هذه الساحة فى شكلها الزهرة ذات الكأسيات الأربع عند ما ينظر اليها من الجو، بحيث أن الخيول او العربات المتسابقة كانت تضطر دوما، بعد ان تكون قد دارت أربع مرات فى الأطراف، الى العودة و الدوران بصورة جذابة مباشرة على مرأى من المشاهدين من فوق التل القائم فى وسط الساحة.

و تعليقا على ما يذكره المستر سيتون لويد فى ملاحظاته عن قناة المتوكل و ساحات السباق لا بد لنا من ان نزيد فى توضيح هاتين النقطتين باقتباس شىء مما ورد عنهما فى الجزء الأول من كتاب (رى سامراء) للدكتور أحمد سوسه. فقد جاء عن قناة المتوكل (الص ۲۷۰) ان المعتصم كان قد اكتفى بجعل عاصمته سامراء تمتد على محاذاة دجلة فى الطول ليسهل حمل مياه الشرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۰۹

من النهر فى الروايا على البغال و الأبل، و لذلك لم يفكر فى القيام بمشروع رى كبير يؤمن إيصال المياه الى قلب العاصمة، و قد رأى ان يوجه عنايته الى الجهة الغربية من دجلة .. فأنشأ نهر الأسحاقى. و لكن المتوكل، و هو الذى كان له ولع خاص بمثل هذه المشاريع العامة، لم يقنع بهذا فبذل قصارى جهده لتحقيق مشاريع الرى على الجانب الذى تقع فيه عاصمته ... فكان أول مشروع قام به بعد توليه الخلافة المشروع المعروف ب «قناة المتوكل» أو «قناة سامراء» الذى يؤمن ايصال المياه الى عاصمته سامراء بطريقة الرى الجوفى المعروف برى «الكهاريز». و يشتمل هذا المشروع على كهريزين ضخمين يستعمل أحدهما فى الشتاء و الآخر فى الصيف، و هما يستمدان المياه من نهر دجلة شمالى الدور فيسيران حوالى أربعين كيلو مترا حتى يصلا الى قلب العاصمة. و قد مد المتوكل هذين الكهريزين الى الجنوب ليخترقا المطيرة ثم يسيران الى ما يجاور القادسية. و بفضل هذا المشروع تمكن المتوكل من انشاء مشاريعه الجبارة فى قلب العاصمة و التوسع شرقى سامراء باتجاه منطقة الحير، و من أهم هذه المشاريع انشاء حوض للسباحة خلف «دار الخليفة» و هو الحوض المعروف اليوم باسم «بركة السباع»، ثم البركة الواسعة الواقعة فى الجهة الشمالية الغربية من هذه البركة، و أخيرا حلبة السباق و تّلها الذى يشرف عليها المعروف باسم «تل العليق» و هى الحلبة التى أنشأها المتوكل فى جهة الحير .. و هذه القناة هى التى مكنت المتوكل من تموين المسجد الجامع الذى أنشأه فى أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على قول اليعقوبى «فوارة ماء لا ينقطع ماؤها».

اما عن ساحة السباق المشار اليها فيقول الدكتور سوسة (الص ۱۱۶) أنه يشاهد فى غربى ساحة الحير على الحدود الشرقية لمبانى سامراء القديمة آثار ثلاث حلبات للسباق، أحدثها و أكثرها تنسيقا تلك التى تقع فى حدود الحير شمال شرقى المسجد الجامع بقليل، و هى مكونة من أربع حلقات كبيرة حول ج ۱- سامراء (۱۴)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۰

مربع مركزى فيه دكة مرتفعة معدة لجلوس الخليفة و حاشيته (و هى التى يسميها لويد منصة الخليفة الكبرى). و يبلغ طول الدورة الكاملة فى هذه الحلقات المتتالية ما يزيد على خمسة كيلومترات، فى حين ان البعد الأعظم من الدكة المركزية على طول هذه الحلقات يقل عن ستمائة متر. و هكذا كان المتسابقون يقطعون فى هذه المساحة مسافة طويلة من دون ان يبتعدوا عن الدكة المركزية أكثر من ستمائة متر فى جميع الأحوال.

و جاء فيما كتبه السر پيرسى سايكس عن خلافة المتوكل فى سامراء أن أهمية حكم المتوكل تنحصر فى الدرجة الأولى برد الفعل

السنى الذى أخذت تظهر علائمه للوجود. فقد كوفحت مبادىء المعتزلة، و اضطهد علماؤهم و رجالهم بأعنف الوسائل و أقساها. و صار يضاهى ذلك فى العنف الكره الذى بدا من الخليفة الجديد تجاه آل بيت النبى، حتى أنه أخذ يشجع مهرجه على تقليد «أسد اللّه» فى مظهره و لباسه بينما يغنى المغنون من حوله باستهزاء عن «خليفة الاسلام الأصلع البطين» . ثم هدم قبر الحسين فحرث موضعه.

و كان المتوكل علاوة على هذا معاديا لغير المسلمين بعناد و تعصب فأحيا القوانين المهجورة التى سنت ضدهم فى الماضى. و قد تحتم عليهم بذلك ان يرسموا صورة الشيطان على أبواب بيوتهم، و يدفعوا رسوما و ضرائب خاصة بهم، و يلبسوا لباسا أصفر يتميزون به عن الغير، و منعوا من تولى اية وظيفة حكومية كما منع أولادهم من تعلم العربية.

و يروى سايكس كذلك قصة شجرة السرو المقدسة فى ايران و قطعها، ثم نقلها من كيشمار إلى سامراء للأفادة منها فى بناء «الجعفرى» بأمر من المتوكل. فهو يقول: .. و كان الخليفة فاسقا مسرفا فى الشهوات. و بنى فى جوار سامراء قصرا جديدا تكلف مبالغ لا تعد و لا تحصى من المال. و لهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۱

القصر علاقة بأسطورة كيشمار و كونها ملتقى الملك كوستاشب و زرادشت.

فقد قيل ان «نبى ايران» لأجل ان يخلد هذا اللقاء، زرع شجرة من أشجار السرو تقدمت فى النمو بعد ذلك فأصبح حجمها هائلا جدا، و صار الزردشتيون يعتبرونها شجرة مقدسة. غير أن الخليفة المتعصب أمر بقطعها، بعد أن بلغ عمرها ۱۴۵۰ سنة كما يقال، برغم المبالغ الجسيمة التى دفعت من أجل انقاذها، فقطعت و نقلت قطعة قطعة الى سامراء، لكن الأسطورة تقول ان المتوكل قتل فى اليوم الذى وصلت فيه قطع هذه الشجرة الى سامراء ..

فن العمارة فى سامراء

لقد أجمع المؤرخون و الفنيون، من المسلمين و الأجانب، على ان بناء سامراء فى العهد العباسى، بقصورها و مرافقها و سائر مبانيها، قد تجلت فيه آيات الفن المعمارى و الزخرفى الى أقصى حد ممكن فى تلك الأيام. و يؤكد الغربيون من المؤرخين و الفنيين على ان ذلك الفن المعمارى، الذى بلغ الأوج فى ابداعه من عدة اوجه، قد كان متأثرا لدرجة ما بتأثيرات الفن المعمارى الايرانى و الهندى و الهيلينى و غير ذلك مما كان معروفا يومذاك، فضلا عن تأثره بفن العمارة العراقى القديم. لكن هذه الآراء، و ما يختص منها بالتأثير الهيلينى الذى يذكره المنقب هرتسفيلد على الأخص، تحتاج الى الكثير من النظر و التدقيق فى التطورات الطارئة على نظريات الفن الاسلامى برمته.

و أهم من كتب عن آثار سامراء العربية و الفن المعمارى فيها العلامة الألمانى أرنست هرتسفيلد، الذى ضمن كتاباته جميع ما توصل اليه من دراسات عن سامراء، و لا سيما بعد التنقيب الذى أجراه بنفسه. ففى مطلع سنة ۱۹۱۱ استطاع الرحالة و العلامة الألمانى المشهور فردريك صاره Fredrick Sarre الحصول على امتياز خاص من الدولة العثمانية للقيام بالتنقيب فى آثار سامراء، و عهد بالعمل الى الدكتور أرنست هرتسفيلد الأستاذ فى جامعة برلين يومذاك.

فاضطلع هذا بمهمته فى الحال و قام بأعبائها خير قيام، ثم نشر ما توصل اليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۲

فى مؤلفات عدة أصبحت منبعا ثرّا يستقى منه الكتاب عن سامراء فى جميع اللغات. على أن هذا العمل كان قد تولاه قبله على مقياس ضيق المهندس الفرنسى فيوليه فى ۱۹۰۷، بالنسبة لقصر الجوسق فقط، فنشر نتائج عمله فى بعض المجلات و النشرات الفرنسية المختصة .

و قد لخص الاستاذ كريسويل، عضو المجمع العلمى البريطانى، أهم ما كتبه هرتسفيلد عن سامراء فى كتابه المعروف «فن العمارة

الاسلامی القدیم» المطبوع لأول مرة سنة ۱۹۵۸. فهو یصف فی الفصلین الرابع عشر و السادس عشر عمارة قصر الجوسق الخاقانی (ای قصر المعتصم) بجمیع أجزائه و مرافقه، و الجامع الکبیر فی سامراء بمنارته الملویة، و جامع أبی دلف، و بیوت سامراء، و القبة الصلیبیة، ثم یبحث فی طراز الزخرفة و الزینة فی تلک الأبنیة بوجه عام.

و یبدأ ذلک بمقدمة تاریخیة موجزة عن انتقال العاصمة من بغداد الی سامراء فی عهد المعتصم، و یخلص من ذلک الی القول بأن أول ما فعله هذا الخلیفة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۳

حین أقدم علی بناء عاصمته الجدیدة، هو انه استقدم الفعلة و البنائین و الصناع، مثل النجارین و الحدادین و غیرهم، من الخارج کما فعل أسلافه حینما عمدوا الی بناء المدینة المدورة (بغداد) من قبل. و جلب أخشاب الساج و جذوع النخل، و سائر أنواع الخشب من البصرة، ثم استقدم العمال المختصین ببناء المرمر و نحته من اللاذقیة و غیرها. و لم یقتصر هذا علی جمیع الصناع و العمال المهرة من أنحاء الأمبراطوریة حسب، و انما استجلب شیئا غیر یسیر من المواد البنائیة من مصر و غیرها أیضا. و هو ینسب الی عبد اللّه بن المقفع قوله ان المعتصم بعث بأناس خاصین الی مصر و زودهم بصلاحیات و أوامر قاطعة بأن یجمعوا أنواع المرمر و الأساطین من الکنائس أینما وجدت. و بعد ان جردوا کنائس الأسکندریة من کل ما وجدوه فیها من هذا القبیل ذهبوا الی کنیسة القدیس میناس فی مریوط، الکائنة فی غرب الاسکندریة، فاقتلعوا ما کان فیها من المرمر الملون و مواد التبلیط التی لم یکن لها مثیل فی کل البلاد.

و حینما استولی المعتصم نفسه علی عموریة فی حملته المشهورة سنة ۸۳۸ للمیلاد أخذ بوابتها الکبری و نقلها الی سامراء أیضا .

الجوسق الخاقانی

کانت أطلال هذا القصر العظیم، علی ما یقول کریسویل، قد نقب فیها المهندس الفرنسی فیولیه سنة ۱۹۰۷ بنطاق ضیق أجری فیه تنقیبات تجریبیة هنا و هناک، و بعد ذلک بسنوات قلیلة تولت التنقیب فیها بمقیاس واسع بعثة ألمانیة باشراف صاره و هرتسفیلد.

و قد کان أول ما وجدته هذه البعثة حوضا کبیرا فی الأرض المنخفضة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۴

المصاقبة لدجلة، تبلغ مساحته (۱۲۷) مترا مربعا (۴۱۷ قدما مربعا).

و تصعد من هذا الحوض الی السن العالی الواقع بین یدی «باب العامة» سلّم ضخم عرضه ستون مترا (۱۹۷) قدما.

و تتألف «باب العامة»، التی حافظت علی شکلها أحسن من أی جزء آخر من القصر العظیم، من جبهة ثلاثیة العقود یبلغ ارتفاعها حوالی اثنی عشر مترا (۵، ۳۹ قدما)، و تمتد من ورائها ثلاث غرف مسقفة بعقادات متوازیة تطل علی نهر دجلة. و یمضی کریسویل فی وصف الاواوین و مساحاتها، و هیکل البناء و مرافقه وصفا دقیقا فی مساحات ثابتة من الطول و العرض و الارتفاع. و الأساطین و زخارفها و هندستها حتی یصور القصر تصویرا مجسما امام القارىء

ثم یأتی علی وصف جناح الحریم من القصر فیقول، کما یقع فی الجهة الجنوبیة قسم الحریم الذی یمتد منه ملحق جنوبی یتفرع الی عدة فروع. و یقع علی الفناء الأول مباشرة الحمام الکبیر. علی ان الداخل اذا استمر علی السیر الی الأمام رأسا یمر فی بهو أمامی یؤدی الی «قاعة شرف» طویلة یکون جداراها الشمالی و الجنوبی بسیطین خالیین من الزخرف، بینما تبدو من الجهة الجنوبیة جبهة «غرفة العرش» بأبوابها الثلاث .

و تتألف «غرفة العرش» من بهو وسطی مربع الشکل کان من المؤکد، علی ما یبدو، مغطی بقبة خاصة مع أربعة أبهاء فرعیة بنی کل منها علی شاکلة «الباسیلیک» الرومانی ثلاثی الأجنحة، و بذلک تکون هذه أشبه بغرفة العرش فی قصر المشتی أیضا. و یقول هرتسفیلد ان السبب فی بناء هذه الابهاء الاربعة علی شاکلة الباسیلیک هو الحاجة الی تدبیر الاضاءة الکافیة. و قد وجدت قطع من

أفريز مرمر جميل فى البهو الأوسط المربع. و كانت هناك بين اذرع الصليب المتكون موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۵

من شكل البناء أبهاء أصغر مؤزّرة بقطع من المرمر، و مصلى للخليفة موزّر بالزخارف الجصية فيه محراب خاص.

و يقع قسم الحرم حول محور مستعرض يمر من الغرفة الوسطى و يتصل بالغرف المكونة شكل

(T)

من الشمال و الجنوب. و لم ينقب الا فى القسم الجنوبى من هذا القسم، و يقع بين يدى البهو الجنوبى من هذا القسم بهو واسع بعرض الفناء المطل عليه. و يشغل ضلعى الفناء الشرقى و الغربى عدد من غرف الجلوس، جهز كل منها بالماء الجارى الذى يصل الى قسم منها بأنابيب رصاص كبيرة، و بأنابيب خزفية مزججة أو غير مزججة الى القسم الآخر.

و هناك علاوة على ذلك غرف خاصة للغسيل و المراحيض. و فى مقابل غرفة العرش من جهة الفناء الجنوبية توجد غرفة من نوع خاص مربعة الشكل، بعرض الفناء نفسه أيضا. فهى قبل كل شىء محاطة بممر طوله واحد و عشرون مترا (۶۹ قدما) من كل جهة، و لها أربعة أبواب واسعة، مع أربعة أعمدة مرمر فى زواياها الأربع. و قد كانت هذه الغرفة مزخرفة كلها برسوم بشرية مختلفة.

و يوجد أمام البهو الشرقى الشبيه بالباسيليك فى جناح غرفة العرش بهو كبير آخر يبلغ حوالى ثمانية و ثلاثين مترا (۱۲۵) قدما فى عرضه، و (۴۰، ۱۰ مترا فى عمقه، و يفتح على شرفة عظيمة بخمسة أبواب. و هذه عبارة من ساحة مفتوحة واسعة الأرجاء تبلغ مساحتها ۳۵۰* ۱۸۰ مترا، و يقسمها جدول من الماء الى قسم غربى مبلط فيه نافورتان و قسم شرقى غير مبلط يخترقه عدد من الجداول الصغيرة.

و اذا سار المرء متجها الى شرقى الشرفة الكبيرة يأتى السرداب الصغير الكائن على محور القصر الأصلى. و يؤلف مدخل السرداب غرفة مربعة الشكل يوجد على جدرانها أفريز مزين بجمال ماشية من ذوات السنامين منحوتة بالجص الملون، مع نافورة دائرية الشكل.

و يقع سلم السرداب فى الجانب الغربى من البناء الفوقانى. اما السرداب نفسه فهو عبارة عن مغارة منحوتة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۶

فى داخل الصخر بعمق ثمانية امتار و طول (۲۱) مترا. و يوجد فى كل جدار من جدران المغارة ثلاثة كهوف تصلها ببعضها ممرات خاصة، كما يوجد فى قاعها حوض ماء. و تتصل بالمربع المحيط ببناية السرداب ساحة خاصة بها، كما أن السرداب و ما يتصل به كله يحجز بين فنائين متشابهين تقريبا يقع فى جهتيهما الشمالية و الجنوبية فسطاط بشكل T . و قد كان السرداب محاطا كله بصفوف متوازية طويلة من الغرف التى يظن أنها كانت اصطبلات للخيل .

و هناك فى وسط الساحة الشرقية مقصورة يمكن للمرء أن يطل منها على حير طويل مستعرض محاط بسياج يبلغ حوالى مائة و ثمانين مترا فى طوله و خمسة و ستين مترا فى عرضه. و لا بد من ان يكون هذا ساحة الكرة و الصولجان (الپولو)، اما الاصطبلات فقد كانت لأفراس الپولو الصغيرة، كما كانت المقصورة مخصصة للمتفرجين. و بهذا نصل الى حافة القصر الشرقية التى تتصل بساحة الصيد أو الحير. و فى مقابل المقصورة، على امتداد المحور الرئيس للقصر، يقوم فسطاط عال كبير يطل على ساحة الپولو و ساحة السباق التى تضيع ممراتها البالغ طولها خمسة كيلو مترات، فى الأفق البعيد. و يبلغ طول هذه الأبنية و المرافق كلها طول محور القصر الرئيس (۱۴۰۰) متر .

اما «السرداب الكبير» فهو مربع منفصل محاط بجدران يبلغ طول ضلعه الواحد مائة و ثمانين مترا، و يتصل بالطرف الشمالى الشرقى من القصر نفسه بينما يقع طرفه الجنوبى عند الجدار الشمالى للشرفة الكبيرة. و هو يتألف من كهف مربع عميق، محفور فى الصخر، يبلغ طول ضلعه ثمانين مترا، مع امتدادات صليبية من محاوره يصل طولها الى ۱۱۵ مترا. و توجد فى قاع السرداب حفرة ثانية دائرية الشكل يبلغ طول قطرها سبعين مترا. و يعتقد ان هذه الحفرة كانت حوضا للماء لأن كهريزا عميقا يصل اليها. و يوجد فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۷

الطابق العلوى منه عدد من الغرف الصغيرة غير المنتظمة حول الجهة الداخلية من الجدران. و يسقف عدد من هذه الغرف باطواق متقاطعة. و الى الشرق من السرداب شيدت مجموعات مختلفة من الأبنية على طول الجدار الشمالى.

و يختم هرتسفيلد وصفه لهذه الأبنية و المرافق بقوله أن روعة الزينة الموجودة فى القصر و فخامتها تنطوى فى تناسبها مع هذه الأبنية، بحيث لا يمكن ان يوجد مثيل لها فى أى مكان آخر. اما فى غرف العرش فتحل محل الوزرات الجصية وزرات مرمر منحوتة الزخرف. و فى الغرف الواقعة ما بين أذرع الصليب الذى يتشكل به شكل الأبنية العام فتتغلف الوزرات ببلاطات من المرمر. و كان القسم الأعلى من جدران الحريم مزخرفا برسوم كلسية من الأشكال الحية التى اكتشفت بقايا مهمة منها ... و قد كانت جميع أعمال الخشب و الأبواب و الدعامات و الأعتاب و السقوف من خشب الساج، المحفور المنقوش، او المنقوش فقط و المطّعم قسم منه. و مما كان يزيد فى ذلك رونقا و بهاءا وجود المسامير البرونزية المشغولة بدقة بين وسائل الزينة. و يجدر بنا ان نذكر هنا كتابات كثيرة مزخرفة قد وجدت منقوشة على أعمدة الساج، و منها تواقيع الصناع المهرة بالعربية و السريانية و اليونانية.

الجامع الكبير فى سامراء

يقول البروفسور كريسويل فى كتابه المشار اليه ان الخليفة المعتصم توفى سنة ۲۲۷ (۸۴۲ م) فأعقبه هارون الواثق. و هذا توفى فى سنة ۲۳۲ (۸۴۷ م) فأعقبه المتوكل الذى قام بتشييد المسجد الجامع الكبير.

و الجامع عبارة عن مستطيل واسع الأرجاء يحيط به سور محصن من الآجر المشوى تبلغ مقاييسه ۲۴۰* ۱۵۶ مترا من الداخل. و لذلك فان مساحته تبلغ حوالى (۳۸۰۰۰) متر مربع او (۵۰۰، ۴۵ ياردة مربعة)، و بهذا يعد أكبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۸

جامع فى العالم، أى أنه بضعف جامع ابن طولون فى القاهرة. و لم يبق منه سوى الجدران المحيطة به، بعد ان تقوضت سقوفه و اختفت اعمدته التى كانت تستند اليها السقوف. و هذه الجدران، التى يبلغ سمكها (۶۵، ۲) مترا قد بنيت بآجر خفيف أحمر تبلغ مساحة الواحدة منه ۲۵- ۲۷ سم مربع و سمكها سبعة سنتيمترات. اما الأبراج المنتشرة فيها فهى نصف دائرية فى تخطيطها تقريبا، و يبلغ قطرها (۶، ۳). كما يبلغ طول الجدران الساترة بين كل برج و آخر خمسة عشر مترا فى المعدل. و هناك علاوة على ذلك أربعة أبراج ركنية كبيرة، و اثنا عشر برجا آخر يمتد شرقا و غربا فيما يجاورها، و ثمانية شمالا و جنوبا، بحيث يكون مجموع الأبراج الكبيرة أربعة و أربعين برجا. و يقوم كل واحد من هذه الأبراج فوق قاعدة مستطيلة تتألف من ساقين أو ثلاثة من الآجر.

و قد كان للجامع ستة عشر بابا يختلف فى عرضها اختلافا بينا. و كانت هذه الأبواب حين وجدها الرحالة روص فى ۱۸۳۴ قد تهدم البناء من فوقها فيما عدا الأبواب الكائنة فى وسط الضلع الشمالى منه. لكنه يبدو من فحص قوائم الأبواب المحتفظة بشكلها الآن أن فتحاتها كانت مغطاة بعوارض خشبية يسندها من فوقها طاق من الآجر. غير أنه يلاحظ من أقصى باب من جهة الجنوب فى الجهة الغربية ان هذا الطاق يأتى فوقه بناء من الآجر الصقيل جدا البارز قليلا الى الأمام، و الممتد على طول الجدار. و فى الباب المقابل من الجانب الآخر يلاحظ بروز طاق صغير جدا يعتبر جزءا من عقد متين يمتد الى داخل الجدار كله. و لا يدل هذا الا على أنه كان هناك عدد من الشبابيك الصغيرة المقدسة (ربما ثلاثة) فوق كل باب من الأبواب.

و يلاحظ كذلك ان بناء الأبراج هو بناء بسيط جدا، لكن كل جدار موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۱۹

من الجدران القائمة بينها يكون مزخرفا بأفريز متألف من ستة مربعات منخفضة ذات حافات مشطوفة عدا مربعات الجبهة الجنوبية التى كان عددها خمسة فقط. و يوجد فى كل مربع صحن ضحل لا يزيد عمقه على (۲۵) سم، و ما زال قسم من هذه المربعات مغطى بزخرف جصى. و يبلغ علو الجدار فى الوقت الحاضر حوالى عشرة امتار و نصف.

و لقد فتح فى القسم الأعلى من الجدار الجنوبى، فيما تحت الأفريز، أربعة و عشرون شباكا، و شباكان فى كل جانب ينفتحان على

حرم الجامع، و بذلك يبلغ عدد الشبابيك ثمانية و أربعين. و تبدو الشبابيك من الخارج و هى عبارة عن فتحات مستطيلة ضيقة، لكنها مؤطرة من الداخل بأقواس خماسية الفصوص متشعبة من أعمدة صغيرة متشابكة، و قد ركب هذا كله فى أطار مستطيل منخفض.

اما الأساطين التى تستند اليها السقوف فقد أزيلت منذ مدة على ما يبدو، لكنه يتضح من الحفر المتخلفة عن هذا العمل ان الحرم كان فيه أربعة و ستون صفا منها تكوّن خمسة و عشرين فسحة يكون معدل عرض كل منها (۲۰، ۴) مترا، و هذه تتناظر مع محور الشبابيك عدا الفسحة الوسطى التى تكون أوسع من الباقيات بقليل. و كان من الواضح أيضا ان السقف كان يستند الى الأساطين رأسا من دون وجود طوق لها، لأن مثل هذا الطوق لم يكتشف له أى أثر فى الجدران.

و قد أيدت تنقيبات هرتسفيلد بأن الحرم كان فيه أربعة و عشرون صفا من الأساطين، و فى كل صف تسعة منها، بالاضافة الى أربعة و عشرين صفا فى الرواق الشمالى، و فى كل صف من هذه ثلاثة أساطين فقط. أما الأروقة الجانبية فكان فى كل منها عشرون صفا، و فى كل صف من هذه الصفوف اربع اساطين، تقوم بموازاة الصحن. و على هذا يبلغ مجموع الأساطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۰

كلها (۴۶۴) .

و لقد بقى من آثار هذه الأساطين ما يكفى لتعيين شكلها. فقد كانت القواعد مربعة الشكل طول ضلعها (۰۷، ۲) مترا. و كانت تقوم فوق كل واحدة منها اسطوانة مثمنة الجوانب، مبنية بالآجر، عدا الأساطين الركنية الأربعة التى كانت من المرمر .. و لما كانت أعمدة المرمر، التى تتكون منها الأساطين الركنية، لا يزيد طولها على المترين فقد كانت الأسطوانة الواحدة تتألف من ثلاثة أعمدة على الأقل يوضع أحدها فوق الآخر و تلحم ببعضها بالرصاص و أوتاد الحديد، كما هى الحال فى جامعى الكوفة و واسط الكبيرين.

أما الأساطين المبنية بالحجر فقد بيضت و لونت بحيث تحاكى المرمر فى شكلها.

و يبلغ الارتفاع الصافى الى حد السقف (۳۵، ۱۰) مترا أى (۳۴) قدما.

و اتضح عند عملية التنقيب ان فتحة فى وسط الجدار الجنوبى كانت موقعا للمحراب المتهدم. و لم يكن المحراب مدورا بل كان مستطيلا فى تخطيطه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۱

كما هى الحال فى الأخيضر، و كما كانت عليه القاعدة فى العراق و ايران فى العهود الاولى، بحيث يبلغ (۵۹، ۲) مترا فى العرض و (۷۵، ۱) مترا فى العمق. و كان يقوم فى جانبيه زوجان من أعمدة المرمر وردى الشكل المستجلب من عينتاب، التى تكون لها تيجان و قواعد بشكل الساعة، يستند اليها قوسان متحدا المركز فى داخل اطار مستطيل يرتفع بارتفاع الجامع نفسه تقريبا.

و كانت هناك آثار للموزاييك المذهب فى خصور العقود.

و يعزو كريسويل الى المؤرخ المقدسى قوله ان جامع سامراء كان ينافس جامع دمشق، و ان جدرانه كانت مزخرفة بالمينا. و يذهب هرتسفيلد الى أن كلمة «مينا» التى يذكرها المقدسى تعنى الموزاييك نفسه، و قد تأيد ذلك بما عثر عليه فى تنقيباته من بقايا الموزاييك المزجج الكثيرة .

و قد لوحظ بوضوح عند التنقيب ان زيادات عدة قد أدخلت على البناء الأصلى، و منها اضافة جدار جديد يمتد من النهاية الجنوبية لكل جدار من الجدارين الجانبيين الأصليين. و تدل التصاوير الجوية على ان هذين الجدارين كانا يؤلفان جزءا من سور كبير يحيط بالجامع من الشرق و الشمال و الغرب. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج۱۲ ؛ ص۲۲۱

أن هذا المستطيل الكبير كله قد وضع فى داخل مستطيل أعظم و أكبر منه بحيث يحيط به من جميع الجهات الأربع. و قد بنيت هذه الجدران الاضافية من الآجر الذى أخذ القسم الأعظم منه فى الوقت الحاضر. و تبلغ أبعاد هذا السور الخارجى ۳۷۶* ۴۴۴ مترا (۱۲۳۰* ۱۴۵۵ قدما). و لذلك فان المساحة الكلية للجامع و الزيادات الطارئة عليه تصل الى ما يقرب من (۱۷) هكتار، او (۴۱) أيكرا .

و عند مقارنة هذا الجامع بجامع ابن طولون فى القاهرة، لا بد من ان نتوقع وجود بنايات ملحقة به للمرافق الصحية و أماكن الوضوء، و من المؤسف ان هرتسفيلد و صاره لم يتهيأ لهما الوقت الكافى للتنقيب عن هذه الزيادات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۲

و يتطرق كريسويل بعد ذلك الى ذكر المنارة الملوية و أبعادها، فيورد نفس المعلومات التى أتينا على ذكرها من قبل.

الأسس الفنية لعمارة الجامع الكبير

ان أول ما يذكره الأستاذ كريسويل فى هذا الشأن قوله ان فكرة السّلم الحلزونية التى أنشئت بموجبها منارتا الجامع الكبير فى سامراء و جامع أبى دلف مستمدة من فكرة الزقورة البابلية، و ان هذا شى يعترف به المختصون اعترافا تاما. لكن الزقورات لم تكن كلها من نوع واحد، لأن النوع الاعتيادى الشائع منها يتألف من برج مدرج مكون من طوابق عدة متراجعة ذات جبهات متعامدة (غير مدورة). و يتم الوصول الى الطابق الأول بمرقاة شديدة الانحدار تتقاطع عمودا مع الجانب الجنوبى الشرقى من وسطه، كما يتم الوصول الى الجوانب الأخرى فيها بامتدادات لهذه المرقاة. و لم يكن هذا الطراز من الزقورات هو الذى استمدت منه فكرة (الملوية)، و انما استمدت من طراز آخر مربع التخطيط يدور من حوله منحدر خفيف يكوّن عددا من الدورات الكاملة حتى يصل الى القمة. و من الغريب ان هذا النوع لم يعرف له وجود الا فى مكان واحد، و هو (زّقورة خرساباد) التى اكتشفها بالتنقيب قبل مائة سنة المسيو بلاس، فعثر فيها على ثلاثة طوابق سالمة و بقايا الطابق الرابع. و هو يقول انه عثر على بناء رباعى الأضلاع تماما يبلغ طول الجانب الواحد منه (۱۰، ۴۳) مترا بدلا من ان يكون بناءا مدورا كما كان يتوقع. و تبدأ بهذا مرقاة خفيفة الميل جدا من الزاوية الجنوبية، و تستمر على طول أحد الجوانب، ثم تدور حول القرنة و هى تستمر فى الصعود دوما، و تدور حول القرنات كلها بالتعاقب، حتى تنتهى بالقرنة التى بدأت منها، و لكن على ارتفاع (۱۰، ۶) امتار أو (۲۰) قدما. و يتجه الدوران

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۳

باتجاه مضاد لدوران عقرب الساعة كما هى الحال فى ملوية سامراء. و قد تم العثور عند التنقيب على طوابق ثلاثة، يرتفع كل واحد منها الى عشرين قدما (۱۰، ۶) مترا مع بقايا الطابق الرابع كما ذكر من قبل.

و يقول كريسويل كذلك ان وصف هذه الزقورة التى عثر عليها بلاس ينطبق على الوصف الذى وصفها به هيرودوتس. ثم يضيف الى ذلك قوله أنه لا بد من ان تكون قد وجدت زقورات أخرى فى العراق من هذا القبيل خلال القرن التاسع الميلادى، أى فى أيام العباسيين الذين شيدت سامراء فى عهدهم، برغم العثور على واحدة فقط خلال القرن التاسع عشر. و يؤيد ذلك، على ما يقول كريسويل، ما ذكره بنيامين التطيلى اليهودى فى رحلته التى وصف فيها السلالم الحلزونية المدورة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للميلاد. على ان كريسويل يذكر كذلك ان التحوير الذى أدخله معماريو المتوكل على الفكرة هو أنهم شيدوا المرقاة الملوية حول بناء مدور بدلا من الشكل المربع الموجود فى الزقورة المشار اليها.

جامع أبى دلف

كان المتوكل، قبل ان يقوم بتشييد الجامع الكبير فى سامراء، قد قرر ان يبنى مدينة جديدة له فى شمال سامراء، و اختار لها موقعا يقال له «الماحوسة» فبدأ العمل فيها سنة ۲۴۵ (۸۵۹- ۶۰ م)، و مدد الشارع الأعظم الى حيطان الجامع الكبير من جهاته الثلاث و تبدو مدينة سامراء من خلفها

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۴

ثلاثة فراسخ أخرى، أى الى حيث يقع قصر المتوكل الجديد نفسه. و فى اليوم الأول من شهر محرم الحرام ۲۴۷ (۱۷ مارت ۸۶۱) انتقل الى مدينته الجديدة التى أطلق عليها اسم «الجعفرية».

و تشغل أطلال القصر الجعفرى هذا مساحة تقدر بحوالى (۳/ ۱ ۱) كيلو متر مربع، و هو محاط بأسوار تنتشر فيها الحصون المبنية بالآجر. و هذه لم يتم التنقيب بها على ما يقول كريسويل، الذى يورد رواية اليعقوبى عن المتوكل و يقول انه لم يسكن فى قصره هذا الا تسعة أشهر و ثلاثة أيام، و انه قتل فيه فأصبح قصرا مشؤوما تذكره التواريخ جيلا بعد جيل. و كان قتل المتوكل فى يوم ۳ شوال ۲۴۷ (۱۱ كانون الاول ۸۶۱). فخلفه المنتصر، و عاد الى سامراء بعد ان أمر السكان بأجمعهم أن يعودوا اليها كذلك ... كما أمر بتقويض الأبنية و نقل موادها البنائية الى سامراء أيضا. و لهذا دب الخراب فى قصور الجعفرية و بيوتها و أسواقها مع سائر أبنيتها و مرافقها، و اصبحت خرائب تنعق بها اليوم.

لكن كريسويل يقول ان حالة جامع ابى دلف هى على نقيض الحالة التى وجد فيها الجامع الكبير. فقد بقيت من هذا الجامع فى سامراء أسواره الخارجية و زالت داخليته من الوجود، بينما بقيت داخلية جامع ابى دلف قائمة، و لم يبق من سوره الذى كان مبنيا بالآجر الا أسسه الطويلة، فيما عدا الضلع الشمالى الذى بقى قائما الى ارتفاع (۵- ۷) أمتار.

و هناك فى الرواق الشمالى ستة عشر عقدا بطبيعة الحال، كما هو الأمر فى الحرم، و لكن العقد الواحد تكون فيه ثلاثة أقواس فقط يبلغ معدل فتحتها (۱۰، ۳) مترا. و هذه تنتهى من جهة الصحن بشكل T، لكنها تنتهى من من جهة الشمال بأساطين جدارية بسيطة مبنية بالآجر المشوى ... و تكون الفسحة الوسطى فى الحرم أعرض من سائر الفسحات.

و يكون النصف الأعلى من واجهات الأساطين المواجهة للصحن مزينا

بحشوة متراجعة يحتوى على فرجة مقوسة ضيقة. و قد بنيت الأقواس كلها بحلقتين من الآجر المربع، فوضعت آجرات الحلقة الداخلية بحيث يتعرض وجهها الى الخارج بينما وضعت آجرات الحلقة الخارجية على حاشيتها، كما هى الحال فى مبنى «باب بغداد» فى الرقة، على ما يقول كريسويل، فيما يكون سمك كل حلقة آجرة و نصف بدلا من آجرتين. أما نوعية الآجر فهى أدنى من نوعية الآجر الذى بنى به جامع سامراء من قبل، و تختلف الآجرات فى حجمها من ۲۵ الى ۲۹ سم مربعا، و يكون سمكها سبع سم.

و يرى كريسويل ان جامع أبى دلف كان له سطح منبسط مثل جامع سامراء الكبير، و لم يكن هذا على أكثر من ارتفاع ثمانى أمتار.

و يذكر كريسويل كذلك، نقلا- عن هرتسفيلد، ان الأسوار التى بقيت قائمة من الجامع تبلغ (۱۰۶) امتار فى سمكها .. و قد تمت تقويتها، كما هى الحال فى جامع سامراء، بأبراج حصينة نصف دائرية ما تزال ثلاثة منها شاخصة للعيان من الخارج. و تبلغ هذه حوالى ثلاثة أمتار فى عرضها، و تبرز الى الخارج بمقدار (۲۰، ۱) مترا تقريبا فتكون و اجهتها مبنية بالآجر المشوى. و قد كانت هناك أربعة أبراج ركنية، و أحد عشر برجا متوسطا فى الجهتين الشرقية و الغربية و ثمانية فى الشمال، و عدد غير أكيد- ربما ستة- من الجهة الجنوبية، ليكون المجموع الكلى ثمانية و ثلاثين برجا. و يبلغ معدل طول الجدران القائمة فيما بينها أربعة عشر مترا، كما توجد فى بعض الأماكن الواقعة فى الجدار الشمالى حزوز خاصة لأنابيب المجارى تبلغ عشرين سنتمترا فى عمقها و (۱۸) فى عرضها، كما هى الحال فى جامع سامراء الكبير.

و قد كانت هناك ستة أبواب من الجهة الشرقية و ستة من الجهة الغربية و ثلاثة من الجهة الشمالية، فيبلغ مجموعها كلها خمسة عشر بابا. و كانت

لهذه الأبواب قوائم من الآجر المشوى ما زال بعضها شاخصا حتى اليوم

اما المنارة فقد وصفها الرحالة روص بأنها مصغر للملوية المعروفة التابعة للجامع الكبير، و قد بنيت على مسافة تسعة أمتار و نصف عن

جدار الجامع الشمالی. و کانت قاعدتها، التی تبلغ مترین و نصف فی ارتفاعها و أحد عشر مترا مربعا فی مساحتها، مزخرفة بصف متکون من أربع عشرة حنیة صغیرة فی الجهات الشمالیة و الشرقیة و الغربیة، و عشر حنیات فقط من الجهة الجنوبیة نظرا لوجود المدخل الی المرقاة فیها. و یقوم فوق هذه القاعدة الجزء الحلزونی من المنارة، اما المدخل البالغ عرضه (۱۷، ۱) مترا فیکون فی وسط القاعدة.

و یتجه الممر الی الیمین رأسا فیبدأ بسیره الحلزونی بحیث یکون ربع الدورة الأول محفورا فی آجر القاعدة القرصیة. و قد خربت المرقاة بحیث لا یمکن استعمالها، و تبلغ علوا یقرب من (۱۶) مترا، و تدور علی ما یبدو ثلاث دورات کاملة باتجاه معاکس لدوران الساعة.

دور سامراء

و یورد کریسویل فی هذا الشأن نص ما کتبه هرتسفیلد الذی یقول أن دور سامراء فی تلک الأیام کانت مبنیة بموجب طراز خاص. و تتألف الدار الواحدة من مدخل مغطی یؤدی من الشارع او «الدربونه» الی فناء فسیح مستطیل الشکل، یفضل فیه المقیاس ۳: ۲. و یقع فی نهایته بهو رئیس بشکل T مع غرفتین اثنتین فی زاویتین. و یتکرر توزیع الغرف هذا أحیانا فی فناء ثان، مما یمکن ان یستنتج بأنهما عبارة عن حرم، و دیوان. لکنه اذا ما تکرر فی جانبین متقابلین من الفناء نفسه فأنه یدل علی وجود غرف صیفیة و شتویة. اما بقیة الفناء فتحاط بصفوف من الغرف المستطیلة و المخازن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۷

و یوجد فی غالبیة البیوت عدد من الأفنیة الجانبیة الصغیرة التی توجد فیها غرف تختص بالخزن. و توجد فی البیوت علی الدوام حمامات و مجار و آبار فی کثیر من الأحیان، و یلاحظ أحیانا وجود أبهاء مفتوحة او مکشوفة تقوم سقوفها علی أعمدة، و سراديب فیها ترتیبات خاصة للتهویة. و قد کانت جمیع الدور ذات طابق واحد، و یصل عدد الغرف فی الدار الواحدة الی خمسین أحیانا!!.

هذا و قد کانت مادة البناء لهذه الدور: الآجر غیر المشوی بوجه عام، إذ لم یکن یستعمل الآجر المشوی الا للماء و المجاری. اما تبلیط الغرف و الساحات فکان یستعمل له الآجرات الکبیرة التی تصل مساحة کل منها أحیانا الی ۵۰* ۵۰ سم. و کانت السقوف من دون استثناء تصنع من الألواح المنبسطة، و الأبواب بصورة أفقیة علی الدوام تقریبا و نادرا ما کانت تغطی فتحاتها بالأقواس المدببة.

و قد وجدت شبابیک کانت ملأی بالزجاج الملون و هو بشکل أقراص کبیرة یتراوح قطرها بین عشرین و خمسین سنتمترا. و بعض الدور کانت الأبهاء و بعض الغرف الخاصة بها مزخرفة زخرفة غیر قلیلة، و کان بعضها الآخر مزخرف الغرف بأجمعها. بینما لم تکن ساحات الدور و أفنیتها مزخرفة عامة، و کانت وزرات الجدران فی الغرف مزخرفة الی علو متر واحد، و کذلک إطارات الشبابیک و حواشی الجدران العلیا، و أحیانا بطینات العقود المقوسة فوق الأبواب .. و کانت تزخرف حواشی الوزرات العلیا، و وسطها أحیانا، بالحنیات الصغیرة التی تشکل فی الغالب و تؤطر بزخرف توریقی، کما هی الحال فی الدور الشرقیة العصریة، و هی تسمی «طاقجه» بالفارسیة.

اما مادة الزینة و الزخرف فی الوزرات فهی الجبس الصافی نسبیا المخلوط بقلیل جدا من التراب.

القبة الصلیبیة و مدافن الخلفاء

و یذکر کریسویل ، مستعینا باستکشافات هرتسفیلد، انه توجد فی

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۸

الجانب الغربى من دجلة فوق تل يقع على بعد ميل واحد تقريبا من جنوب قصر العاشق اطلال بناية مثمنة الأضلاع. و هذه تحتوى على مثمن داخلى لا تزال أضلاعه سالمة، و مثمن خارجى هدم أكثر من نصفه. و توجد بين الاثنين فسحة عرضها (۶۲، ۲) مترا لا بد من أنها قد كانت مغطاة بطاق خاص لا تزال بقايا الأقواس الستة عشر التى يستند عليهما شاخصة للعيان، تبرز كل اثنين منها من طرفى كل ضلع من أضلاع المثمن الداخلى. و هناك مدخل مقوس يبلغ عرضه سبعة أقدام فى كل ضلع باق من أضلاع المثمن الخارجى .. و حينما يدخل المرء الى داخل هذا المبنى يعجب عند ما يرى ان الفسحة الوسطى فى داخلها تكون على شكل رباعى، طول ضلعه الواحد (۳۱، ۶) مترا، بدلا من الشكل المثمن الذى يتوقعه. و كل باب من الأبواب تقوم على جانبيها حنية نصف دائرية عرضها (۶۳) سنتمترا. و هناك ما يدل على ان هذا المبنى كان مغطى بقبة خاصة به. و لقد شيدت البناية كلها بنوع من الحجر الاصطناعى المصنوع بشكل آجرات يبلغ مقاسها ۳۲- ۳۳ سنتمترا مربعا و عشر سنتمترات فى السمك. و هذا الحجر مصنوع فى الغالب من الطين القوى المخلوط بمقدار غير يسير من مادة «الكوارتز» بحيث يصبح

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۲۹

حجرا صلبا.

و يتضح من دراسة هذا المبنى أنه من أبنية العصر الذى بنيت فيه سائر الأبنية التى تلاحظ أطلالها فى سامراء اليوم، من حيث الانشاء و المواد.

كما أن نوع الحجر الاصطناعى الغريب المستعمل فى البناء يدل على أنه من الفترة المتأخرة فى تاريخ سامراء العباسية، لأن هذه المادة الانشائية قد استعملت كذلك فى تشييد قصر العاشق، و ليس فى تشييد الابنية الأقدم منه. و اذا ما بحثنا فى المعلومات المتيسرة لدينا عن دفن الخلفاء الذين عاشوا فى سامراء نجد أن أولهم، و هو المعتصم، قد دفن فى الجوسق الخاقانى، و ان الواثق قد دفن فى الهارونى، و ان والدة المتوكل قد دفنت فى جامع «الجعفرية»- أى فى أبى دلف- اما المتوكل نفسه فقد دفن فى القصر الجعفرى. لكن المنتصر ابنه كان أول خليفة عباسى يعرف قبره بوجه عام لأن أمه اليونانية طلبت رخصة من المسؤولين لا قامة قبة خاصة فوق قبره فلبى طلبها، و يقع هذا الضريح فيما بجاور «قعر الصوامع». هذا و قد عرف ان المعتز و المهتدى كانا قد دفنا فى نفس القبة بعد ذلك أيضا. و يقول كريسويل ان العلامة هرتسفيلد يقترح، بناء على وجود هذه الأدلة القوية، بأن القبة الصليبية ربما تكون هى القبة التى دفن فيها أولئك الخلفاء الثلاثة من العباسيين. فقد نقب فى كانون الأول ۱۹۱۱ تحت تبليط هذه القبة فعثر على ثلاثة قبور إسلامية فى تلك البقعة ، و لذلك يمكن ان يعتبر هذا الاكتشاف تأييدا جليا لقوله ان القبة الصليبية نفسها هى القبة التى أقامتها أم المنتصر فوق قصر ابنها بعد ان قتل فى حزيران ۸۶۲ م.

و على هذا فانها لا تعد أقدم قبة فى الاسلام فقط و انما تعد أيضا أول قبة من هذا القبيل فيه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۰

الزخرف السامرائى

لقد قسمت زخرفة الآثار العربية فى سامراء، عند أول اكتشافها، الى ثلاثة أطرزة على ما يقول كريسويل و هى: الطراز الاول، و الطراز الثانى، و الطراز الثالث.

و تتميز زخارف الطراز الأول بشيوع أغصان و أوراق الكروم فيها:

الموجودة فى قبة الصخرة و قصر المشتى. لكن زخرفة سامراء هذه قد أدخل فيها شىء من التحوير على شكل الأوراق التى تبقى فيه بوجه عام خماسية الفصوص. و يبدو هذا الطراز واضحا على الأخص فى «باب العامة»، و هى أقدم بناية بنيت فى سامراء.

اما الطراز الثانى فتغلب فيه تراكيب نباتية مركزية، مثل الوريدات المتكونة من البراعم، من دون ان تكون لها سيقان. و لذلك لا

يلاحظ فيها نمو نباتي، و انما يكون كل جزء منها مستقلا بذاته و له منتهاه الخاصّ به.

فنجد فى هذا الزخرف شجرة النخيل متقلصة الى قسمها العلوى فقط. و هذا يعنى بتعبير آخر انه طراز زخرفى معاكس للطبيعة فى الدرجة الأولى، و أن خطوطا حلزونية تلتف فى القسم الأغلب منه. و من مزايا الطرازين الأول و الثانى الجذابة أنها تتشكل بتركيبات وريدية دائرية كبيرة أو مفصصة، و تمتلىء بها وحدات ذات أشكال مختلفة، مربعة أو مثمنة و غير ذلك.

و تكون الأشكال فى الطراز الثالث قد صنعت مقدما بقوالب خاصة:

فيما عدا بعض الحواشى البسيطة. و يورد كريسويل وصف هرتسفيلد لهذا الطراز من الزينة الزخرفية، فيبدأ بقوله ان بروز التركيبات الزخرفية يكون على الدوام ضحلا غير عميق، و هو أشبه فى هذا بحفر الخشب. و هو على درجة من عدم العمق بحيث تنعدم فيه الظلال، الا فى حالات الضوء العمودى، و هو نادر الوقوع عمليا. و تكون ذروة الأشكال صغيرة جدا على الدوام بالنسبة للارتفاع، و تتكرر عناصرها بسرعة واحدا بعد آخر على شاكلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۱

صف الألواح .. و يبدأ الصانع بقص القالب من الخشب فيشكل بموجبه الشكل المطلوب من الطين، ثم يأخذه فيفخره، و يصنع الزخرف الجصى على منواله .

فقد كان استعمال القوالب فى هذه العملية قد جعل من الممكن تزيين مساحات كبيرة من الجدران بسرعة عظيمة. و هناك عناصر زخرفية كثيرة الاختلاف و التباين مثل أشكال القوارير، و أوراق البرسيم، و أشكال السعف، و الخطوط الحلزونية، و ما أشبه. و تسيطر على تصميم الزخارف فكرة ملء السطوح و أشغالها فى الدرجة الأولى، بحيث لا يبقى شيء باديا للعيان من أرضية القطعة المزخرفة. و تحجز كل شكل عن الآخر خطوط هندسية مختلفة، و بذلك تنحصر الزخرفة فى نطاق الأشكال الهندسية المتكونة. و هذه وسيلة توفر الكثير من العمل بحيث لا يستطيع المرء الا أن يفكر بأن هذا المبدأ قد عظم تأثيره بسبب ما يوفره من العمل الكبير الذى كان لا بد من أن يتم بسرعة يكاد لا يتصورها المرء من أجل انجاز بناء سامراء.

عمارة سامراء فى دائرة المعارف الاسلامية

و هناك بحث موجز مفيد عن أبنية سامراء و فنها العربى المعروف فى دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة سنة ۱۹۱۳ فى لا يدن. و يبدأ هذا البحث بقول كاتبه ان سامراء اليوم عبارة عن مساحة كبيرة من الخرائب و الأطلال تقع فى الجانب الشرقى من دجلة. و تشتمل هذه الخرائب على مواقع أغنى المدن العباسية و أثراها، التى كلف بناؤها مبالغ جسيمة من المال. و قد جاءت سامراء الى الوجود فى ۸۳۸ (الصحيح هو ۸۳۶) فى عهد المعتصم بن هارون الرشيد، و وصلت الى أوج عزها و عظمتها فى عهد المتوكل (۸۴۷- ۸۶۱) ثم اندثرت بموته.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۲

و يعطى وجود سامراء قصير الأمد لهذه الخرائب أهمية خاصة لدى طلاب الفن الاسلامى و اصوله. و من المؤسف ان يكون عرب العراق قد عمدوا خلال عدة قرون الى اتخاذ هذه الآثار العجيبة مقالع للمواد البنائية، فعجلوا بالخراب الذى أنزلته فيها عوادى الزمن، و مع هذا فقد اماطت اللثام التنقيبات الجارية مؤخرا (طبع البحث فى ۱۹۱۳) عن معلومات مهمة كافية تختص بأسس الأبنية الرئيسة، و تعطينا فكرة واضحة عن جمال المدينة الاسلامية الزاهرة التى كانت تشع ببريقها اللامع على العالم فى تلك الأيام.

ثم يأخذ كاتب البحث فى دائرة المعارف هذه بتعداد الأبنية و القصور المختلفة، و يصف البعض منها بوصف لا يخرج عن نطاق ما بيناه قبل هذا نقلا عن هرتسفيلد. على أننا لا بد من أن نضيف هنا ما يقوله عن قصر بلكوارا الذى لم نأت على وصف له من قبل. فقد جاء فى هذا البحث ان خرائب بلكوارا تشغل مستطيلا كبيرا يزيد طول ضلعه الطويل على ألف ياردة. و ما تزال تقوم فى جبهته الواسعة

ثلاثة طوق من الطابوق، و هى مخلفات القصر الوحيدة الباقية منه. و كان هذا القصر قد بناه المتوكل لابنه المهتدى باللّه.

و كانت هذه الطوق المواجهة للنهر، و قاعة الاستقبال، مع ايوان الضيوف، مفتوحة باتساع على الوادى. و كانت وراء الطوق ساحات داخلية ثلاث تتبعها الغرف على شاكلة الصليب: و هى غرف العرش، و غرف صغيرة عديدة، و أجنحة سكن خاصة مجهزة بحمامات باذخة. و كانت هناك من الجهة الشرقية حديقة واسعة مستطيلة الشكل تنتشر فيها الشلالات، و تحيط بها جدران ذات ربعات تنفتح على صواوين صغيرة غنية بالزخارف و الزينة. اما من جهة الشمال فقد كان هناك نهر كبير ينزل اليه سلم فخم، فضلا عن الفرض و الكهوف الجميلة التى كانت محفورة فى أجرافه. و فيما وراء القصر كانت تقع مجموعة من البيوت تضم الحرم و الحاشية، مع مسجد صغير، و ثكنة كبيرة لحرس الخليفة و خيالتهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۳

و كانت العناصر الكثيرة المختلفة التى يتكون منها القصر الجسيم بأجمعه مرتبة ترتيبا بديعا متناسقا، يتكون منه شكل T بمقياس واسع يكون محوره الطويل المتعامد مع النهر منتهيا بحجر الجبهة الثلاث الغنية بالزينة و الزخرفة بالموزاييك.

و فيما حول قصر الخليفة كانت هناك بيوت سكن كثيرة الزينة، و كانت أفخم هذه البيوت و أكثرها تواضعا مبنية بتصميم واحد. فقد كانت مشيدة بطابق واحد، و تشتمل على سلسلة من الأقنية الداخلية و نافوراتها، و كانت تطل على هذه الأفنية الأواوين و غرف الاستقبال. و لقد تخلد هذا الطراز المعمارى فى بعض البلاد الشرقية الى يومنا هذا. و كانت الزينة الداخلية من أهم ما يميز هذا الطراز. فان تغليف الجدران بالخشب المحفور، و وجود الأفاريز، يميز على الدوام غرف الاستقبال و جميع غرف الدور فى بعض الأحيان. و كانت الأفنية و الساحات الداخلية تزين كذلك أحيانا، لكن الجدران الخارجية لم تكن تزخرف مطلقا.

و قد كانت زينة الحفر بالخشب فى قصور سامراء و بيوتها على نفس الدرجة من المهارة الفنية، و هى تعطينا فكرة راقية عن تقدم الفن و تطوره فى تلك الفترة. الخ.

و كانت التغليفات الدقيقة تقام على طول الجدران فى الغرف الى ارتفاع ثلاثة اقدام. و كانت تقام فوقها طاقات زخرفية، كما كانت اطارات الأبواب و الشبابيك مزينة كذلك. و كانت السقوف تزخرف بكورنيشات و أفاريز، تصنع معظمها من الجص المزخرف بدقة و الملون فى بعض الأحيان.

و يكون شكل الزخرف و تصميمه عادة بأنواع و طرز كثيرة الاختلاف.

فبعضها بسيط، و بعضها معرق بعروق كبيرة خشنة الصنع، بينما تكون غيرها على جانب أكبر من الدقة. و كان بعضها ينحت فى محله. بينما كان البعض الآخر يصنع فى قوالب على حدة و يركب فى الأماكن المطلوبة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۴

و لقد اقترح بعض المختصين تصنيف الزينة الزخرفية فى سامراء الى ثلاثة أطرزة: ۱- الزخرفة ذات الصبغة القبطية. و ۲- الزخرفة ذات الصبغة الايرانية. و ۳- الزخرفة ذات الصبغة العراقية. على ان كاتب البحث فى دائرة المعارف يقول ان مثل هذا التصنيف غير دقيق و غير ناضج لأنه يؤدى الى ارتكاب الكثير من الخطأ. غير ان ما يمكن استنتاجه من دراسة هذه الأنواع الزخرفية فى سامراء هو ان تأثيرات فنية مختلفة قد اجتمعت فى هذه البقعة من آسية من دون ان تتضارب، أو أن يتفوق أحدها على الآخر.

فقد كانت سامراء مركزا ينجذب اليه عدد كبير من الصناع و الفنانين من جميع انحاء المعمورة بتأثير الثروة و مركز الخلافة. و بذلك أصبحت سامراء يومذاك بودقة انصهر فيها الفن الهيلينى، و القبطى- السريانى، و الهندى- الايرانى، فأنتج الفن الاسلامى العربى بوجه عام ... و يبدو أن كاتب هذا البحث قد استمد هذه المعلومات من كتابات العلامة هرتسفيلد ايضا.

لكن كتابا جليلا ظهر فى السنوات الأخيرة عن الفن الاسلامى عامة باللغة الالمانية، و ترجم الى العربية، فيه اشارات مهمة لفن العمارة فى سامراء، و الزخارف المعمارية المعروفة باسمها. و الدكتور كونل أستاذ فى جامعة برلين، و عضو بمعهد الآثار الالمانى و جمعية

العلوم و الفنون، و مؤلف كتب عدة عن الفن الاسلامى و غيره ترجمت الى عدة لغات. و كان فى سنتى ۱۹۳۱ و ۱۹۳۲ مديرا لأعمال الحفر الأثرى ل (جمعية طيسفون) التى قامت بالتنقيب يومذاك فى منطقة طاق كسرى بسلمان باك.

و هو يقول فى كتابه عن جامع سامراء الكبير: .. و يعد جامع سامراء المشيد فى عهد المتوكل (۸۴۶- ۸۵۲) أروع المنشآت ذات الأثر فى تلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۵

الفترة. و قد أقيم على رقعة مستطيلة ضلعها الأكبر (۲۶۰) مترا، و الأصغر (۱۸۰) مترا، و كان سطحه بغير عقود، و يرتكز على دعائم مثمنة الأضلاع ترتبط بها أعمدة من الرخام. و حوله من الخارج سور ذو أبراج مستديرة كما فى جوامع المعسكرات و الأربطة، و تقوم مئذنته الملوية خارج السور على هيئة برج حلزونى مصعدة من الخارج على غرار الأبراج البابلية المدرجة (الزقورات) و المنشآت الصينية فى عهد تانج. و شيد فى سامراء جامع أصغر قليلا هو جامع أبى دلف، و له برج مماثل و يرتكز سقفه على عقود مدببة تمتد عمودية حتى جدار القبلة ..

ثم يقول بعد ذلك: و ما زال الجامع الرائع الذى بناه أحمد بن طولون فى مدينة القطائع بمصر (۸۷۷- ۸۷۹) فى حالة جيدة، و هو على طراز جامع سامراء، و فى مصلاه عقود مدببة قائمة على خمسة صفوف من الدعائم، و تندمج فيها أعمدة مبنية أيضا بالآجر .. و قد اقتبست بعض الكنائس الرومانية طراز تلك العقود المدببة .. و أقيمت مئذنته خارجه فوق قاعدة مربعة بمصعد داخلى، يتمشى حلزونيا مع درج خارجى.

و يقول كونل بالنسبة للقصور و المساكن: .. كما يرجح ان قصور الحكام تأثرت فى تخطيطها بقصر معسكر اللخميين الذى كان قائما فى الحيرة، و ضاع كل أثر له. و فى مقدمة القصور التى تأثرت به قصر الأخيضر و قصر بلكوارا.

اما قصر بلكوارا فقد بناه الخليفة المتوكل لابنه المعتز بالقرب من سامراء، على غرار قصر الحيرة. و به عدة أفنية كبيرة متتابعة، و عدد من قاعات العرش المتعامدة ممتدة على طوله على هيأة أبهاء مكشوفة لها واجهات مؤلفة من ثلاثة عقود. و عن يمين وسطه و يساره تمتد أروقة بها عشرات من المساكن لكل منها فناء خاص. و ينتهى ذلك كله بحديقة تتجه نحو نهر دجلة ممتدة الى ما وراء السور الخارجى، و بها حوض ماء و مرسى للزوارق .. و فى نحو سنة ۸۸۰ أقيم على الضفة الغربية لدجلة قصر العاشق، و فى داخله قصر أصغر كثيرا مماثل له فى التخطيط. و ما زال باقيا من قصر الجوسق فى سامراء بهو مدخل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۶

منيف طويل.

و كانت بيوت الأفراد كلها من طبقة واحدة، و نمتد غالبا طولا بمحاذاة النهر، و عددها حوالى خمسين بيتا مبنية باللبن على غرار المساكن الجانبية بقصر بلكوارا. و هذا النظام نفسه كان يتبع فى المساكن الكبرى، مع أبهاء مكشوفة ذات أعمدة و حجرات تحت الأرض تتصل بسراديب للالتجاء اليها صيفا. و كانت هذه البيوت كلها مزودة بالحمامات و المجارى .

و جاء فى كتاب كونل عن «خزف سامراء» ان أعمال الحفر فى سامراء كشفت عن قطع خزفية من العصر الاسلامى الأول، و مصنوعات زجاجية مختلفة. و كانت الكمالية المستعملة و قتذاك بعضها مصنوع محليا، و بعضها مستورد من شرق آسية. و هناك أدلة قوية على ان الخزف الصينى الأبيض و الخزف المعروف باسم سيلادون كانا يصنعان محليا و يصدران الى الخارج.

كما عثر على قطع حجرية من تانج مزججة تزجيجا منقطا، و على آثار أخرى صنعها الخزافون المسلمون على غرار قطع مستوردة، مع اتجاه جديد فى الصناعة، و ابتكار للبريق المعدنى الذى يكسب الميناء او المادة الزجاجية لمعانا معدنيا زخرفيا له تأثير بديع.

و كما استعملت هذه الطريقة فى الأوانى لتكسبها ألوانا براقة عديدة متجاورة استعملت فى البلاطات التى كانت تكسى بها الجدران على هيئة مربعات لتزيين الجوامع و القصور. و لا شك ان البلاطات التى كسى بها محراب جامع القيروان جلبت من بغداد. و قد عم

انتشار هذه الأوانى فى البلاد الاسلامية لاستعمالها بدلا من الأدوات المصنوعة من الذهب و نهى الاسلام عن استعمالها. و قد عثر على شظايا من هذه الأوانى و الأدوات العراقية فى مدينة الزهراء باسبانية، و فى الفسطاط بمصر، و فى سوسه و الرى بايران. كما دخلت صناعة الخزف

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۷

ذى البريق المعدنى الى تلك الأقطار الثلاثة و الى سورية .

الفنون الاسلامية فى سامراء

يعتبر العصر الذى نشأت فيه سامراء، و عادت الى الاختفاء عن مسرح التاريخ، من العصور الاسلامية الزاهرة التى ازدهت بالمدنية العربية العباسية و طبق ذكرها الخافقين. فقد رافق النهضة العمرانية الجبارة، التى نشطت عندما قام خلفاء بنى العباس بتشييد سامراء و قصورها، نهضة فى فن العمارة و زخرفها و فى الفنون الجميلة الأخرى بمختلف أنواعها و محالات عملها.

و لقد كتب عدد غير يسير من الغربيين عن ازدهار هذه الفنون فى المدن و المراكز الاسلامية الكبيرة، و عن الابداع الذى حققه العرب و المسلمون فى ميادينها المختلفة. و ليس بوسعنا فى مثل هذا المبحث ان نلم بجميع ما كتب من هذا القبيل بالنسبة لسامراء و العصر الذى ازدهرت فيه فنونها، و انما سنقتصر هنا على ايراد ما جاء فى مرجع اختصاصى مهم يعد من أهم ما كتب فى الموضوع و هو كتاب «الفنون الاسلامية» الذى ألفه بالانكليزية الدكتور م. س. ديماند، أمين مجموعات الشرق الأدنى فى متحف الميتروبوليتان فى نيويورك، و نقله الى العربية أحمد محمد عيسى أمين مكتبة جامعة القاهرة، ثم نشرته دار المعارف فى ۱۹۵۴ .

و يبدأ الدكتور ديماند كتابه الجليل هذا بفصل عن ظهور الاسلام و انتشاره، و قيام الدول العربية و الاسلامية، فيتعرض إلى ذكر العباسيين فى بغداد و سامراء حين يقول: .. و أنشأ العباسيون عاصمة جديدة لهم على دجلة هى بغداد، التى أصبحت مركزا مهما للعلوم و الفنون الاسلامية .. و أنشأ المعتصم العباسى موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۸

مدينة سامراء على بعد ستين ميلا شمالى بغداد، و كانت هى الاخرى مركزا و مقرا للخلفاء من سنة ۸۳۶ الى ان هجرت فجأة فى سنة ۸۹۲ م.

ثم يأخذ بالبحث فى الفنون المختلفة، فيذكر سامراء عند بحثه فى موضوع التصوير و الرسوم الحائطية. فيبدأ بقوله ان معلوماتنا التاريخية عن فن التصوير الاسلامى فى عصوره الأولى لا تزال قليلة، و لكننا نستطيع على الأقل ان نتصور مدى الرونق و البهاء فى النقوش الحائطية فى العصر الأموى و بداية العصر العباسى من الآثار القليلة التى اكتشفت فى سورية و العراق و ايران.

و يبدو التأثير الايرانى واضحا فى العصر العباسى على الرسوم الحائطية فى قصر من قصور سامراء يرجع الى القرن التاسع. و من أطرف هذه الرسومات ما وجد بجناح الحريم، و تضم مناظر راقصات و موسيقيين و حيوانات و طيور، تنحصر بين تفريعات نباتية و دوائر. غير ان الألواح الخشبية التى عثر عليها فى هذا القصر تحوى رسوما بحتة، ذات أسلوب اسلامى خالص يشبه اسلوب زخارف سامراء الجصية، و قوام هذه الرسومات موضوعات نباتية ملونة بالألوان: الأبيض و الأزرق و الأحمر و الأصفر و تحدها حدود باللون الأسود.

و الظاهر أن رسوم الجدران فى قصور سامراء قد تكونت منها طريقة خاصة صارت تعرف باسمها، و انتشرت فى أنحاء الأمبراطورية كلها.

فيقول ديماند مثلا ان قصرا من القصور قد اكتشف فى خوجو بالتركستان الروسية فوق تل يعرف باسم «تپة مدرسه» فوجدت فيها زخارف يأخذ بوصفها وصفا كاملا يقول فى نهايته .. و تمثل زخارف هذه الحنيات أسلوب زخارف سامراء السابق ذكره، و القائم على الأساليب الأموية التى نراها واضحة فيما عثر عليه من تيجان الأعمدة الرخامية فى مدينة الرقة، و كذلك فى المنبر الخشبى لجامع القيروان، و فى الأوانى الايرانية البرونزية المحفوظة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۳۹

فی متحف الهرمیتاج، و ترجع کل هذه الأمثلة الی النصف الثانی من القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع.

و حینما یبحث الدکتور دیماند فی موضوع النحت علی الحجر و الجص یتطرق الی ذکر سامراء بطبیعة الحال. فهو یقول ان النشاط الفنی العظیم فی العصر العباسی یقترن بنشأة مدینة بغداد، و بتأسیس مقر الخلافة الموقت فی سامراء علی نهر دجلة. و قد کشفت الحفائر التی أجراها فی مدینة سامراء علماء الآثار الألمان باشراف صاره و هرتسفیلد عن مدینة عظیمة رائعة.

و المعروف ان المعتصم أنشأ هذه المدینة عام ۲۲۱ (۸۳۶ م)، و کمل بناؤها و زاد اتساعها ثم هجرت فی مدة قصیرة لا تتجاوز سبعة و أربعین سنة (۸۳۶- ۸۸۳) بقیت سامراء خلالها مقرا لثمانیة من الخلفاء. و اشتملت المدینة علی طرقات واسعة و مساجد جمیلة و قصور و أسواق و ملاعب، و أحیاء خاصة لسکنی أجناد الجیش الترکی و عمال الدولة و سائر المواطنین. و جهّز قصر الخلیفة کما جهّزت المنازل الخاصة بالحمامات و النافورات، و زینت جدران الغرف الرئیسة بالصور الحائطیة، و غطیت الأجزاء السفلی من جدرانها بوزرة من الجص الی ارتفاع ۴۰ بوصة. و فیما عدا حشوات قلیلة أصیلة، فان جمیع حشوات متحف برلین عبارة عن نماذج منقولة بالصب، نقلها رجال بعثة الحفائر فی سامراء عن القطع الأصلیة، و من نفس المواد التی عملت منها هذه القطع. ولدی متحف المتروبولیتان أربعة من هذه «القوالب» حصل علیها من متحف برلین.

و تدل أسالیب زخارف سامراء الجصیة علی ثلاث مجموعات مختلفة، یتضح من المجموعتین الثانیة و الثالثة ان الزخارف حفرت علی الجدران، او علی حشوات جصیة منفصلة ثبتت بعد ذلک علی الجدران، اما فی المجموعة الأولی فقد صبت الزخارف فی قوالب، و یمکن اعتبار اسلوب المجموعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۰

الثالثة أقدم الأسالیب جمیعا، و تتکون زخارفه من تفریعات العنب و کیزان الصنوبر و المراوح النخیلیة و أشکال الزهریات داخل تقسیمات هندسیة و جامات سداسیة الفصوص. و مع ان الزخارف هنا تعتمد علی أسالیب الزخرفة الأمویة الا أن رجال الفن العباسیین ابتکروا أشکالا جدیدة ذات مظهر زاخر رائع و من الخصائص المیزة للزخزفة فی العصر العباسی هو عنایة رجال الفن بابتکار العناصر الزخرفیة و اختلاف عمق الحفر الذی نری خیر امثلته فی منبر خشبی مهم بمسجد القیروان، و فی حشوة خشبیة من تکریت محفوظة بمتحف المتروبولیتان

اما المجموعة الثانیة فتمتاز زخارفها بتجردها عن الطبیعة، و تتکون من اشکال زهریات و تفریعات هندسیة، تحمل أوراقا نباتیة دائریة او أشکالا مختلفة من المراوح النخیلیة. و قد نحتت هذه الزخارف نحتا قلیل البروز، و کسیت بأشکال معینة مضلعة .. و یتمثل فی أسلوب المجموعة الأولی اکتمال تطور مبدأ خاص من مبادیء الفن الاسلامی هو مبدأ تغطیة الفراغ تغطیة تامة.

و کادت تختفی الأرضیة تماما فی هذه المجموعة، أو اقتصرت علی حزوز ضیقة نتیجة اتباع طریقة جدیدة فی الزخرفة. و أساس هذه الطریقة ان تنحت العناصر الزخرفیة نحتا مائلا، و تتقابل حوافها بعضها ببعض فی شکل زوایا منفرجة. و قد اتبعت هذه الطریقة أیضا فی النحت علی الحجر و الخشب و یطلق علیها عادة الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل. و تتکون الأشکال الزخرفیة المجردة من مجموعة من التعبیرات قوامها تفریعات من التواریق النباتیة و مقتبسات من المراوح النخیلیة أضیفت الیها تحزیزات قلیلة و خطوط قصیرة و نقط. و اشتملت تلک الأشکال أیضا علی کثیر من الزخارف التقلیدیة الاسلامیة، و لکنها فقدت العنایة بتفاصیلها حین استخدمت فی هذا اللون الجدید من الصنعة. و شاعت طریقة النحت المشطوف هذه فی عصر العباسیین، بل عرفت فی عهد هارون الرشید، و یمثلها فی متحف المتروبولیتان تاج عمود جمیل من المرمر.

و کان من عادة الولاة المسلمین استقدام مهرة رجال الفن و الصناعة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۱

الأقاليم المختلفة ليشيدوا لهم المدن و القصور و المساجد. و سبق ان ذكرنا انه عند تأسيس مدينة بغداد جمع الخليفة لها العمال من سورية و الموصل و الكوفة و واسط و البصرة و ايران. و لا بد من أن يكون هذا التقليد قد اتبع عند بناء سامراء، و يدل تعدد أساليب زخرفتها على كثرة الاتجاهات الفنية التى سادت العصر العباسى.

و قد اتبعت الأساليب الزخرفية فى الحفر على الجص و الحجر أيام العصر العباسى فى سائر الأقاليم الاسلامية. و دخل هذا الاسلوب مصر من العراق زمن الدولة الطولونية، اذ نرى اسلوب زخارف سامراء من المجموعتين الثانية و الثالثة واضحا فى الزخارف الجصية بمسجد ابن طولون سنة ۲۶۳ (۸۷۶). و شاعت بمصر كذلك طريقة النحت المائل التى لا حظناها فى الزخارف العباسية. اما فى ايران فيشاهد أحسن مثال للاسلوب العربى العباسى فى الزخارف الجصية الزاخرة فى مسجد نايين بالقرب من مدينة يزد، و هى زخارف من ورق العنب تذكر بالاسلوب الثالث من جص سامراء. و يظهر فى نايين نوع من زخارف المراوح النخيلية يوضح اتجاها جديدا نحو المغالاة فى زخرفة المسطحات. و تدل هذه التعبيرات الفنية على ان زخارف نايين متأخرة عهدا عن سامراء، و أنها ترجع الى أوائل القرن العاشر. و يقول ديماند بعد ذلك:

.. و قد استعار الفن العباسى فيما استعار من فنون الأمم الأخرى الأشرطة الزخرفية التى تحولت فى اسلوبى سامراء و نيسابور الى أشكال زهرة اللوتس المثلثة، الموصولة بطيور او مراوح نخيلية. و تشبه زخارف نيسابور الجصية زخارف كل من سامراء و نايين، و لكنها تفصح عن تعبيرات و مبادىء زخرفية جديدة .. و يحتمل ان ترجع معظم زخارف نيسابور الجصية الى أواخر المدة التى أعيد فيها بناؤها، اى بين سنتى ۹۶۱ و ۹۸۱ (بعد سامراء بحوالى مائة سنة) .. و هكذا تعتبر هذه الزخارف حلقة اتصال مهمة فى سلسلة الزخارف الجصية الايرانية بين الاسلوبين العباسى و السلجوقى.

ج ۱- سامراء (۱۶)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۲

و يعالج ديماند موضوع حفر الخشب أيضا فيتطرق الى ذكر سامراء بمناسبة الزخرفة التى يتناولها الحفر. فيقول ان الاسلوب العباسى المجرد يتمثل هنا فى وجود زخارف من فروع العنب تحمل أوراقا نباتية متناهية فى البعد عن الطبيعة، و كيزان صنوبر بدلا من عناقيد العنب .. و تزين مناطق أخرى من تلك الحشوات موضوعات مجردة تتكون من عدة تعبيرات مركبة يمكن اعتبارها الأصول الفنية لبعض العناصر الزخرفية للأسلوبين الثانى و الثالث من جص سامراء. و يعتبر منبر القيروان الذى يرجع الى عهد هارون الرشيد واحدا من روائع أمثلة الحفر على الخشب من مدرسة بغداد. و تدل زخارفه، كما تدل زخارف جص سامراء، على مهارة فائقة فى اظهار التفاصيل و تنوع مستويات الحفر .. و يذكر ديماند بعد ذلك انه سبق له ان قال بأن للفنانين المسلمين فى ختام القرن الثامن الميلادى اسلوبا زخرفيا يناسب طريقة الحفر الجديدة، و هى طريقة الحفر المائل أو- المشطوف- التى يغلب ان يكون أول ظهورها على الخشب. و يحتفظ متحف المتروبوليتان من هذا الاسلوب العباسى الجديد بمصراعى باب و حشوتين، من المحتمل ان تكونا جزءا من كتفى باب او من سقف منقوش. و لما كان العثور عليهما فى تكريت فالمرجح ان تكونا قد جاءتا من مكان قريب من سامراء نفسها. و الحشوتان من أكبر و أكمل أمثلة الحفر على الخشب فى تلك المنطقة.

اما فى موضوع الخزف و صناعته الفنية فيقول الدكتور ديماند ان الفتح لبلاد الشرق الأدنى كان بداية عهد جديد فى تاريخ فنون الخزف. و قد اتبع الخزافون المسلمون فى أول الأمر الأساليب التقليدية التى سادت مصر و سورية و العراق و ايران، و لكن هؤلاء الفنانين أخذوا يبتكرون تدريجيا أساليب جديدة فى زخرفة الخزف، و كانت لهم خلال القرن التاسع ابتكارات على جانب من التنوع، سواء فى الزخارف أم فى الألوان أم فى الأساليب الصناعية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۳

و أصبحت هذه الابتكارات من مميزات صناعة الخزف فى العالم الاسلامى.

ثم يقول: و قد أمدتنا الحفائر الأثرية التى أجريت فى مناطق مختلفة من البلاد الاسلامية مثل سامراء و الفسطاط و المدائن و الرى و غيرها بمادة لها أهميتها بالنسبة لتاريخ الخزف فى بداية العصر الاسلامى. و لما كانت سامراء قد أنشئت و هجرت بين عامى ۸۳۶ و ۸۸۳ فان الخزف الذى اكتشف فى أطلالها يرجع بالتأكيد الى القرن التاسع، و بالتالى فانه يساعدنا على تاريخ الفخار المشابه له فى بعض البلاد الأخرى.

و يقول ديماند ان الخزف العباسى ذا اللون الواحد يمكن تقسيمه الى مجموعتين: الأولى و تشتمل على جرار كبيرة مغطاة بدهن براق أزرق و أخضر، اما زخارفها البارزة المكونة من أشرطة و تفريعات نباتية فمصنوعة بطريقة الصب بالقرطاس، و هى الطريقة التى اتبعت عادة فى زخرفة الفخار غير المدهون. و تتكون المجموعة الثانية من أوان أكثر رقة، فتشتمل على صحون صغيرة و أكواب و أوان أخرى من بينها زمزميات ذات حليات زخرفية بارزة مغطاة بطلاء أخضر براق. و تتألف زخارف ما عثر عليه من الأوانى فى سامراء من رسوم هندسية و نباتية و أوراق محوّرة. و ينسب الى المجموعة السابقة عدد من الأوانى الصغيرة، معظمها صحون مغطاة بطلاء أصفر من أملاح الرصاص له بريق ذهبى يعتبره بعض المختصين بريقا معدنيا حقيقيا، و يعتبره البعض الآخر بريقا قزحى اللون. و يحتمل ان يكون بعض ما عثر عليه من القطع الخزفية فى سامراء و المدائن و الفسطاط ذا بريق معدنى حقيقى ناتج من تلوين طلائها بأملاح الحديد و الأنتيمون.

و يتطرق هذا البحث الى صناعة الفخار المدهون ذى الزخارف المحزوزة كذلك، فيشير الى أن هذا الفخار و زخرفته قد كثر استعماله، مع بقع و تعريقات باللون البنى المصفر و الأخضر الأرجوانى الفاتح تقليدا للأوانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۴

الصينية التى استوردها العباسيون، و عثر على قطع منها فى عدة أماكن من بينها سامراء و المدائن و نيسابور. و قد اكتشفت بشرق العالم الاسلامى، مثل سامراء و المدائن وسوس و سمرقند، كميات كبيرة من هذا النوع من الخزف الذى يرجع الى ما بين نهاية القرن الثامن و العاشر الميلادى. و كان بعض ما عثر عليه من الأوانى متقنا الى حد كبير، و البعض الآخر مشوها فى رسومه.

و تحت عنوان «الخزف ذو الزخارف المرسومة بالبريق المعدنى» يقول الدكتور ديماند أنه عثر على الخزف العباسى بالعراق فى كثير من الأماكن مثل سامراء و المدائن، و فى ايران فى مدينة سوس و الرى بوجه خاص، و فى مصر فى أطلال مدينة الفسطاط. و يعتبر الخزف العباسى المحلى بزخارف من البريق المعدنى من أجود منتجات الخزف فى العالم الاسلامى كله، فان صناعة البريق المعدنى كانت من الابتكارات العظيمة التى اهتدى اليها الخزافون المسلمون فى القرنين الثامن و التاسع .. و يصنع هذا النوع من الخزف عادة من طفل أصفر نقى مغطى بطبقة غير شفافة من المينا القصديرية ترسم عليها الزخارف بالأكاسيد المعدنية بعد حرقها للمرة الأولى. ثم تحرق للمرة الثانية حرقا بطيئا جدا تحت درجة حرارة أقل من الأولى، تتراوح بين ۵۰۰ و ۸۰۰ فهر نهايت و عندئذ تتحول الى الأكاسيد المعدنية باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية رقيقة جدا. و يصبح بريق اللون المعدنى المتخلف اما ذهبيا أو أحد أطياف اللونين البنى او الأحمر. و لم ينته القرن التاسع حتى صار الخزفيون المسلمون سادة تلك الصناعة التى اقتصر أمرها على الشرق الأدنى. و قد أخرجت لنا حفريات سامراء التى قام بها كل من صاره و هرتسفيلد بعضا من أروع أمثلة الأوانى ذات البريق المعدنى و هذا ما دفع البعض الى القول بأن صناعة البريق المعدنى عراقية الأصل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۵

.. و قد وجدت أنواع من الخزف ذى البريق المعدنى المتعدد الألوان بايران فى السوس و الرى و كذلك فى مصر، و لكن خير ما يعرف منها ما اكتشف منها فى سامراء نفسها .. و يعتبر الخزف العراقى ذو البريق المعدنى الذى يرجع الى العصر العباسى و الذى اكتشف فى سامراء أحسن ما وصلنا من هذا النوع، و ذلك الى جانب ما أمدتنا به المدائن من أمثلة كثيرة جميلة منه. و يفوق ما صنع للخلفاء العباسيين بسامراء (۸۳۶- ۸۸۳) من خزف ذى بريق معدنى جميع أنواع الخزف الاسلامى البراق فى ما تلا ذلك من العصور،

من حيث جمال شكله أو بهجة ألوانه. و قد رسمت زخارف خزف سامراء بعدة ألوان أو بلون واحد هو الأصفر الذهبى أو الذهبى المخضر، أو البنى فوق طبقة من المينا القصديرية.

و تعد القطع المتعددة الألوان، أجمل ما أنتجته سامراء من أنواع الخزف ذى البريق المعدنى. و نرى فى مجموعة منه اللون الذهبى، و الأخضر الزيتونى، و الأخضر الفاتح، و البنى المائل الى الحمرة. اما زخارفه العباسية الاسلوب فتتكون من تفريعات نباتية بها تعبيرات زخرفية على هيئة الأقماع، و أشكال أزهار بعيدة عن الطبيعة و تواريق متنوعة و مراوح نخيلية ثلاثية الفصوص، و مراوح نخيلية مجنحة، ثم زينته هذه الموضوعات و ما بينها من فراغ بتهشيرات تشبه قطع الفسيفساء من أشكال المعينات و الفروع النباتية و الدوائر المنقطعة.

و يقول ديماند كذلك فى هذا الشأن أن أوانى سامراء ذات البريق المعدنى تشبه بلاطات فاخرة ذات رسوم من لون واحد أو عدة ألوان (الذهبى و الأصفر الطفلى و البنى المحمر) و هى بلاطات محراب مسجد سيدى عقبة فى مدينة القيروان بتونس. و تذكر لنا المراجع العربية انها استوردت، و معها المنبر الخشبى المشهور الموجود بالجامع، من بغداد على الأرجح. و قد أيدت حفريات سامراء تأييدا حقيقيا ما تذكره المراجع العربية. و لا بد من ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۶

تكون بلاطات جامع القيروان من صناعة بغداد لأنها تسبق بتاريخها خزف سامراء. و لما كانت سامراء مقرا موقتا لخلفاء بنى العباس فيمكن اعتبارها فرعا للمدرسة العراقية فى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى الذى كانت بغداد مركزه الرئيسى. و تدل الزخارف الغنية و التنوع الكبير فى رسوم بلاطات محراب جامع القيروان على مقدار تفوق العراق فى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى النصف الاول من القرن التاسع.

و يسترسل الدكتور ديماند فى هذا البحث الشيق فيقول ان هناك مجموعة أخرى تفوقت على بلاطات جامع القيروان، و هى من خزف سامراء، مرسومة ببريق معدنى ياقوتى اللون يوجد فى أغلب الأحيان مع اللون الأصفر و الأخضر و الذهبى و الأرجوانى. و لم يقتصر مثل هذا الجمع بين الألوان الفنية على الأوانى حسب بل وجد كذلك على بلاطات استخدمت فى تزيين قصر سامراء. و كانت فى متحف برلين أمثلة منها على جانب عظيم من الجمال.

و يزين بعض هذه التربيعات رسم ديك داخل اكليل على أرضية صفراء مرمرية.

و فى بحث «الخزف ذو الزخارف المرسومة فوق الدهان» يذكر الاستاذ ديماند ان من انواع الخزف العباسى الجميل نوعا رسمت زخارفه فوق الدهان باللونين الأزرق و الأخضر، و عثر عليه فى سامراء وسوس و الرى و قد صنع هذا النوع من الخزف، مثلما صنعت الأوانى العباسية ذات البريق المعدنى، من طفل أصفر نقى مغطى بطبقة من المينا القصديرية اللون، و يدخل هذا النوع فى ضمن خزف سامراء. و تحتوى زخارفه على كتابات كوفية باللون الأزرق مع بقع حمراء، كما تحتوى على أشكال من الأوراق النباتية أو السيقان المزهرة ذات المراوح النخيلية بطريقة سريعة باللون الأزرق او الأزرق مع الأخضر .. و قد أمدتنا حفريات نيسابور بأمثلة عديدة من الخزف الذى صنع بشرق ايران تقليدا لخزف العراق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۷

و يتطرق كتاب ديماند الى البحث عن الخزف غير المدهون كذلك. و هنا أيضا يأتى ذكر سامراء العباسية حينما يشير المؤلف الى انه قد وصلتنا عدة أمثلة مزخرفة من هذا الخزف من سامراء و المدائن و نيسابور. كما يشير كذلك الى ان هناك مجموعة أخرى من الخزف غير المدهون، عملت زخارفه بواسطة أختام مستديرة او غير مستديرة. و تشتمل زخارف الأختام على رسوم حيوانات و طيور و أشكال آدمية و وريدات و كتابات كوفية. و قد وجدت أمثلة هذا النوع فى بلاد العراق، و وجدت فى سامراء أمثلة عديدة من هذا الخزف ذات رسوم حيوانية ترجع الى القرن التاسع .. و يبدو مما عثر عليه بسامراء من أمثلة هذا النوع ان زخارف الأوانى الخزفية غير المدهونة أقل جودة و اتقانا فى القرن التاسع عن مثيلاتها فى القرنين الحادى عشر و الثانى عشر.

و يأتى ذكر سامراء بعد هذا فى معرض البحث عن «الخزف الاسبانى المغربى» حيث يقول ديماند أنه قد وجد فى مدينة الزهراء بالأندلس بقايا من قطع الخزف ذى البريق المعدنى، ذات صلة بما عرفناه من خزف سامراء و غيرها من بلاد العراق، و ليس ببعيد ان يكون مستوردا من تلك البلاد.

و هناك فصل ممتع فى كتاب الدكتور ديماند عن «الزجاج و البلور»:

يقول فيه أن أوانى سامراء الزجاجية المصنوعة فى القرن التاسع يتضح منها ان أشكالها كانت استمرارا لأشكال الأوانى الساسانية التى كشف عنها بالمدائن و كش. ثم يقول فى مكان آخر ان من الأساليب القديمة المعروفة نقش الزجاج و حفره اما باليد أو بواسطة عجلة خاصة بذلك، و ان ما وجد فى مصر و سورية من الزجاجات و الأباريق من هذا النوع بسيط جدا فى زخارفه .. على اننا نرى فى القطع المنسوبة الى سامراء فى القرن التاسع تقدما ملحوظا فى زخارفها المحفورة .. و قد عثر فى سامراء كذلك على مجموعة عظيمة الأهمية من بقايا قطع الزجاج البلورى النقى من القرن التاسع تزينها زخارف محفورة حفر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۸

غائرا. و يمكن اعتبار هذه المخلفات العباسية، على قول الدكتور لام، من انتاج العراق، و يحتمل ان تكون من انتاج بغداد بالذات لما ذاع عنها من شهرة فى صناعة الزجاج ذى الزخارف المقطوعة. و لنا كذلك ان نعتبر تلك المخلفات العباسية مصادر فنية لهذا النوع ذاته فى العصر الفاطمى.

و يأتى ذكر سامراء بعد هذا (الص ۲۴۹ من كتاب ديماند) فى بحث «النسيج المصرى زمن العباسيين و الطولونيين» حين يقول الدكتور ديماند ان شهرة دور الطراز فى مصر قد ذاعت بما انتجته من المنسوجات الكتانية و الحريرية التى كانت تصدر منها فى العهد الاسلامى الى البلاد العربية الأخرى مثل سورية و العراق و غيرهما. و قد وجدت فى سامراء قطعة نسيج كتانية من القرن التاسع، عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تدل على أنها صنعت بمدينة تنيس قرب بورت سعيد.

هذا و الملاحظ ان الدكتور فيليب حتى يشير فى كتابه «تاريخ العرب» لمنشور بالانكليزية كذلك الى الفنون و الصناعات الاسلامية فى مناسبات عدة، لكن بصورة مقتضبة. فيذكر مثلا أن بانى سامراء، الخليفة المعتصم، قد مر بأن تزين جدران قصره برسوم كلسية تمثل نساء عاريات و مناظر صيد مختلفة، كما فعل قصير عمره قبله، و لعل ما وجد من هذا القبيل كان من صنع لفنانين المسيحيين. و استخدم من بعده المتوكل، الذى بلغت سامراء على عهده الأوج فى عظمتها، رسامين بيزنطيين لزخرفة الجدران فى قصوره.

لم يتورع هؤلاء عن ادخال صورة من صور الكنائس و الرهبان بين الصور التى رسموها. و يستند فيليب حتى فى هذا الخبر على مقال لأرنست هرتسفيلد شره فى احدى المجلات الالمانية سنة ۱۹۲۷.

و يتطرق الدكتور حتى كذلك الى صناعة الصينى و الخزف عند العرب موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۴۹

فيقول ان من بين النفائس الموجودة فى متحف اللوفر، و المتحفة البريطانية و متحف الآثار العربية فى القاهرة، قطعا فنية رائعة من صنع سامراء و الفسطاط مثل الصحون و الأكواب و المزهريات و الجرار و الأسرجة، المصنوعة للبيوت و المساجد. و قد زينت هذه جميعها بزخارف ذات بريق معدنى أخاذ أو كسيت بطبقات معدنية دقيقة ذات صبغات قزحية. و يذكر، فى صدد البحث عن المبانى التى أنشأها أحمد بن طولون فى مصر، ان هذه المبانى كانت متأثرة الى آخر حد بفن العمارة المعروف فى سامراء التى قضى معظم أيام صباه فيها. و ان شطرا كبيرا من القرآن الكريم قد نقشت آياته بخط كوفى جميل على الأفريز الخشبى الممتد حول داخلية جامع ابن طولون- كما يقول بالاضافة الى ذلك ان المعتصم يعزى اليه تأسيس معامل جديدة للزجاج و الصابون فى سامراء و بغداد، قد أمر بتأسيس معامل للورق فيها أيضا.

هذا و هناك مراجع ثلاثة أخرى عن الفنون الاسلامية، كتب أصحابها عن سامراء و فنها المعمارى بصورة مقتضبة، لكن مرجعنا المذكور فى أعلاه يعتبر أكثرها فائدة و أحدثها فى المعلومات و الاحاطة.

خلفاء سامراء

كانت سامراء، برغم ما صرف على تشييدها و انتقال مقر الخلافة اليها من مال و جهود، قد قدر لها أن تكون قصيرة العمر و ان لا يطول امد الخلافة فيها الا مدة لا تكاد تبلغ الخمسين سنة و نيف (۸۳۳- ۸۸۲).

فقد تربع على كرسى الخلافة العباسية الذى انتقل اليها خلفاء ثمانية فقط، لم يكن أكثرهم سوى آلات مسيرة بأيدى القواد الأتراك، الذين استفحل أمرهم موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۰

بحيث كانوا يعزلون هذا الخليفة و ينصبون غيره بكل ما فى هاتين العمليتين من إذلال و اهانة. و من يدرى فلعل ما أصاب المتوكل و أبناءه من هذا التنكيل:

و ما حل بقصورهم و مرابعهم من خراب و تهديم قبل ان يتمتعوا بها زمنا طويلا، لم يكن الا عقابا من اللّه العزيز القدير، على ما يقول بعض المؤرخين لكونهم انتهكوا حرمة الحسين أبى الشهداء و أبنائه و اضطهدوا آل البيت النبوى الكريم فى كل مكان.

و قد كتب عن هؤلاء الخلفاء عدد يسير من مؤرخى الغرب و كتابهم، من مثل بروكلمان الألمانى، و دائرة المعارف الاسلامية، و سيتون لويد :

و غيرهم. على ان خير من كتب من هؤلاء بصورة موجزة مفيدة المستر ريتشارد كوك فى كتابه المعروف «بغداد مدينة السّلام» . فهو يبدأ بتولى المعتصم ثالث من يتولى الخلافة من أبناء الرشيد و يقول انه سكن فى بداية أمره «الجعفرى» قصر الوزير جعفر البرمكى القديم فى الجانب الشرقى من بغداد، لأنه كان مسكن أخيه المأمون الرئيس من قبل. ثم بنى لنفسه قصرا خاصا فى المخرم و ترك الجعفرى لبوران أرملة المأمون العجوز. على أنه قرر بعد ثلاث سنوات ان يتحرك حركة أخرى كان من نتيجتها ان تحرم بغداد من وجود الخلافة فيها مدة تبلغ ستا و خمسين سنة. فقد كان العباسيون يعتمدون فى تسيير شؤون الأمبراطورية و ضبطها على أناس من أقوالم غريبة، و كان حرسهم الخاص منذ البداية يتألف من جنود ينتمون الى مختلف الأمم الشرقية و من الأتراك وحدهم بعد ذلك.

و قد استعصى أمر هؤلاء فى النهاية حتى أصبحوا أشبه ما يكون بالحرس «البريتورى»، فضج البغداديون من تصرفاتهم الشائنة و سوء سلوكهم. فقرر المعتصم فى أحد الأيام ان يأخذ بمشورة قواده الأتراك و ينقل مقر الحكومة عن بغداد. فوقع اختياره الأول على مكان موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۱

يقع فى أعالى النهر يسمى «القاطول»، ثم غير رأيه بعد هذا فانتخب موقع سامراء، و هى من البلدان التى كانت موجودة قبل الفتح العربى للعراق بالقرب من القصر الصيفى الذى شيده الرشيد له من قبل. و قد بقيت الحكومة فى هذا المكان خلال مدة حكم المعتصم و أخلافه السبعة. و منذ ذلك الوقت فصاعدا لم يعد للمعتصم أى اتصال مباشر بمدينة السّلام، عدا ما قام به بعد ذلك من ارسال البوابة الحديد الكبرى التى اقتلعها جنده المنتصر فى حصار عمورية.

و قد استخدمت هذه البوابة بعد ذلك فى تزيين قصور الخلفاء عند عودتهم الى بغداد من سامراء.

و قد توفى المعتصم سنة ۸۴۲ فأعقبه ابنه هارون فى الخلافة، و لقب بالواثق باللّه. و مما يجدر ذكره هنا ان هذا الخليفة هو محور المؤلف الرومانتيكى المشهور الذى ألفه الكاتب الانكليزى بيكفورد. و كانت شؤون الخلافة مستقرة و مزدهرة فى عهده، لكنه عاش مدة قصيرة لم تؤهله لترك طابع معروف فى ادراتها. و يعتبر موته فى العادة نهاية العصر الذهبى الذى عاشت فيه الدولة العباسية.

و كان خلفه، أخوه جعفر، الذى تلقب بالمتوكل على اللّه، متطرفا فى تأييده لعقيدة السنة، فألغيت بأمر منه فى الحال جميع الأنظمة و التعليمات التحررية التى صدرت فى عهد أسلافه. و بدأت فترة من حكم الارهاب الذى أصابت شروره الشيعة و المعتزلة و اليهود و النصارى على سواء. و أخذ أتباع أحمد بن حنبل يرهبون الناس فى بغداد فكان ذلك بداية القصة الطويلة للفتن الدينية، و عدم التسامح، التى فعل تأثيرها السيء فى الأخير فعله فى مصير مدينة السّلام المحزن. و مما حدث من هذا القبيل ان السكيت، الشاعر

الشيعى المعروف و الشخصية المرموقة فى أيامه تصدى له الحرس الأتراك فقتلوه ذات يوم ركلا و رفسا بالأقدام. كما صدرت مراسيم خاصة باجبار النصارى و اليهود على لبس لباس خاص بهم و معاناة أنواع أخرى من الاهانات.

و لقد كانت شخصية المتوكل من أسوأ الشخصيات و أنحسها، حتى أطلق عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۲

اسم «نيرون العرب». و لما كان بحالة سكر دائم صارت سيطرته على أمور الدولة و شؤونها تتضاءل يوما بعد يوم حتى أدى به الأمر الى أن أقدم على اغتياله الحرس الأتراك بالتواطؤ مع ابنه أحمد، الذى أعقبه فى الحكم باسم «المنتصر باللّه». و كان هذا رجلا عادلا رؤوفا بالناس، لكنه قتل بعد فترة من الحكم دامت ستة أشهر فقط فأعقبه رجل من أبناء عمه يسمى أحمد كذلك، و تلقب بلقب «المستعين باللّه». و ما حل هذا الوقت حتى أصبحت السلطة فى العاصمة بأيدى القواد الأتراك، و باتت الأقاليم وقفا على الحكام من أبناء الأسر الحاكمة فيها التى كان يكاد يقتصر ولاؤها لسامراء على دفع الخراج السنوى فقط.

و قد اضطربت أحوال الثغور الشمالية من جديد، و صار اليونانيون يتجاوزون على الأقاليم الواقعة على الحدود بصورة مستمرة. فسرعان ما وجد المستعين نفسه، و هو على شىء من الجرأة، فى وضع غير محتمل و أخذ يفكر فى وسائل ينقذ فيها العرش من تعسف الأتراك العابثين. و لذلك عوّل على مؤازرة العرب له وفر هاربا من سامراء الى بغداد التى عادت فأصبحت مقرا موقتا للخليفة من جديد. فرد عليه الأتراك بتنصيب خليفة مناوىء له فى عرش سامراء، و هو ابن من ابناء المتوكل اسمه محمد، و لقب «المعتز باللّه». على ان المستعين و مؤيديه أخذوا فى الوقت نفسه يعدون العدة للدفاع عن أنفسهم فى بغداد.

و لأجل ان يقف فى وجه الجيش التركى الذى عرف أنه سيتعقبه من سامراء لا محالة، عمد المستعين فى الحال الى تشييد سور مدور حول المدينة بأسرها فدخلت جسور بغداد الثلاثة فى داخله. فبلغت تكاليف السور الجديد و ما يتبعه من تحصينات حوالى (۰۰۰، ۳۵۰) دينار من الذهب، او ما يعادل (۰۰۰، ۱۶۰) باون استرلينى اليوم. و حينما وصل الجيش الأتراك الرئيس من سامراء خيم فى العراء خارج باب الشماسية، و وجهوا هجماتهم الرئيسة على محلات بغداد الشمالية فى كلا الجانبين. و قد استعملت المدفعية بكثرة لدى الفريقين، على شكل عرادات و مجانيق ثقيلة ركبها المدافعون من الأسوار

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۳

نفسها. و استقام الحصار عدة أشهر من دون أن يؤدى الى نتيجة تذكر، كما وقعت اشتباكات عامة عديدة فى خارج الأسوار أبدى سكان المدينة المحاصرة فيها كثيرا من البطولة و الاستبسال. و كان المستعين قد وعد بوصول نجدات عاجلة له من ايران، لكنه اعتمد فى الدرجة الأولى على أمله فى جمع شمل العرب من حوله مرة أخرى للدفاع عن حقوقهم القومية، غير أن أمله هذا كان عديم الجدوى لأن القوات العربية التى تجمعت فى الأنحاء سرعان ما شتت شملها الأتراك من دون أية صعوبة. و بهذا انتهى الدور الذى كان يلعبه العرب فى الشؤون الأمبراطورية انتهاء قاطعا، و لم يبق لهم أى تأثير فى مصائرها.

و لقد نفد صبر القوات التركية فى هذا الحصار الطويل فعزموا على القيام بضربة حاسمة. و لذلك بادروا الى تطويل خطوط الهجوم من الشرق و الغرب:

و شنوا هجوما عاما من باب خراسان الى باب الأنبار الكائنة فى السور الجديد بالقرب من محلة الحربية حيث يخرج الطريق الرئيس الى سورية. و بصدفة حسنة لهم احترق الجسر الشمالى من جسور بغداد، و فى خلال الفوضوية التى أعقبت ذلك، و ربما بخيانة حصلت فى الأوساط العليا، استطاع المهاجمون الدخول الى المدينة و انتهى الأمر بسرعة، فقد هرب المستعين و قبض عليه فيما بعد و قتل، و عاد الأتراك منتصرين الى سامراء.

و مع ان الحزب السامرائى، و الحرس الأتراك، قد انتصروا انتصارا موقتا فى هذا الكفاح فان سطوتهم قد أخذت تتدهور بوجه عام .. فبعد فترة قصيرة، تعرف من الناحية السياسية بتصدع جبهة الأتراك أنفسهم، قتل المعتز أيضا فى ۸۶۹ لعجزه عن تلبية ما كان يقدمه

الأتراك من طلبات فاحشة.

فتربع على دست الخلافة ابن من أبناء الواثق لقب «المهتدى باللّه». و لما كان المهتدى رجلا يتصف بالنشاط و القابلية فقد بدأ بتسنمه العرش عهد انتعشت فيه الخلافة، لكنه قتل فى (۸۷۰) بسبب آرائه الاصلاحية. و كان قد عرف بكونه آخر خليفة ترأس بنفسه محكمة الاستئناف. فأعقبه رجل من أبناء المتوكل

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۴

بلقب «المعتمد على اللّه». غير ان السلطة فى زمانه كانت بيد أخيه الموفق فى الدرجة الأولى. و قد جعل الموفق، و هو العسكرى المقتدر، مقره فى بغداد ليكون أقدر على النضال ضد حركة الزنج فى العراق الجنوبى. فأعاد هذا الترتيب كثيرا من أعمال الحكومة الى بغداد برغم بقاء الخلافة اسميا فى سامراء.

و قبيل ان يقضى المعتمد نحبه أعلن للملأ عن عزمه على نقل مقر الحكومة الى بغداد مرة أخرى، و ربما كان ذلك بمشورة من أخيه الموفق. و كان قبل سنوات قد زار بغداد من عاصمته سامراء زيارة رسمية فنزل فى الجعفرى الذى كانت تسكنه بوران أرملة المأمون التى كانت قد تجاوزت الثمانين من عمرها. و حينما قضت نحبها جعل هذا القصر مسكنا رسميا للخليفة، و فيه نزل المعتمد عند ما نقل عاصمته من سامراء و هناك قضى نحبه بالسم الذى دسه اليه ابن أخيه الموفق بالتواطؤ مع الحاجب التركى مشكير. فتولى الخلافة بعنوان «المعتضد باللّه».

و نرى من المناسب هنا أن نورد ما يذكره المؤرخ الألمانى بروكلمان فى (تاريخ الشعوب الاسلامية) عن بعض خلفاء سامراء، و نعتبره تعليقا على ما مر ذكره من قول ريتشارد كوك، لما فيه من معلومات أخرى. فهو يقول :

و لم يستطع المنتصر قاتل أبيه ان يحافظ على العرش أكثر من ستة أشهر، بذل خلالها جهودا عقيمة لاستخلاصه لنفسه عن طريق اكراه أخويه المعتز و المؤيد، على التنازل عن ولاية العهد، و من طريق محاسنة العلويين. و بعد أن قتله الأتراك بالسم رفعوا الى العرش ابن أخى المتوكل أحمد المستعين باللّه حتى اذا حكم أربع سنوات لا غير، فقد سلطته التى كانت قد تقلصت فعلا الى طيف من الخيال بسبب النزاع المستمر بين أمراء الجيش الأتراك.

فقد اضطر بغا، الذى كان له فضل تنصيبه خليفة، الى ان يفر معه من وجه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۵

الخصوم الى بغداد، فى حين رفع المعتز الى عرش الخلافة فى سامراء. و حاول محمد بن عبد اللّه بن طاهر الذى كان المستعين قد عينه أميرا على العراق و المدينتين المقدستين ان ينجد سيده المحاصر فى بغداد، و لكنه لم يلبث بعد خلاف نشب بينه و بين بغا ان انقلب عليه، و هكذا لم يعد فى ميسور المستعين ان يثبت فى بغداد، فاضطر الى خلع نفسه فى كانون الثانى سنة ۸۶۶ ليقتل فى تشرين الأول من السنة نفسها فى واسط.

و حاول المعتز ان يتخذ من حرسه المغاربة أداة لمقاومة الأتراك الذين كان لهم على كل حال الفضل فى ارتقائه كرسى الخلافة. و لكن الأتراك لم يلبثوا بعد ثلاث سنوات و نصف ان خلعوه عن العرش لعجزه عن سد حاجتهم الملحة الى المال. و الحق ان خلفه محمد المهتدى باللّه ابن الواثق سعى عبثا الى اجتناب مصير أسلافه، فاختصر نفقات القصر الملكى لكى يعيد الى الجهاز المالى المضطرب شيئا من النظام الذى فقده. و أيا ما كان، فقد قتل فى معركة ضد موسى بن بغا، و هو لما يتم السنة الأولى من ولايته.

و نضيف الى هذا ما جاء فى تاريخ ابن العبرى عن الخليفة ابن المعتز، لما فيه من غرابة و طرافة فى الوقت نفسه. فقد جاء فيه: .. فلما بايع المستعين للمعتز وجهه الى البصرة و منها الى واسط و تقدم بقتله و حمل رأسه الى المعتز فقال ضعوه حتى أفرغ من الدست. فلما فرغ نظر اليه و أمر بدفنه. و فى هذه السنة حبس المعتز المؤيد أخاه ثم أخرجه ميتا لا أثر فيه و لا جرح، فقيل أنه أدرج فى لحاف سمور و أمسك طرفاه حتى مات .. و فى سنة ۲۵۵ صار الأتراك الى المعتز يطلبون أرزاقهم فماطلهم بحقهم، فلما رأوا انه لا يحصل

منه شيء دخل اليه جماعة منهم فجروا برجله الى باب الحجرة و ضربوه بالدبابيس و أقاموه فى الشمس فى الدار و كان يرفع رجلا و يضع رجلا لشدة الحر. ثم سلموه الى من يعذبه فمنعه الطعام و الشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۶

سردابا و جصصوا عليه فمات. و كانت خلافته من لدن بويع بسامراء الى أن خلع اربع سنين و سبعة أشهر (و كان عمره ۲۴ سنة) .. و بعد قتل المعتز طلبت أمه الأمان لنفسها فأمنوها و ظفروا لها بخزائن فى دار تحت الأرض و وجدوا فيها ألف ألف دينار، و ثلاث مئة ألف دينار، و مقدار مكوك زمرد و مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار و مقدار كيلجة من الياقوت الأحمر. و كان طلب منها ابنها المعتز مالا يعطى الأتراك فقالت: ما عندى شيء. فسبوها و قالوا: عرضت ابنها للقتل فى خمسين ألف دينار و عندها هذا المال جميعه.

ما كتبه السرجون غلوب عن خلفاء سامراء

و فى الكتاب الذى كتبه السر جون غلوب (غلوب باشا) بعنوان:

(امبراطورية العرب) بحث طريف، فيه الكثير من العبر، عن هؤلاء الخلفاء. فهو يكتب عن الخليفة المعتصم و نشاطه اولا، و عن الواثق و المتوكل ثانيا. و يحلل تحليلا رائعا ثورة بابك الخرمى فى ايران على الخلافة الاسلامية فى بغداد و سامراء، و حملة المعتصم على عمورية و فتحها. كما يحلل وضع المتوكل و أحواله الذى أدت الى ان يتواطأ ابنه المنتصر مع بعض الأتراك على قتله.

فهو يقول عن المعتصم، بعد ان يذكر ما يذكره غيره من المؤرخين عن استفحال وضع الأتراك فى بغداد و عزم المعتصم على نقل العاصمة الى سامراء بسببهم، انه لما كان مولعا بتشييد الأبنية و الزراعة فقد انصرف بكل ما عنده من نشاط الى تشييد القصور، و انشاء الحدائق، و غرس البساتين:

و تنظيم المزارع، لعاصمته الجديدة. و كان هو رجلا ذا قوة جسمية عظيمة، و شكل مؤثر فى النفس، و شجاعة شخصية فائقة. على أنه كان الى جنب ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۷

قليل الثقافة و التعلم، على نقيض ما كان عليه أخوه المأمون.

ثم يأتى على قصة بابك الخرمى و ثورته و يقول أنه اعلنها على الفوضوية التى انتشرت بسبب النزاع الذى احتدم بين الأمين و المأمون، و ما آل اليه من قتل الأمين. و لم تستطع الحملات التى شنت عليه اخضاعه و القضاء على ثورته حتى جاء المعتصم و عزم على حسم الأمر و تصفيته، فكلف قائده حيدر الأفشين بالأمر فتم له ذلك و جيء ببابك مكبلا الى سامراء. و فى هذا الشأن يقول المستر غلوب أنه أخضع فى الأخير سنة ۸۳۷، بعد ان هوجمت قلعته و أحرقت الى الأرض و سيق الى سامراء مكبلا بالسلاسل. و قد جعل يوم وصوله اليها يوما مشهودا ابتهجت به الناس من جميع الطبقات. و قبل ان يعدم ألبس أحسن الملابس الحرير، و وضع التاج فوق رأسه، و طيف به فى الشوارع على ظهر فيل حتى أخذ الى قصر الخليفة. و هناك جرّد من ألبسته الفاخرة بحضور الخليفة، و قطعت يداه و رجلاه، و صار ينخس بالسيف ببطء حتى يدخل الى جوفه من دون أن يمس الأعضاء المهمة فيه ليطول أمد تعذيبه. لكنه تحمل كل ذلك تحملا- شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، من دون ان يبدو منه أى صوت أو تألم. ثم قطع رأسه و بعث به الى بغداد، بينما علق جسده الخالى من الرأس مسمرا على عمود خشبى فى سامراء. فبقى المكان الذى علق فيه يسمى «خشبة بابك» الى ما بعد قرن من الزمن. و يقول غلوب ان المؤرخين العرب يذكرون ان بابك ينسب اليه قتل مئتى ألف نفس خلال المدة التى ظل ثائرا فيها. و حينما استولى جيش الخلافة على قلعته وجد فيها سبعة آلاف امرأة مسلمة و طفل يشتغلون مثل العبيد.

و يشير بعد ذلك الى ان المعتصم الفعال استطاع كذلك أن يجرد عددا من لحملات المظفرة، و يفرض حكمه، على البلاد الجبلية البعيدة مثل طبرستان طخارستان و كابل و قندهار. ثم يأتى على ذكر حملة عمورية فيقول ان بابك حينما زحف عليه الأفشين من

سامراء اتصل بثيوفيل امبراطور بيزنطة، ج ۱- سامراء (۱۷)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۸

و حرضه على مهاجمة الثغور الاسلامية لأن جيوش الخليفة كانت منشغلة بجبهته معظمها. فاغتنم ثيوفيل الفرصة و سار على رأس جيش عرمرم، عدته سبعون الف جندى، الى الحدود السورية، و قد حاصر فى صيف ۸۳۷ زبطرة، الكائنة على بعد ثلاثين ميلا من جنوب ملاطية، فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الاسلامية ما تزال فى أذربايجان. و لما كانت للمعتصم علاقة عاطفية بزبطرة هذه، لأنه كان قد ولد فيها حينما كان والده الرشيد مصطحبا أمه فى إحدى حملاته إلى هناك، فقد طلب الى ثيوفيل أن يرأف بأهلها و لا يتعرض بها. لكنه لم يتجاهل طلب الخليفة حسب، و انما عاملها، معاملة صارمة قاسية على الأخص. فقد غزاها غزوة عنيفة و هدمها بأكملها الى الأرض، و سبى اكثر من ألف امرأة مسلمة منها عدا الأطفال، بعد ان قتل الرجال كلهم. و ارتكب اعمالا فظيعة أخرى فى البلاد المحيطة بها.

و ما ان وافت هذه الأنباء الى سامراء حتى بادر المعتصم فى الحال الى نصب معسكره فى الجانب الغربى من دجلة و نشر راياته استعدادا للزحف و الانتقام. و قد دعى الرجال لذلك من جميع البلاد العربية ايضا، بالاضافة الى الوحدات التركية الجاهزة. و فى صيف ۸۳۸ سار المعتصم على رأس أكبر جيش قاده خليفة من الخلفاء حتى ذلك اليوم. فقد كانت عدته على ما يقول المسعودى مئتى الف جندى على الأقل. فعبر هذا الجيش اللجب جبال طوروس برتلين اثنين، أحدهما يقوده الخليفة نفسه عن طريق الساحل، و الآخر بقيادة الأفشين الذى ترتب عليه عبور الجبال من ممر الحدث.

و كان العرب على ما يبدو قد حذقوا أسرار النار الأغريقية التى كانت قد أنقذت القسطنطينية من قبل حينما هاجمها معاوية و سليمان بن عبد الملك من بعده. فقد سارت مع جيش المعتصم وحدات خاصة لهذا الغرض. و بعد ان عبر العرب طوروس فى ۸۳۸، تسلم الامبراطور البيزنطى تقريرا من رجال استخباراته بأن رتلا عربيا آخر- هو رتل الأفشين- يقوم بعبور السلسلة الجبلية فى الحدث، فصمم على مهاجمته فى الحال قبل ان يجتمع الرتلان فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۵۹

أنقرة كما تم الاتفاق عليه، و اتخذ ما يلزم لذلك.

على ان المعتصم علم بما عزم عليه الأمبراطور، و لم يستطع عمل شىء لأشغاله فى تلك الظروف، لكنه بعث الى الأفشين يحذره مما عزم عليه العدو و قبل ان يصل الى الافشين التحذير فاجأه الامبراطور بالهجوم، لكنه بعد ان ارتبك بعض الارتباك أعد عدته فكر عليه بهجوم مقابل و دحر الجيش البيزنطى شر اندحار. فأدى ذلك الى تقهقره أمامه من دون انتظام، و كان ذلك فى أواخر حزيران ۸۳۸.

و بعد ان التقى الرتلان العظيمان فى انقرة زحف الجيش العربى بكامله على عمورية، التى صادف ان كانت هى بدورها المحل الذى ولد فيه الامبراطور ثيوفيل نفسه، أو بلدة أسرته الأصلية. و لذلك عزم المعتصم على تهديمها و ازالتها من الوجود. و بعد ان اندحر الجيش البيزنطى هوجمت عمورية، بعد ان هدمت اسوارها و حوصرت خمسة و خمسين يوما. و يقول المؤرخون العرب، على ما يذكر غلوب، ان ثلاثين ألف امرأة و طفل تم سبيهم فى تلك المعركة. و هكذا اقتص المعتصم للشناعات التى كان قد ارتكبها ثيوفيل فى زبطرة.

و يصف المستر غلوب الخليفة الواثق، الذى تولى بعد ابيه المعتصم، بكونه مسالما هادئا على عكس أبيه فى أمور كثيرة. و لذلك ترك شؤون الحكم و الخلافة الى وزيريه محمد الزيات و أحمد بن أبى داود. و قضى وقته كله فى سامراء من دون ان يزور الأقاليم أو يترأس الحملات العسكرية. لكنه كان مثقفا مثل عمه المأمون و ميالا الى حرية التفكير. و قد كان يهتم على الأخص بآل على بن أبى طالب (ع)، و يساعدهم ماليا فيخصص لهم المخصصات و الرواتب. اما المتوكل الذى ولى بعده فقد كان على العكس من ذلك، فقد اضطهد الشيعة، و الأقليات غير المسلمة اضطهادا يذكره المؤرخون الغربيون جميعهم على الأخص. و لذلك هدم قبر الحسين

(سنة ۸۵۰ م) و منع زيارته،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۰

كما سبق ان أتينا على ذكره فى مناسبات عدة من قبل. و يقول المستر غلوب كذلك ان حياطين الشوارع و المساجد كانت فى عهده تمتلىء خلال الليل بكتابات خلاصتها النيل منه و رميه بالكفر و الألحاد.

اما قضية قتل المتوكل فيقول مؤلفنا البارع هذا أنه كان عند أول توليه الخلافة قد رشح لها ابناءه الثلاثة من بعده، يتسلسلون واحدا بعد آخر تبعا لأعمارهم. فكان من المنتظر ان يكون المنتصر ولى عهده، و المعتز من بعده، و أخيرا المؤيد. لكن المتوكل كان مغرما على الأخص بأم المعتز ابنه الثانى:

و كانت أمة يونانية تسمى السيدة قبيحة (لجمالها)، حتى أنه نظم أبياتا من الشعر بحقها فى عدة مناسبات. و لذلك كانت مسيطرة عليه الى درجة استطاعت بها ان تؤثر عليه و تقنعه بتولية ابنها المعتز من بعده، بعد ازاحة أخيه المنتصر (الأكبر) عن طريقه. فبادر المتوكل الى تنفيذ هذا و طلب الى ابنه المنتصر ان يتنازل عن حقه فى ولاية العهد، لكنه رفض ذلك و أصر على موقفه فى هذا الشأن. و صار أبوه يحقره و يستهزىء به فى مجالسه، و بنتيجة اصرار السيدة (قبيحة) الجميلة عليه دعى المنتصر الى مجلسه فى النهاية و أخبره بأنه أصدر الأوامر اللازمه بعزله عن ولاية العهد.

و مع ان هذا العمل لم يولد أزمة مخطرة فى بادىء الأمر، و لم يحدث توترا فى الحال، فقد ثبت انه حادث جر الوبال على المتوكل فى النتيجة. فقد سبق ان بدأت الدسائس فى جو سامراء السياسى، و لا سيما بين الضباط الأتراك، و الأوساط الرسمية العليا، إذ كان بعضهم يحسد بغا الشرابى، الذى كان يعد أقوى رجل فى البلاط العباسى يومذاك و أول رجل يضع المتوكل ثقته فيه، لأنه كان مملوكا تركيا عاديا و نادلا فى القصر الملكى. و بالنظر لمزاياه و قوة شخصيته تدرج فى الوظائف فأصبح ذا منزلة عالية فى الحقيقة.

و هنا ازدادت مخاطره، و أخذ مناوئوه يوغرون صدر الخليفة عليه، لا سيما

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۱

و قد كان فى وضع متهىء لذلك بالنسبة للحياة الداعرة التى كان يحياها، و لاهمال شؤون الخلافة و الحكم الذى كان يبديه.

و قد شاءت العناصر المغرضة فى بلاط سامراء ان تلعب على الطرفين:

فوجهت أخباريات غفلا من التوقيع تنبىء بغا بأن الخليفة يعد العدة لقتله بصورة سرية، كما وجهت اخباريات أخرى مثلها الى المتوكل تخبره بأن بغا عازم على اغتياله. و قد صادف ان حصل الخلاف بين المتوكل و ابنه المنتصر فى هذا الوقت المشحون بالدس و التوتر. و لما كان بغا ينتظر شرا من المتوكل فى أى وقت كان فقد قرر ان يسبقه الى العمل و يتغدى بالخليفة قبل ان يتعشى هو به. فصادف فى إحدى الأمسيات ان كان المتوكل فى مزاج ممتاز، و كان طلقا فى الكلام و الحديث مع الحاضرين فى مجلسه. و ازداد ثملا بالشراب كلما تقدمت الأمسية و مرت ساعاتها، و ظل يطلب مزيدا من الشراب، أو أن بغا ظل يسقيه قدحا بعد آخر عن عمد و تدبير مسبق. و حينما انسحب معظم أفراد الحاشية الى مخادعهم بتقدم الليل، و لم يبق سوى بغا و الفتح بن خاقان، دخل الى الغرفة فجأة خمسة رجال من الأتراك يحملون سيوفا مسلولة بأيديهم، و كانت النتيجة ان قتل الخليفة و صاحبه المقرب الفتح بن خاقان و أصبحا جثتين هامدتين فى بركة من الدماء.

و سارع بغا بعد ذلك الى داخل القصر ليأتى بولى العهد، المنتصر، و ينصبه فى مكان أبيه القتيل. فصادفه قادما الى محل الحادث، و سلم عليه بالخلافة.

و عند ذاك دعى الخدام و رجال الحاشية على عجل و طلب اليهم ان يبايعوا الخليفة الجديد. و فى صباح اليوم التالى، ۱۱ كانون الأول ۸۶۱، اجتمع جمع من الناس خارج القصر فى سامراء و طالبوا بتنصيب المعتز لكن المعتز لم يمكن العثور عليه لأنه كان قد ألقى الأتراك القبض عليه خلال الليل و وضعوه فى السجن. و بذلك أصبح بغا مسيطرا على الوضع سيطرة تامة، و غدا المنتصر أميرا

للمؤمنين ما دام الأتراك راضين عنه على الأقل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۲

الروضة العسكرية المطهرة

ان أقدم من يشير الى وجود الروضة العسكرية المطهرة فى سامراء من المراجع الحديثة محرر و دائرة المعارف الاسلامية (غير المختصرة) المطبوعة فى لايدن بهولاندة سنة ۱۹۱۳. فقد جاء فيها قولهم: .. و قد حل الخراب فى معظم هذه الأبنية و القصور منذ القرن العاشر للهجرة، و لم يستقم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، و من أجل هذا عرفت تلك المنطقة من سامراء باسم «العسكر». و قد أدى تمسك الشيعة بأئمتهم المعصومين الى الاحتفاظ هناك بقبر امامهم الحادى عشر ابى محمد الحسن الملقب بالعسكرى لأنه توفى فى سامراء سنة ۲۶۰ ه، و بكهف الغيبة الذى اختفى فيه ابنه أبو القاسم محمد المهدى خليفته اليافع سنة ۲۶۴ (۸۷۸ م) و المعروف ان زوار الشيعة ظلوا خلال الألف السنة الأخيرة يزورون سرداب سامراء معتقدين بأن الامام المهدى سيعود الى الظهور هناك فى آخر الزمان.

غير اننا لا حظنا ان هذا المرجع لا يتطرق بشيء الى ذكر الامام الهادى عليه السّلام، و لا الى ضريحه المقدس.

و يشير الى ذلك ايضا العلامة المستشرق لسترنج فى كتابه ، الذى مرت الأشارة اليه، فيقول: .. اما ما هو احدث من ذلك من مراجع، فلم يزدنا علما بسامراء الا قليلا. ثم صار جل أهل سامراء من الشيعة، إذ أن فيها ضريحى الامامين العاشر و الحادى عشر: على الهادى و ابنه الحسن العسكرى و فى جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه سنة ۲۶۴

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۳

(۸۷۸ م) و هو القائم المهدى المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان. و يقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بعسكر المعتصم. و الى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالعسكرى. و فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى، و هو شيعى، ذكر هذه المراقد بوجه خاص و قال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المراقد، فضلا عن منارته العظيمة التى أشرنا اليها، حوضا مشهورا من حجر، يعرف بقصعة فرعون محيطها ثلاث و عشرون خطوة و ارتفاعها سبع أذرع و ثخنها نصف ذراع، قائمة فى صحن الجامع للوضوء. و قد أمر الخليفة المعتصم بعملها. و زاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء استولى عليها الخراب و لم يبق من المدينة الا قليل. و أيد هذا القول وصف ابن بطوطة له، و قد زار سامراء سنة ۷۳۰ (۱۳۳۰ م).

و نذكر بمناسبة ذكر القصعة ان كتاب (الحوادث الجامعة) يذكر فى (الص ۳۰۶) انها حملت سنة ۶۵۳ ه «من سر من رأى الى بغداد فى كلك، و رفعت تحت دار الخليفة، و كانت عظيمة جدا، فلم تزل الى سنة سبع و خمسين و ست مئة، ثم كسرت». و يعلق الدكتور مصطفى جواد على ذلك بقوله ان هذا الخبر يدل على ان المستوفى لم ير القصعة فى سامراء، بل نقل خبرها لأنها لم تكن باقية فى زمانه.

اما المسترسيتون لويد، فيشير الى وجود الضريحين المطهرين اشارة عابرة فى (مدن العراق الأثرية) المشار اليه قبل هذا. فهو يقول: .. و هى تحتوى على ضريح امامين من الأئمة الاثنى عشر، و مزار خاص بالامام الثانى عشر، المهدى، الذى اختفى هنا فى كهف تحت الأرض. و ان الباب الذى يسمى «باب الغيبة»، و الذى ينتظر ان يمر منها ثانية عند ظهوره فى آخر الزمان، محفوظة فى سرداب يقع تحت القبة الذهب الكبرى فى سامراء. و هى نموذج يلفت النظر لأشغال الحفر التى تعود الى القرن الرابع عشر، و قد رممت مؤخرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۴

و تعليقا على ذلك نقول ان هذا الباب قد نقل بعد ذلك الى جناح الآثار العربية من المتحف العراقى الجديد فى بغداد، و ما يزال موجودا فيه. و لا بد لنا من ان نشير كذلك الى ان سرداب الغيبة الذى يعتقد سيتون لويد، و غيره من الكتاب الغربيين مثل هرتسفيلد،

انه تحت القبة الذهب الكبرى هو فى الحقيقة تحت القبة الثانية غير المذهبة كما لا يخفى.

و يذكر سيتون لويد علاوة على ذلك ان إحدى أبواب مدينة سامراء القديمة قد أعيد بناؤها و وسعت فجعل منها متحف صغير على الطراز الحديث.

و قد حفظت فيه خرائط و تصاوير سامراء القديمة على ما يقول، مع نماذج من اللقى التى وجدت بين ما عثرت عليه مديرية الآثار القديمة فى تنقيباتها.

سامراء فى كتاب دونالدسون

لقد أفرد الدكتور دوايت دونالدسون المبشر الانكليزى الذى عاش فى ايران سنين عديدة أربعة فصول غير قصيرة (التاسع عشر و العشرون و الحادى و العشرون و الثانى و العشرون) عن سامراء و الأئمة الأطهار الثلاثة عليهم السّلام:

على الهادى و الحسن العسكرى و الحجة المهدى.

و بفصله الخاص بسامراء يبدأ بالحديث عن موقعها و بنائها من قبل المعتصم، و عن الجامع الكبير فيها، و استبداد القادة الأتراك بحكمها، مما سبق ان أتينا على ذكره مرات عدة. ثم يتابع بحثه بالقول ان الخلفاء فى سامراء قد اشغلوا أنفسهم ببناء قصر بعد آخر فى جانبى دجلة، فكلفهم ذلك شيئا لا يقل عن (۲۰۴) ملايين درهم بعملة تلك الأيام. و يتطرق خلال هذا الى ان شجرة سرو عظيمة اشتهر ذكرها فى «الشاهنامة» بكونها كانت قد نمت من غصن موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۵

جاء به زرادشت من الجنة، كانت موجودة فى قرية كيشمار بالقرب من تورشيز فى ايران. و قد زرعها تخليدا لذكرى اعتناق الملك كوستاشب الديانة المجوسية، و صارت الزلازل بوجودها لا تؤثر فى تلك القرية بينما كانت تنتاب المنطقة بأسرها بين حين و آخر فتهدمها تهديما. و يذكر القزوينى، على ما يقول دونالدسون، ان الخليفة المتوكل أمر فى سنة ۲۴۷ (۸۶۱ م) بأن تقطع هذه الشجرة الباسقة و تنقل عبر ايران كلها، فتحمل على ظهور الابل فى قسم من المسافة، من أجل ان يستفاد منها فى بناء قصره الجديد فى سامراء. لكنها حينما وصلت اليها كان المتوكل قد قتل بتحريض من ابنه. و يشير دونالدسون بعد هذا الى ان المستوفى، الميّال للشيعة، يذكر ان المتوكل قد اقتص منه العدل الالهى فقتله ابنه و تهدمت قصوره فغدت خرائب تنعق بها البوم لأنه أوعز بتهديم قبر الحسين عليه السّلام فى كربلا و منع الزوار من زيارته ردحا من الزمن. كما يذكر ان سامراء لم يبق مسكونا منها حينما زارها سوى قسم قليل جدا.

و هذا القسم المحدود الذى وجده المستوفى مسكونا فى القرن الرابع عشر للميلاد، يقارب سامراء المعروفة اليوم فى حجمها و اتساعها على ما يقول دونالدسون، و هى التى كانت جزءا من «معسكر المعتصم». و هنا سمح للامام على النقى و ابنه الحسن بالعيش مدة من الزمن، و لذلك سمّيا بالعسكريين، و هنا دفنا كذلك. و يذكر دونالدسون فى الحاشية ان الشهرستانى يقول بأن الامام على النقى (الهادى) عليه السّلام مدفون فى قم، ثم يعلق على ذلك بقوله ان هذا من قبيل الروايات المغلوطة. و يتابع البحث فيقول ان سامراء هذه تقع على بعد عدة خطوات من جدران جامع الجمعة الكبير، و هذا يتفق مع ما أورده المستوفى من أن ضريح الامام على النقى، حفيد الامام الرضا، و ضريح ابنه الحسن العسكرى يقعان فى قبالة الجامع المذكور. و تدل الدراسات الآثارية اليوم على أن سامراء مدينة الخلفاء كانت أوسع من البلدة الحالية بكثير .. كما تدل اللقى الآثارية على ان لها قيمة خاصة لدارسى الفن

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۶

الاسلامى فى مختلف العصور، لأنها تعود الى الحقبة التى كانت فيها مدينة الخلافة العباسية تشع بنورها على العالم.

و فى القسم الباقى من سامراء اختفى الامام المهدى- محمد بن الحسن العسكرى- على ما يقال، و يقول المستوفى ان ذلك وقع فى سامراء سنة ۲۶۴ (۸۷۸ م). هذا و أن السماح للطائفة الشيعية بأن تجعل مقرها، بعد سقوط البويهيين، فيما يقرب من الحلة حيث تسنى لهم ان يفاوضوا هولاكو خان بعد استيلائه على بغداد للمحافظة على العتبات، قد أدى الى نشوء فكرة ان الامام المنتظر سيظهر فى

تلك المدينة (الحلة). و الى هذا يعزى ما يلاحظ من ارتباك فى رواية ابن بطوطة (۱۳۵۵) الذى شاهد مزارين أقيما للامام المهدى: أحدهما فى سامراء و الآخر فى الحلة. لكن الحقيقة هى ان «جامع آخر الأئمة» فى الحلة يدل على المكان الذى ينتظر ان يظهر فيه، اما مكان اختفائه فهو فى قبة ضريحى الإمامين العسكريين (ع) و جانب من الصحن الكبير و قبة الغيبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۷

سامراء .

و تعد مدينة سامراء الحديثة فى نظر الشيعة اليوم ذات أهمية فائقة لوجود المشهدين اللذين احتفظ بهما فى أحسن حال. و تعلو مشهد الامامين العسكريين القبة الذهب التى بدأ بتشييدها ناصر الدين شاه و أكمل بناءها مظفر الدين شاه سنة ۱۹۰۵ و توجد تحت هذه القبة أربعة قبور مطهرة هى: قبرا الامامين على النقى و ابنه الحسن العسكرى، و قبرا السيدتين القريبتين لهما. و إحداهما حليمة أخت الامام على النقى التى روت الظروف التى أحاطت بولادة الامام الغائب، و الأخرى نرجس خاتون أم الولد المسيحية والدة الامام الذى اختفى فى الخامسة (او التاسعة) من عمره. اما المشهد الثانى ففيه المكان الذى اختفى به عن الأنظار، و له قبة تمتاز بدقة تصميمها و زخرفتها بالقاشانى الأزرق.

و يقع تحتها سرداب الغيبة، الذى ينزل اليه الزوار عن طريق سلم طويل خاص.

ثم يورد الدكتور دونالدسون فى هذا الفصل ترجمة للزيارة التى يقرأها الزوار عند دخولهم الى سرداب الغيبة، بعد ان يذكر موجزا لآداب الزيارة المعروفة، و يستغرق ذلك ما يقارب الأربع صفحات، و قد جاء بذلك نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية، تحت كلمة «الاثنا عشرية».

و فى مستهل الفصل الذى يتكلم فيه على الامام الهادى عليه السّلام يستطرد دونالدسون بمقدمة تاريخية يقول فيها ان النصف الأول من القرن التاسع للميلاد خضعت فيه روما و القسطنطينية و بغداد الى طغيان العناصر الأجنبية عليها .. و قد اضطر ثيوفيل (۸۲۹- ۸۴۲) الى الاحتفاظ بسطوته، و المجازفة بامبراطوريته، باستخدام جيوش ايرانية و أرمنية. و على الشاكلة نفسها اضطر المأمون و المعتصم و اخلافهما الأقربون، فى بغداد، الى أن يضعوا جل اعتمادهم على جيوش تركية مستأجرة خلال الحقبة نفسها خوفا من مؤامرات العناصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۸

الاسلامية المتخاصمة. و لأجل ان يزيدوا فى السلامة و الأمان أسسوا مدينة عسكرية جديدة فى سامراء، على بعد ستين ميلا من شمال بغداد، و جعلوا مقرهم فيها. و لكن ما مر وقت طويل على هذا حتى أخذ القادة الأتراك، الذين استطاعوا القضاء على ثورات اسلامية عديدة، ان يملوا ارادتهم على الخلفاء و أصبحوا الحكام الحقيقيين فى البلاد، بينما بقى الخلفاء أنفسهم ألعوبة فى «سجن» المدينة التى أنشأوها. و فى مثل هذا الوقت الذى كانت السلطة الاسلامية تنتقل فيه بسرعة الى أيدى الأتراك ولد الامام العاشر، على النقى، و عاش.

الأمام الهادى عليه السّلام

لقد عنون الدكتور دونالدسون هذا الفصل بعنوان «على النقى، السجين لعشرين سنة». و بعد المقدمة السابقة، يتابع بحثه عن الأمام و يقول ان سنة ميلاده مختلف فيها، فهى اما سنة ۸۲۷ او سنة ۸۲۹، و اذا اعتبرنا ان ولادته كانت فى ۸۲۷ م فيكون قد تجاوز سبع سنوات من عمره حينما توفى والده. و كانت أمه على ما يقول الرواة أم ولد تدعى سمانة المغربية، لكن صاحب «المشكاة» يذكر أن اسمها سوسن و أنها كانت تسمى درة المغربية، مما يدل على أنها كانت من أسرى إحدى الأمم المسيحية.

و حينما شب الأمام و ترعرع عاش فى المدينة و أشغل نفسه بالتعليم و التعبد. فصار يجتذب الناس اليه باعداد كبيرة تدريجيا، و لا سيما من الأقاليم التى كان يكثر فيها شيعة آل البيت مثل العراق و أيران و مصر.

و فی خلال السبع او الثمان سنوات التی بقیت من خلافة المعتصم بعد وفاة الأمام محمد الجواد، و فی طوال السنوات الخمس التی تولی فیها الخلیفة الواثق من بعده لیس هناک ما یدل علی أن الأمام قد مسه أحد بسوء أو اعتدی علیه. و من الأحادیث التی تنسب روایتها له، و کان قد کتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۶۹

فی «الصحیفة» بخط علی بن ابی طالب و أملاء رسول اللّه، و توارثته الأئمة جیلا بعد جیل، ان الرسول علیه الصلاة و السّلام کان قد حدد الأیمان و وصفه بکونه موجودا فی قلوب الرجال، و ان أعمالهم تنم علیه.

علی أن خلافة المتوکل ما أن بدأت حتی حدث فی أثنائها رد فعل بارز ضد حریة الرأی و التفکیر، و وضعت الخطة لاضطهاد منظم ضد المعتزلة و الشیعة و لم یسلم منه سوی السنّة الأقحاح. و فی سنة ۸۵۱ م، حینما کان الأمام فی الخامسة و العشرین من عمره، أمر المتوکل بحظر الزیارة لضریحی الأمامین علی و الحسین علیهما السّلام. و فی ذلک العهد نقض المشهد الحسینی المطهر و دمر عن آخره.

و فی هذا العهد کذلک أصبح الخلیفة ینظر الی الأمام الشاب بعین الشک و الارتیاب. غیر ان الأمام استطاع ذات یوم ان ینقذ نفسه، علی ما یقول المسعودی، بجواب بارع أجاب به علیه السّلام المتوکل حینما وجه له سؤالا محرجا. فقد سأله «ماذا یقول المتحدرون من نسل أبیک بالعباس بن عبد المطلب؟» فرد علیه الأمام یقول «ماذا یقول المتحدرون من صلب ابی، یا أمیر المؤمنین، فی رجل أمر اللّه الناس بأطاعة أولاده:

و ینتظر من أولاده ان یطیعوا اللّه؟» فسر الخلیفة من هذا الجواب و أمر بأن یعطی الأمام مئة ألف درهم.

و یروی المسعودی بالمناسبة نفسها حادثة أخری اوردها المبرد فی الأصل، و ذکرها ابن خلکان فی وصفه للأمام علی النقی. و هی أن الأمام قد سعی به عند المتوکل، و قیل: إن فی منزله سلاحا و کتبا و غیرها من شیعته. و أوهموه أنه یطلب الأمر لنفسه: فوجه الیه بعدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۰

من الأتراک لیلا فهجموا علیه فی منزله علی غفلة، فوجدوه وحده فی بیت مغلق، و علیه مدرعة من شعر، و علی رأسه ملحفة من صوف، و هو مستقبل القبلة، یترنم بآیات من القرآن فی الوعد و الوعید، لیس بینه و بین الأرض بساط الا الرمل و الحصی. فأخذ علی الصورة التی وجد علیها، و حمل الی المتوکل فی جوف اللیل. فمثل بین یدیه، و المتوکل یستعمل الشراب، و فی یده کأس. فلما رآه أعظمه و أجلسه الی جانبه.

و قیل له: لم یکن فی منزله شیء مما قیل عنه، و لا حبالة یتعلق علیه بها.

فناوله المتوکل الکأس التی کانت بیده فقال: یا أمیر المؤمنین ما خامر لحمی و دمی قط، فاعفنی فأعفاه.

و قال له:- أنشدنی شعرا استحسنه.

فقال:- أنی لقلیل الروایة للشعر.

قال:- لا بد ان تنشدنی، فانشده:

باتوا علی قلل الأجبال تحرسهمغلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهمفاودعوا حفرا یا بئس ما نزلوا

ناداهم صائح من بعد ما قبرواین الأسرة و التیجان و الحلل

أین الوجوه التی کانت منعمةمن دونها تضرب الاستار و الکلل

فأفصح القبر عنهم حین ساءلهمتلک الوجوه علیها الدود یقتتل

قد طال ما أکلوا دهرا و ما شربوافأصبحوا بعد طول الأکل قد أکلوا

قال:- فأشفق من حضر على علىّ، رضى اللّه عنه. و ظن ان بادرة تبدر اليه. فبكى المتوكل بكاء شديدا حتى بلت دموعه لحيته، و بكى من حضر. ثم أمر برفع الشراب.

ثم قال:- عليك يا أبا الحسن دين؟

قال:- نعم أربعة الآف دينار.

فأمر بدفعها اليه، ورده الى منزله مكرما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۱

هذا و ينقل عن يحيى بن هرثمة، قائد الحرس، انه روى كيفية إيفاده الى المدينة للأتيان بالأمام الى سامراء على الوجه التالى، قال: بعثنى الخليفة المتوكل الى المدينة و أمرنى بأن آتى بعلى بن محمد ليجيب على بعض الاتهامات التى اتهم بها. و حينما وصلت الى بيته تعالى النحيب و العويل بشكل لم أسمع مثله مطلقا من قبل. فحاولت تهدئتهم و أكدت لهم بأننى لم أتلق أى أمر ينطوى على إيذائه أو المس به. و عند ما فتشت الدار التى كان يعيش فيها لم أجد سوى قرآن، و كتب للأدعية و ما أشبه. و لذلك عرضت عليه خدماتى حينما أخذته و أبديت له غاية الأحترام.

و قد حدث ذات يوم خلال الرحلة، حينما كانت السماء صافية و الشمس على وشك الطلوع، ان وضع علىّ عباءته على رأسه بينما كان يمتطى صهوة جواده و عقد ذيل الحيوان. فتعجبت من ذلك، غير أننا ما عتمنا حتى رأينا غمامة تتوسط السماء، ثم أخذت تصب مدرارا من مطرها. و عند ذاك التفت إلى على و قال «أنى أعلم بأنك لم تفهم ما رأيتنى أفعله، و أنك تتصور بأنى كان عندى معرفة خارقة بهذا الأمر. ان الأمر ليس كما تظن، لكننى كنت قد نشأت فى البادية و أصبحت على علم تام بالرياح التى تسبق هطول المطر. و قد هب الريح هذا الصباح بصورة لم تجعل مجالا للشك، و شممت رائحة المطر فتهيأت له.»

ثم يتابع هرثمة سرد القصة فيقول: و عند وصولنا الى بغداد كانت زيارتنا الأولى لأسحق بن ابراهيم الطاهرى الذى كان حاكما فيها. فقال لى «أعلم يا ابا يحى ان هذا الرجل هو ابن رسول اللّه، و انت تعرف المتوكل و يمكنك ان تؤثر عليه، فأذا ما حرضته على قتل هذا الرجل فسيعاديك الرسول.» فأجبته بأننى لم أجد فى سلوك علىّ غير ما يستحق الثناء و الأطراء بالكلية. ثم ذهبت الى سامراء حيث واجهت وصيفا القائد

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۲

التركى، لأننى كنت من أصدقائه المقربين. فقال لى «أقسم باللّه اذا مسّت شعرة واحدة فى رأس هذا الرجل، فسأطالب انا بحقه.» و قد عجبت بعض العجب لموقف هؤلاء الناس من على، و حينما أخبرت المتوكل بما سمعت من ضروب الثناء على الأمام قدم له هدية ثمينة، و عامله بكل احترام و تقدير.

.. و مع هذا فنظرا للأخبار العديدة الأخرى التى كانت تصل الى الخليفة عن ولاء الأمام الهادى فقد بقى أسيرا فى سامراء. و كانت هذه المدينة تسمى «العسكر» فى بادىء الأمر لأن المعتصم كان قد بناها لتكون معسكرا لجنده فى خارج بغداد، و لذلك كان يسمى الأمام على النقى أحيانا «العسكرى» بالنظر للعشرين السنة التى قضاها أسيرا فى مدينة الجيش.

و يقول دونالدسون ان هناك ما يدل على ان الامام على النقى كان يسمح له بشىء من الحرية فى اثناء حياته فى سامراء، فقد كان يلتقى بأصدقائه، و يخرج راكبا الى خارج المدينة ثم يعود اليها، و يحضر فى مجلس الخليفة. و كانت له داره الخاصة به ايضا، لكن الجواسيس كانوا يترصدون حركاته و يراقبونه مراقبة دقيقة. و قد قيل ان المتوكل أصدر أمره فى الأخير بقتله .. فدعاه الى مجلسه، ثم أوصى أربعة من خدامه بأن يسلوا سيوفهم و ينتظروا اشارة منه بقتل الأمام عند ما يخرج.

و حينما خرج الامام من مجلس الخليفة و تقرب من أولئك الخدم أسقط بيدهم و لم يتم قتله.

و بعد ذلك بمدة و جيزة تمرض المتوكل بظهور خراج كبير. فى جسمه بحيث لم يعد يستطيع الجلوس و لا النهوض و قد أراد أطباؤه

أن يشقوا الخراج بالمبضع لكنه لم يقرهم على ذلك، و لم تجد نفعا وسائل العلاج الأخرى. لكن أم المتوكل بعثت تطلب مشورة الأمام سريا بذلك، فأوصى عليه السّلام باستعمال «لزقة» خاصة ضحك عليها الأطباء. غير ان الفتح بن خاقان أوصى بتجربتها على كل حال، فتم الأمر و انفجر الخراج

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۳

فشفى الخليفة.

و قد قتل المتوكل فى سنة ۸۶۱ على يد الأتراك المرتزقة الذين استطاعوا ان يسيطروا على شؤون الخلافة فى سامراء، و توفى ابنه المنتصر بعد سنة، ثم حكم المستعين بعده ثلاث سنوات حتى قتل فى ۸۶۵. لكن الأمام الهادى عليه السّلام بقى يعيش أسيرا مبجلا فى سامراء. و قد أطنب مؤرخو الشيعة، على ما يقول دونالدسون، فى ذكر مزاياه الحميدة، و لو أردنا أن نضع الزلفى المبالغ فيها جانبا يبدو أنه كان رجلا رزينا حسن الطبع، طيب الخلق، عانى كثيرا من كره المتوكل له فى جميع الأيام، لكنه مع ذلك حافظ على هيبته و وقاره، و أبدى كثيرا من الصبر .

و يختم دونالدسون فصله عن الأمام عليه السّلام بقوله ان اليعقوبى يقول أنه توفى بصورة غامضة فى اليوم السادس او السابع و العشرين من جمادى الأخرى سنة ۲۵۴ (۸۶۸ م)، فانتدب المعتز أخاه أحمد بن المتوكل ليصلى عليه فى محلة «أبى أحمد». لكن الناس حينما تجمعوا حصل كثير من الضوضاء و الجلبة فنقل التابوت الى بيته حيث دفن فى فنائه. و كان قد وصل الى الأربعين من عمره، و خلف ابنين اثنين هما الحسن و جعفر.

أما الدكتور جون هوليستر ، المشار اليه فى معظم الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة، فيذكر جميع ما أورده دونالدسون عن الأمام الهادى تقريبا. لكنه يذكر بالأضافة الى ذلك أنه كان يبلغ السنة السادسة أو الثامنة من عمره حينما توفى والده، و لذلك كان الأمام «الصغير» بين الأئمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۴

الأثنى عشر عليه السّلام. كما يذكر عنه انه مات مسموما، و يرجح ان ذلك تم فى أيام الخليفة المعتز، و ان الذى صلى عليه و تولى مراسيم دفنه ابنه الحسن العسكرى عليه السّلام. و يستند فى روايته على كتاب عساف فيضى الهندى.

الحسن العسكرى عليه السّلام

إن أهم المراجع الغربية التى تأتى على ذكر الأمام العسكرى عليه السّلام، كتاب دونالدسون (عقايد الشيعة) و كتاب هوليستر (شيعة الهند) المار ذكرهما. ففى الفصل الذى يفرده دونالدسون لهذا الغرض (الفصل ۲۰، الص ۲۱۷- ۲۲۵) يقول ان هناك شكا فى المكان الذى ولد فيه الأمام الحادى عشر، فمن المؤرخين من يقول انه ولد فى المدينة المنورة و منهم من يقول انه ولد فى سامراء. و تختلف الروايات كذلك فى السنة التى ولد فيها بين سنتى ۲۳۰ و ۲۳۱ أو ۲۳۲ للهجرة. فيقول الكلينى (الأصول الكافى) انه ولد سنة ۲۳۲ لكنه لم يعين المكان الذى ولد فيه.

اما العلامة المجلسى فقد ذكر فى الجزء الثانى عشر من (بحار الأنوار) عدة آراء فى هذا الشأن من دون ان يلقى ضوء على الموضوع. على اننا نعلم ان الأمام الهادى عليه السّلام لم يؤخذ أسيرا الى سامراء الا فى سنة ۲۳۴ ه، و لذلك فأن أسرته كانت حتى ذلك الوقت فى المدينة التى يحتمل جدا أن يكون ابنه الحسن قد ولد فيها. و كانت أمه، مثل أمهات معظم الأئمة الآخرين، أمة من الأماء تشرفت بعد إنجابها أطفالا لسيدها باللقب الخاص «ام ولد». و كان اسمها حديثا، لكن أناسا كثيرين يقولون انها كانت تسمى سوسنا، أو غزالة، أو سليلا، او حربتا. و نقول تعليقا على هذا ان المراجع العربية تجعل بعض أسمائها هذه حديثة بدلا من حديث، موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۵

و حربية بدلا من حربتا، و غزل المغربية بدلا من غزالة.

ثم يتابع دونالدسون بحثه عن الأمام الحسن فيقول انه كان يلقب بالصامت، و الهادى، و الرفيق، و الذكى، و النقى. لكن اللقب الذى غلب عليه هو «العسكرى»، لأنه عاش فى مدينة الجيش بسامراء. اما كنيته فهى «أبو محمد». و حينما بلغ الثانية من عمره (او الثالثة أو الرابعة) حامت الشكوك حول والده الامام على الهادى، و تصور المتوكل انه يشترك فى مؤمرات تحاك ضده، فجىء به أسيرا الى سامراء. و لما كان قد رخص له بالعيش فى بيت خاص به فقد سمح لأسرته الكريمة بأن تأتى الى سامراء كذلك. و هناك شب الفتى و خصص القسم الأعظم من وقته للدراسة و طلب العلم. و بالاضافة الى الدراسات الاعتيادية التى كانت مطلوبة من الأولاد المسلمين عن القرآن و الشريعة و ما أشبه، فأن الأمام العسكرى ربما كان منشغلا أيضا لدرجة ما بتعلم اللغات، لأن من الأمور اللافتة للنظر التى لو حظت عليه فى السنين الأخيرة انه كان يستطيع التكلم بالهندية مع المسلمين القادمين من الهند، و التركية مع الأتراك، و الأيرانية مع الأيرانيين (نقل دونالدسون هذا عن خلاصة الأخبار). و كثيرا ما كان يسمى هو و أبوه وحده بأسم «ابن الرضا» من دون ان يلقب بالأمام، لأن طائفة كبيرة من الطوائف الشيعية كانت تعتقد ان الأمامة تقف فى الأمام الرضا عليه السّلام و لا تستمر فى سلالته من بعده، و هؤلاء كان يطلق عليهم «الواقفية».

و مما يروى عن الامام و قد كان فى السابعة أو الثامنة عشرة من عمره، فى خلافة المستعين، أنه استطاع أن يركب بغلة مشاكسة كانت تعود للخليفة من دون أن يجد صعوبة، و قد شاع يومذاك ان الخليفة كان ينتظر و هو جازم ان تلك البغلة ستقضى عليه، لكن الأمام أبدى مقدرة تامة فى السيطرة عليها بخلاف ما كان يريده صاحبها الخليفة.

و على عادة الدكتور دونالدسون، الذى يتسقط فيها الهفوات و يجمع

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۶

الخرافات و الأقوال الغريبة ليفسرها كما يريد و يهوى، فانه يقول مدعيا الاستناد الى كتاب يسمى (عقائد الشيعة) لمؤلف يدعى حاجى مرزا عكاسى (مطبوع بالحجر فى مشهد خراسان سنة ۱۸۷۹) ان الأمام العسكرى لم تكن له زوجة شرعية، و ان إحدى جواريه التى انجبت له ابنه الأمام الحجة القائم كانت نرجس خاتون ابنة يشوع بن امبراطور الروم. و لم يكن للأمام عليه السّلام سوى الحجة القائم و ابنة أخرى. ثم يذكر دونالدسون ان قصة نرجس خاتون و كونها أميرة من أميرات الروم ربما تكون قد وضعت لتؤكد على نبل الأمام من جميع الجهات، لكنه لم يكن من المستبعد انها كانت من بين الأسرى المأسورات من جهات الامبراطورية البيزنطية، اللواتى جىء بهن الى أسواق النخاسة جاريات فى بيوت علية القوم من المسلمين.

و يروى دونالدسون كذلك عددا من المعجزات المنسوبة الى الأمام مثل قصته مع الشحاذ الذى أقسم بأنه لا يملك شروى نقير بينما كان يخبىء فى بيته مئتى دينار، و حديثه مع الرجل الذى زاره فتذكر بأنه قد أضاع خمسين دينارا فدله الأمام على مكانها، و قصته الأخرى عن السجادة التى جلس عليها أحد زواره فكانت سجادة جلس عليها الأنبياء جميعهم من قبل. الى غير ذلك مما يلتقطه من اخبار و روايات خارجة عن حيز التاريخ.

و ينتهى الفصل الخاص بالأمام العسكرى (ع) بقوله ان اهم ما كان يزعجه به الخليفة فى السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من حياته الشريفة انه منع عنه «الخمس» الذى كان من المعتاد ان يسلم الى آل البيت النبوى الكريم. ثم يقول ان المراجع تجمع على ان الأمام أبا محمد الحسن العسكرى قد توفى فى بيته بسامراء سنة ۲۶۰ للهجرة، و هناك دفن الى جنب والده.

و تقول الكتب الشيعيه مثل كتاب (تذكرة الأئمة) و كتاب (عقائد الشيعة) انه توفى بالسم الذى دسه له المعتمد العباسى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۷

اما الدكتور هوليستر فيورد النقاط التى تطرق اليها دونالدسون بشكل أوضح، و لا يتوسع فى ذكر المعجزات و الكرامات و ما أشبه مما أورده دونالدسون ضمن حوادث التاريخ معتمدا فيه على الروايات و الاخبار التى تجافى سرد التاريخ و يقول ان الأمام العسكرى تولى

مسؤوليات الأمامة و هو فى الثانية او الثالثة و العشرين من عمره، فكان أكثر نضجا مما كان عليه أبوه وجده حينما توليا تلك المسؤولية .. و يبدو ان عزله عن الناس كان يتبع بشىء أكثر من الصرامة التى كان يعامل بها أبوه، و كان يتضح من ذلك ان خلفاء بنى العباس كانوا يرغبون فى التخلص منه. و للبرهنة على هذا يورد هوليستر قصة البغلة الجموحة، و غيرها.

و بعد ان يشير الى قصة تزويجه بالسيدة نرجس خاتون المار ذكرها كذلك، يذكر أن الأمام الحسن منع من مقابلة الناس و أبقى فى عزلة شاملة لوحده مدة من الزمن. و لما كان لم ينجب أى ولد و حتى ذلك الحين فقد كان اعداؤه يطمعون فى ان يقطع نسل الأئمة الأطهار. و لأجل إخضاعه الى الرقابة الشديدة التامة كان سجنه فى ذلك الوقت عبارة عن غرفة فى القسم الأسفل من القصر الملكى، و لم يسمح له بأن يبقى زوجته المفضلة معه. و كان لتلك الغرفة باب فقط، و لم يكن فيها أى شباك يمكن ان يدخل منه النور و الهواء. و قد سجن فيها سنتين، و مع أنه كان شابا فى الرابعة و العشرين من عمره فقد خرج من السجن و هو يبدو كأنه رجل مسن قد ناهز السبعين. لكنه تحمل كل ذلك الأذى و العذاب بطمأنينة و هدوء .

و قد اطلق المعتمد سراحه بعد ذلك و سمح له بالعودة الى بيته. و صار يراقب مراقبة دقيقة من دون ان يكتشف عنه أى نوع من الخيانة، على موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۸

ما يقول هوليستر. و بعد ذلك قطع عنه الخليفة «الخمس» .. فوقع الأمام فى ضائقة شديدة من جراء ذلك، لكنه لم يفقد شخصيته و اتزانه.

فتوفى فى سامراء سنة ۲۶۰ ه. و قد حصلت ضوضاء و صخب فى البلد حينما سرت أنباء وفاته فيه لكن الأمور عادت الى الهدوء حينما انضم الى موكب التشييع رجال الدولة و كبار بنى هاشم. فدفن الأمام الحسن بالقرب من قبر والده فى سامراء. و كانت قد اشتركت فى التشييع كذلك جموع غفيرة من الناس، و خيّم الحزن فى كل مكان. و لما كانت الحاجة للتقية و التمسك بها قد انتفت بوفاته فقد عبر الناس عن حزنهم العميق يومذاك بكل صراحة.

و يقول هوليستر بعد ذلك أن أخاه جعفرا قد حظى بالتفات خاص من السلطة و غيرها بعد وفاة الأمام. و كانت بعض الأوساط تعترف به من قبل بدلا من ان تعترف بالأمام الحسن، او ابنه، لكن الأثنا عشرية يسمونه «الكذاب». و هناك جماعة أخرى يسمون أنفسهم «الجعفرية» كانوا ينكرون وجود ابن للأمام الحسن و يعترفون بجعفر الكذاب هذا خليفة له، بينما كان آخرون يقولون ان الأمامة تنتهى بالحسن العسكرى نفسه.

و هنا يذكر هوليستر ان المستر كانن سيل صاحب كتاب (الاثنا عشرية)، بعد ان يتطرق الى أصل الشيعة النصيرية يقول: .. و هناك تفسير آخر على جانب أكبر من الاحتمال ينض على أن اسمهم- النصيرية- الحالى ينسب الى محمد بن نصير من وكلاء الأمام الحادى عشر الحسن العسكرى.

و يقول ماسنيون المستشرق الفرنسى ان محمدا هذا كان يسمى نفسه «باب» الأمام العاشر على النقى، و ابنه الكبير محمد الذى مات قبله فى ۲۹۴ ه. و بهذا يفرق المستر سيل بين النصيرية و الاسماعيلية، و قد ازدادت الشقة بعدا بين هذين الفريقين بمحاولة الاسماعيلية الاستيلاء على النصيرية فى منطقتهم بسورية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۷۹

الأمام المهدى المنتظر

لقد كتب عن الأمام المهدى ابى القاسم عليه السّلام عدد غير يسير من كتاب الغرب، و لا سيما عند البحث عن المهدى و المهدوية بوجه عام.

لكننا سنقتصد هنا على ايراد شىء مما كتبه هوليستر فى كتاب (شيعة الهند) و دونالدسون فى كتاب (عقيدة الشيعة) المار ذكره.

و يبدأ الدكتور هوليستر بالقول ان رأى الجعفرية الذين يصرون على ان الأمام الحسن العسكرى لم يكن له ولد، يشاركهم فيه عدد من الباحثين فى موضوع الهرطقة. فيشير ابن حزم مثلا الى اختلاف الآراء فى هذا الامام و يلخصها فى الآتى: (۱) أنه ولد فى السنة التى توفى فيها أبوه.

و (۲) أنه ولد بعد ان توفى والده. و (۳) انه كان فى الخامسة من عمره حينما انتقل والده الأمام الى دار الخلود. (۴) هناك أخبار متناقضة عمن تكون أم الولد نفسه.

ثم يقول: و لا تعتمد عقيدة الأثنى عشرية على عدم تصديق السنة أو غير المسلمين، لهذا الرأى. لكنه يبدو ان شخصية الأمام الثانى عشر، و الآراء التى تكونت بشأنه، تعتبر من أساسيات العقائد الشيعية.

ثم يقول هوليستر ان الأمام المهدى ولد فى سامراء سنة ۲۵۵ ه.

و خلف والده فى الأمامة سنة ۲۶۰ ه، و بذلك يكون قد بلغ الخامسة من عمره حينما توفى والده. و كانت امه نرجس خاتون أمة من أهل الغرب. و يقول الحلى عنه انه أفضل الأئمة جميعهم، كما تروى الروايات عددا من المعجزات عن ولادته .. و قد أخفاه أبوه الأمام العسكرى، خلال السنين الأولى من سنى حياته، عن الناس عدا الأصدقاء الأخصاء خوفا عليه من الخليفة الذى قد يعمد الى القضاء عليه اذا ما سمع بالظروف

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۰

التى صحبت ولادته. غير انه بعد ان توفى والده و أصبح اماما بعده، اختفى عن الأنظار و دخل الغيبة. و يروى هوليستر هنا عددا من الروايات التى يستمدها من الاخبار و ليس من التاريخ.

و تقول احدى الروايات ان الامام المهدى اختفى من سرداب فى سامراء، و يروى ابن بطوطة فى رحلته انه كان قد وجد خيالة من الجنود تقف فى مدخل هذا السرداب. و يبدو ان هذه الرواية شائعة القبول بين الناس، و لذلك يدل أحد المزارين الموجودين فى سامراء اليوم على المكان الذى قيل انه حصلت فيه الغيبة . إذ يوجد تحت القبة السرداب الذى يعتقد بأن الأمام الفتى قد غاب فيه. و تعتبر زيارته عن طريق سلم طويل مؤد اليه من الزيارات المعروفة بالكثير من الأجر و الثواب.

و كان يمثل الأمام خلال «الغيبة الصغرى» التى امتدت الى ما يقرب من سبعين سنة أربعة وكلاء، و هم: عثمان بن سعيد، و أبو جعفر محمد، و ابو القاسم الحسين بن روح، و على بن محمد السمرى. و كان عثمان بن سعيد قد خدم الأمامين الأخيرين سكرتيرا و أمينا للصندوق، كما كان مسؤولا فى الحقيقة عن ممتلكاتهما. و قد رشحه الحسن العسكرى ليكون وكيلا له، و سمح لجماعة من أتباعه حينما جاءوا يسألون عن الأمام من بعده بأن يروا الأمام الفتى محمدا بأنفسهم، ثم قال لهم بأنهم لن يستطيعوا رؤيته مرة أخرى حتى يكون قد تقدم كثيرا فى العمر.

و أخبرهم بعد ذلك بأنهم يجب ان يقبلوا خلال هذه المدة ما يقول لهم عنه عثمان بن سعيد لأنه وكيله. و كان كل وكيل يسمى من سيخلفه فى الأمر، كما كان كل منهم يدير مصالح الأمام و شؤونه، و ينقل الى رؤساء موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۱

الطائفة الأثنى عشرية رسائل الأمام السرية. و ما حلت نهاية العهد الذى اشتغل فيه الوكيل الرابع على بن محمد حتى كان الاضطهاد قد ادى الى تفرق الطائفة و أفرادها شذر مذر بحيث لم يبق على قيد الحياة من كان قد رأى الأمام بأم رأسه من قبل. و قد امتنع الوكيل الأخير عن تسمية من يخلفه او ينوب عنه فقال «ان الأمر قد أصبح بيد اللّه»، و قد عرفت الحقبة المبتدئة بذلك العهد ب «الغيبة الكبرى».

و قد كان الأمام المهدى (ع) طوال أيام الغيبة الصغرى يظهر بين حين و آخر للمخلصين المقربين من أتباعه، لكنه كان يتصل بالجميع عن طريق الوكيل. حتى يظهر فى آخر الزمان. و قد يظهر فى مكة مع الحجاج فى أيام العيد الأضحى من دون أن يعرفه أحد الى غير ذلك من المعتقدات.

هـذا و هناك أشـياء أخرى عن الأمام الحجـة ينقلها الـدكتور هوليستر عن عـدد من كتاب الهنـد المسـلمين، تختص بالرجعـة أو ظهور المهـدى فى آخر الزمـان و ما أشبه. كما يبحث فى مزايا اعتقاد الشـيعة الأثنى عشـرية بهـذه العقيـدة، و فوائـدها فى حياتهم اليوميـة و الدينيـة. ثم يختم البحث بالأشارة الى أن كلمتى «المنتظر» و «القائم» تـدلان بطبيعـة الحال على مقدار الأمل الذى يخالج نفوس الشـيعة فى عقيدتهم هذه.

اما دونالدسون فيبدأ الفصل الذى خصـصه للكتابة عن الأمام المهدى بالمقارنة بين فكرة «المهدى» عند أهل السنة، و ما يعتقده الشيعة بالنسـبة لها. ثم يقول انه من المحتمل جدا ان يكون الفشل المحزن، الذى منيت به الأمبراطورية المسلمة، فى تحقيق العدالة و المساواة بين الناس على عهـد الخلافة الأموية (۴۱- ۱۳۲ ه) قد تكون له علاقة بنشوء فكرة ان رجلا رشـيدا من بين المسـلمين سـيظهره اللّه فى آخر الزمان لهذا الغرض.

و الحقيقة ان كلمة «المهدى» كانت قد نشأت بعد اغتيال الأمام على (ع) قتل ابنه الحسين، و ما أعقب ذلك من فظائع الحروب الأهلية التى نشبت و بين العرب، حين أطلقت فى سنة ۶۶ للهجرة على الأمام محمد بن الحنفية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۲

فقـد سـمى يومذاك «المهدى بن الوصـى» و حينما توفى دفن فى جبل رضوى، و صار أتباعه ينتظرون عودته من هذا الجبل، و بذلك أصبح «المهدى المنتظر» ... و نظرا لأن القرآن ليس فيه ما يبرر حقيقة هذه الآمال، فقد كان من الضرورى ان تدعم بروايات و أحاديث تؤكد وجودها . على ان ابن خلدون قد شـككك فى صـحة ما روى من الأحاديث فى هذا الشأن، و اسـتند فى ذلك الى عدم ذكره فى صحيحى البخارى و مسـلم، و شك فى اعتماد الترمـذى و أبى داود على عاصم. و لـذلك لم يتطلب علماء السـنة وجوب إدخال فكرة «ظهور المهدى» فى عقائدهم.

على أن علماء الشـيعة من جهة أخرى يعتبرون انتظارهم لظهور المهدى شـيئا أساسـيا فى عقائدهم. فهم يذهبون الى ان الآيات القرآنية التى تعبر عن فكرة الهدايـة الألهيـة يجب ان ينظر فى علاقتها بالأئمـة بتصـرف، و يؤكـدون بصورة خاصـة على الآية «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ». و قد زعم الكلينى و غيره من علماء الشـيعة، بالاستناد الى أحاديث مروية عن الأمام الصادق و الأمام الباقر عليهمـا السّـلام، ان كلمـة أمـة فى هـذه الآيـة تعنى الأئمـة من آل بيت النبى. و هناك حـديث عن الأمام على يقول فيه «ان هـذه الأمة ستنقسم الى ثلاثة و سـبعين فرقة، اثنتان و سبعون منها فى جهنم و واحدة فى الجنة.» و هناك عدة آيات تشير مباشرة الى القيامة. و إن الأشارة الى «القائم» فى يوم القيامة خلال الآية «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» يقصد بها المهدى.

لكن الشيعة يعتبرون القرآن أيضا ليس فيه وضوح كاف فى الموضوع، و ان ما ينقصه فى هذا الباب تكمله الاحاديث الموثوقة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۳

ثم يذكر دونالدسون ان الأمام الثانى عشـر، الذى كان يسـمى صاحب الزمان، يقال انه ولد فى سامراء سـنة ۲۵۵ او ۲۵۶ ه. و يدل هذا على أنه ولد قبل وفاة والده الحسن العسـكرى بأربع أو خمس سـنوات. ثم يحاول هذا المؤلف التشـكيك فى إمكان تطبيق ما ورد من أحاديث نبوية و غيرها بشأن «المهدى» على ولادة الأمام الحجة، مما لم نجد موجبا لا يراده هنا لانه خارج عن العرض التاريخى.

و يـذكر بعـد ذلـك ان ابن خادم من خـدام الحسن العسـكرى (ع) يروى قائلا: .. ان الحسن عليه السّـلام حينما ولـد الأمام بعث يطلب والـده، و أوصـاه بتوزيع عشـرة آلاـف رطـل من الخبز و عشـرة آلاف رطل من اللحم على بنى هاشم و غيرهم فى سامراء، و ان يـذبح عـددا من الأغنام لهـذا الغرض. و يـذكر كذلك ما روته نسـيم و مارية، خادمتا الحسن العسـكرى عن ولادة المهدى عليه السّـلام و ما رافق ذلك من كرامات و معجزات كما يروى مثل هذا عن عمته حليمة.

و يشير دونالدسون بعد هذا الى ان المهدى عليه السّلام قد أعلنت أمامته قبيل وفاة والده. فقد أخبر رجل يدعى اسماعيل انه عاد الأمام الحسن فى مرضه الأـخير و جلس بقربه. فسـمعه يطلب من عقيـد خـادمه بـأن يحضـر له شـيئا من سائل المسـتكى، لكن والـدة صاحب

الزمان سرعان ما جاءت بالأناء و وضعته فی ید الحسن. غیر ان یده ارتعشت حینما حاول ان یشرب شیئا منه فارتطم الأناء بأسنانه. و عند ذاک وضعه جانبا و طلب من خادمه عقید ان یذهب الی الغرفة و یخبر الطفل الذی کان یصلی فیها بالمجیء الیه. و بعد ان انتهی من صلاته جاءت أمه و أخذت بیده فأتت به الی والده. و حینما حضر عند والده کانت سیماء الطفل النبیل تضیء و تزهو، و کان شعره جعدا، و قد ابتسم فبانت اسنانه. و قد بکی الوالد المحتضر عند ما وقع نظره علیه و قال له: یا سید أهل بیته أعطنی شربة فأنی ذاهب الی خالقی و بارئی یوم القیامة. فأخذ الطفل ماء المستکی،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۴

و قرأ علیه، ثم سلمه لوالده. و عند ما شربه قال جهزنی للصلاة، فأخذ صاحب الزمان منشفة مسح بها وجه والده و رأسه و قدمیه للوضوء. و عند ذاک خاطب الأمام المحتضر ابنه بقوله: طفلی العزیز، انت صاحب الزمان، أنت المهدی، أنت آیة فی أرضه. أی طفلی و وصیی، أنت محمد ابنی و ابن الرسول، انت خاتم الأئمة. لقد أخبر رسول اللّه عنک، و ذکر اسمک و کنیتک. و هذا هو عهد أبائی قد جاء الی .. و فی تلک اللحظة توفی الأمام العسکری علیه السّلام.

و یبدو ان الأمام الفتی قد اختفی و بدأت غیبته فیما یقرب من ذلک الوقت. و قد جاء فی (جنات الخلود) انه اختفی فی بیته الذی ورثه من ابیه بسامراء فی سرداب یتم الوصول الیه بعدد من الدرجات. و کان ذلک هو المکان الذی کان یختفی فیه هو و والده بعیدا عن عبث الطغاة حینما کانا ینصرفان الی العبادة. و کان حینما بدأت غیبته فی السادسة، او السابعة، او التاسعة، من عمره مع عدد من الأشهر و الأیام. و یقول دونالدسون ان صاحب (عقائد الشیعة) لا یذکر کیفیة اختفاء الأمام لکنه یقول ان قول البعض بأنه لم یکن قد ولد یومذاک، أو أنه مات فی أیام والده، هو قول باطل. فمن الضروری الاعتقاد بأنه ولد و عاش، و لکن فی الغیبة، و انه سوف یظهر فی آخر الزمان.

و یقول دونالدسون کذلک، ان فکرة بقائه علی قید الحیاة، و اختفائه بصورة غامضة فی وقت یقرب من الوقت الذی توفی فیه والده، تؤید ما ترویه الأخبار عن عودته الی الظهور فی مناسبات عدة، و لا سیما فی مأتم والده و عند الدفاع عن حقوقه وقت توزیع الترکة. فتقول الأخبار مثلا ان عمه جعفرا الکذاب حینما کان یوشک ان یصلی علی جنازة أخیه ظهر طفل و سیم جعد الشعر لماع الأسنان و أمسک برداء عمه، فأصر علی ان یصلی هو نفسه علیها.

و حینما ادعی جعفر کذبا بالمیراث ظهر صاحب الزمان بقرب البیت و سأله

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۵

قائلا: لماذا تدعی بحقوقی؟ فلم یتمالک جعفر ان امتقع لونه ولاذ بالصمت.

و بعد ذلک اختفی الأمام، و حاول جعفر العثور علیه فی کل مکان لکنه لم یستطع التوصل الیه. و قد جاءت جدة الامام الحسن العسکری لأمه و أمرت بأن یدفن فی تلک الدار. فاعترض جعفر علی ذلک مدعیا بأن البیت أصبح یعود له، ثم طلب عدم دفن أخیه فیه. لکن صاحب الزمان ظهر من جدید، و سأل عمه بقوله: هل یعود هذا لک یا جعفر؟ ثم رحل فی الحال و لم یره أحد بعد هذا (الحق الیقین للمجلسی الص ۱۵۲ و ۱۴۶).

و هناک أخبار کثیرة عن حوادث و مناسبات ظهر فیها الأمام الحجة للمسلمین المؤمنین، بعد الصلوة أو وقت الحاجة. لکنه بقی سبعین سنة ینوب عنه و کلاؤه فی الأرض. و کان أولهم عثمان بن سعید، و حینما مات خلفه ابنه أبو جعفر، الذی رشح بدوره أبا القاسم ابن روح، و هذا عین بعده أبا الحسن السمری.

و عند ما أشرف الأخیر علی الموت طلب الیه ان یسمی أحدا بعده لکنه رفض ذلک و أجاب یقول: ان الأمر بید اللّه الآن. و علی هذا فأن الحقبة التی کان الوکلاء یمثلون خلالها الأمام اصبحت تعرف بالغیبة الصغری. و هذه تمتد علی ما یقال من سنة ۸۶۹ الی سنة ۹۴۰ میلادیة. و منذ ذلک الحین فصاعدا دخل المستتر فی «الغیبة الکبری»، و لا ینتظر ان یعود الا فی آخر الزمان.

أما عن رجعة الامام المنتظر، و ظهوره فی آخر الزمان، فیقول دونالدسون ان الشیعة یؤکدون علی الآیات الآتیة فی اثباتها:

و نتلو علیک من نبإ موسی و فرعون بالحق یؤمنون.

ان فرعون علا فی الارض و جعل أهلها شیعا: یستضعف طائفة منهم، و یذبح ابناءهم و یستحیی نساءهم.

و نرید ان نمنّ علی الذین استضعفوا فی الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثین.

و نمکّن لهم فی الأرض، و نری فرعون و هامان و جنودهما منهم ما کانوا یحذرون.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۶

و أوحینا لأمّ موسی ان آرضعیه فان خفت علیه فألقیه فی الیمّ و لا تخافی و لا تحزنی، انا رادّوه الیک و جاعلوه من المرسلین.

و حینما سئل الأمام زین العابدین (ع) عن تفسیر هذه الآیات رد یقول:

أقسم باللّه الذی بعث محمدا بالحق اننا نحن آل البیت مثلنا مثل موسی و اتباعه، و مثل اعدائنا و أشیاعهم کمثل فرعون و اتباعه.

و هذا ما رأینا اثباته عن الأمام المهدی (ع)، ملخصا مما أورد دونالدسون فی کتابه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۷

وکلاء الإمام صاحب الزمان

اشارة

لقد أفرد الدکتور دونالدسون، من دون سائر المراجع الغربیة التی تیسرت لنا، فصلا خاصا فی کتابه المشار الیه من قبل بحث فیه عن وکلاء الأمام الحجة (ع) الذین مر ذکرهم. و یبدأ الفصل بقوله ان ولادة الأمام الثانی، علی ما یروی، حصلت فی الثامن من شعبان سنة ۲۵۶ (۸۶۹ م) و ان وکیله کان عثمان بن سعید، الذی اوصی بالوکاله من بعده لابنه أبی جعفر محمد، و هذا اوصی بها الی ابی القاسم ابن روح، ثم اوصی بها بدوره الی أبی الحسن علی بن محمد السمری. و کان الأمامان العاشر و الحادی عشر یعتبران عثمان بن سعید سکرتیرهما الخاص، و أمین صندوقهما، و یعدانه شخصا موثوقا به تمام الثقة و یعتبر کل ما یقوله مرویا عن لسانهما. و لذلک کان الأمام العسکری (ع) یخاطبه فی بعض الأحیان علی ملأ الناس بکونه «وکیلا علی مال اللّه».

و قد روی ان اربعین رجلا من وجوه الشیعة کانوا قد اجتمعوا ذات یوم و جاءوا الی الحسن العسکری قبیل وفاته، لیستفسروا منه عمن سیکون حجة اللّه فی أرضه من بعده. فانسحب علیه السّلام من بینهم و دخل الی البیت،

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۸

و لم یعد الیهم الا بعد ساعة و هو یحمل بین ذراعیه طفلا و سیما بهی الطلعة.

و قد بیّن لهم ان هذا الطفل هو الذی سیخلفه فی الأمامة، و انهم لن یروه حتی یکون قد تقدمت به السن کثیرا. لکنه أخبرهم بأنهم یجب علیهم، فی الوقت نفسه، ان یقبلوا بما یقوله لهم عثمان بن سعید فی کل شیء لأنه وکیل إمامهم.

و یروی علاوة علی ذلک ان الحسن العسکری قال عنه انه وکیله، و انه وکیل ابنه محمد. و علی هذا فقد کان هو- ای عثمان بن سعید- الذی تولی غسل جثمان الامام العسکری و تضمیخه بالطیب قبل دفنه و ایداعه فی ضریحه الطاهر.

و حینما سئل عثمان بن سعید عما اذا کان قد رأی ابن الأمام الحسن العسکری، الذی کان یفترض أنه ولد قبیل وفاة أبیه، انفجر باکیا و قال «بلی لقد رأیته ..» لکنه لم یذکر اسم الطفل لئلا یسمع به الأعداء، و یبدأوا بالتفتیش عنه. و المقول ان قبر عثمان بن سعید یوجد فی بغداد، داخل الجامع الکائن فی شارع المیدان بالقرب من باب المدینة. و کان هناک فی سنة ۴۰۸ هو مدخل خاص الی الغرفة

التى يوجد فيها قبره من باب صغير فى محراب الجامع، لكن هذا الجدار هدم بعد اثنين و ثلاثين سنة و ترك القبر مكشوفا فى الصحن، حيث يستطيع ان يزوره كل أحد.

و قد عين الوكيل الثانى، أبو جعفر محمد بن عثمان، بوصية خطية كتبها أبوه ليخلفه فى وكالة الأمام المستتر. و كان هو الذى غسل جثة ابيه و أجرى مراسيم الدفن بنفسه، و هنا إجماع عند شيعة العراق على أنه كان يتمتع بالسلطة التى كانت عند أبيه. و المقول أنه كانت عنده عدة كتب عن القوانين الشرعية التى ورثها من أبيه، و التى كان أبوه قد تسلمها من الأئمة بدوره. و بعد ان خدم الأمام المنتظر بعد أبيه مدة تناهز الخمسين عاما توفى سنة ۳۰۵ (۹۱۷). و قد دفن فى جنب قبر أمه، على طريق باب الكوفة- فى بغداد- فى الدار التى كان يسكنها و التى تقع الآن فى وسط الفلاة. و حينما كان فى بغداد عشرة من شيعته يسهمون معه فى مسؤولية تزعّم الطائفة الشيعية، و يساعدونه فى ادارة شؤونها، كان الشريك الذى يعتمد عليه اكثر من الآخرين أبا القاسم الحسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۸۹

بن روح، و لذلك أوصى له بأن يأخذ مكانه فى وكالة الأمام المستتر، فاصبح الوكيل الثالث للأمام.

و مما يروى عن أم كلثوم، ابنة أبى جعفر، انها قالت ان الحسين بن روح كان وكيل أبيها خلال عدة سنين، و انه كان يشرف على أملاكه، و ينقل رسائله السرية الى وجوه الشيعة المعروفين. و كان خلال ذلك الوقت كله متحمسا فى خدمة أبيها الذى كان يعتمد عليه بلا أدنى ريب. و مع ان أباها كان له صديق مخلص آخر، هو ابو جعفر بن أحمد، فقد وجد من المصلحة ان يستخلف ابن روح من دون ان تثار أية معارضة ضده.

و تقول الرواة ان ابا جعفر كان مقدرا جد التقدير من الشيعة و السنة على سواء، و انه كان معروفا عندهم بعلمه و ثقافته. و كان يقدّر على الأخص لبراعته فى التقية. ثم يورد دونالدسون هنا قصصا تؤيد ذلك، و أخرى تدل على مرونته و حذقه فى اجتذاب خصومه اليه ... و قد توفى أبو القاسم ابن روح سنة ۳۲۶ فدفن، على ما تقول أم كلثوم، بالقرب من دار على بن أحمد النوبختى فى مكان يقع وراء قنطرة الشوك من جهة باب المدينة. و المعروف اليوم لدى الكثيرين من سكان بغداد ان قبره يقع فى منطقة الشورجة خلف بناية الأوقاف الكبيرة (الجديدة) المطلة على شارع الجمهورية، التى تشغل قسما منها مديرية البرق و البريد العامة. و تشاد فى هذه الأيام بالذات قبة صغيرة فوق قبره.

و كان الوكيل الرابع عليا بن محمد السمرى. و يقول دونالدسون خلال كتابته عنه أن وفاة الأمام الحسن العسكرى كانت قد مرت عليها سبعون سنة يومذاك، و برغم انتظار الشيعة المخلص للإمام صاحب الزمان، فانه لم يظهر لهم. و فى خلال هذين الجيلين كان اولئك الذين عرفوا الإمام شخصيا و أدركوا أيامه قد انتقلوا الى الدار الآخرة. و قد استطاعت مجرد بقية غير كبيرة من الطائفة الشيعية ان تبقى على قيد الحياة بالسير خلال طريق التقية الوعر. و كانت ج ۱- سامراء (۱۹)

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۰

هذه البقية قد لاقت الأمرين خلال الشغب و الاضطراب السياسى و الاجتماعى الذى ضعفت فيه عقائد الناس أجمعهم و فترت همتهم. و شاع الجور و التعسف فى الأرض بحيث صار الكثيرون من الناس يعتقدون بان الإمام كان لا بد من ان يظهر بالتاكيد. فلم يتشتت شمل الأقليه الشيعية الباقية و يزداد الضغط عليها حسب، و انما انحطت سمعة الامبراطورية الاسلامية أيضا و نال منها تكرر غزوات القبائل المتاخمة لها ما نال، كما اصيبت جيوش المسلمين بخسرانات فادحة بالقتال المستمر مع البيزنطيين.

ففى السنة التى توفى فيها الامام العسكرى عليه السّلام فى سامراء هلك الخليفة الصالح، بعد تعذيب شنيع و راح ضحية لضغط اسياده الأتراك عليه.

و جاء عهد الخليفة المعتمد بسلسلة من الكوارث الرهيبة. و هنا يعدد دونالدسون ما حل بالبلاد العراقية و غيرها من نكبات و يشير الى ثورة صاحب الزنج و ما اقترفت فيها من فظائع و شناعات، و الى ما وقع من حوادث الطاعون و الزلزال و ما حصل من نزاعات و حروب

اهلية، فضلا عن اندحار الجيوش أمام البيزنطيين، حتى تولى السفاح الثانى، الخليفة المعتضد، و استطاع ان يعيد الى الخلافة شيئا من هيبتها.

و يقول دونالدسون بعد سرد هذه الأشياء ان الوكيل الرابع قد تولى فى أسوأ الأوقات و أنحسها. و ربما كان هذا الوكيل يعتقد بالنسبة لما جرى ان الأمام القائم (ع) كان لا بد من ان يظهر، و الا فسيكون موقفه حرجا بين الناس و يصيبه الكثير من الخيبة و الفشل. و لذلك نجده يقول حينما كان يحتضر:

و طلب اليه ان يسمى وكيلا من بعده، ان الأمر اصبح بيد اللّه. و هكذا رفض ترشيح احد، فلم يعد يوجد بهذا على وجه الأرض اى وكيل للإمام منذ ان توفى السمرى سنة ۳۲۹ (۹۴۰) حتى اليوم، و انتهت مدة الغيبة الصغرى التى امتدت من سنة ۲۵۶ الى سنة ۳۲۹ للهجرة، و حلت بعدها حقبة الغيبة الكبرى. و يقول دونالدسون ان قبر الوكيل الرابع- السمرى- يقع فى شارع الخلبخى بالقرب من قناة النهربى. لكن المعروف عند الكثيرين من الناس

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۱

ببغداد اليوم هو انه مدفون فى وسط سوق السراى فى مقابل باب المستنصرية الكبرى تقريبا .

بعد عودة الخلافة الى بغداد

و منذ ان انتقلت عاصمة الخلافة العباسية على عهد المعتمد من سامراء الى بغداد سنة ۸۷۰ للميلاد، لم يبق لسامراء شأن يذكر و لم تعد تلفت اليها الأنظار الا نادرا. و لذلك نجد ان اسمها ينقطع وروده فى التواريخ جميعها الا حينما يشار فيها الى حوادث و رجال اصبحوا فى ذمة التاريخ نفسه. و حينما دالت دولة بنى العباس، و اكتسحت سيول التركمان و المغول بلاد العراق فقوضت دعائم الخلافة العباسية فى بغداد، خمل ذكر العراق بأجمعه و لم يعد سوى أقليم ناء من أقاليم الدول التركمانية، أو ولاية من الولايات المهملة تنتمى الى الدولة العثمانية مترامية الأطراف.

لكن سامراء مع انحطاط شأنها على هذا المنوال، و انقلابها الى محطة صغيرة من المحطات التى تقف فيها وسائط النقل النهرية فى فى بعض الأحايين بين الموصل و بغداد، أو بغداد و استانبول، فقد بقيت كعبة للزوار الذين كانوا و ما زالوا يفدون اليها من انحاء العالم الأسلامى جميعه لزيارة الأضرحة المطهرة فيها، التى بقيت رمزا لانتصار العقيدة الحقة على الظلم و الفساد.

و حينما بزغ فجر النهضة الحديثة فى أوربة و صارت أنظار الغرب تتجه الى البلاد الشرقية لاستغلالها و استثمار خيراتها و مواقعها الجغرافية، و ترويج المصالح التجارية و الاستعمارية فيها، صار الرحالة الغربيون يسلكون الى الشرق طريق استانبول- الموصل، او حلب- الموصل، ثم يأخذون طريق النهر من الموصل الى بغداد فالبصرة فى كثير من الأحيان. و لذلك صرنا نجد اشارات

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۲

عابرة، او اشارات فيها شىء من التفصيل، الى سامراء فى رحلات هؤلاء الغربيين، حيث ان اكلاكهم كانت تقف فى شواطئها فيتلبثون فيها بعض الوقت.

و أقدم ما عثرنا عليه من هذا القبيل ذكر سامراء فى رحلة الرحالة الفرنسى المشهور جان بابتيست تافيرنييه الذى زار العراق فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد.

و قد وصف فى رحلته طريق النهر من الموصل الى بغداد و أتى فيها على ذكر سامراء. فهو يقول (الص ۷۴ من الترجمة العربية): .. و فى اليوم الثانى و العشرين- شباط ۱۶۵۲- بعد ان بقينا ساعتين فى الماء، التقينا بجدول يأخذ ماءه من دجلة لسقى الأراضى هناك، و يمتد الى قرب قبالة بغداد، و هناك يصب فى دجلة مرة ثانية. و من هناك نزلنا الى البر فى الجهة الكلدانية، لأنه كان برفقتنا مسلمون

أحبوا ان يتبركوا بزيارة مكان يقال له سامراء، و فيها جامع لا يبعد اكثر فرسخ من النهر، يؤمه كثير من المسلمين لتقديم فروض العبادة، خاصة الهنود و التتر الذين يعتقدون ان اربعين نبيا من أنبيائهم مدفونون هناك. و لما علموا اننا نصارى لم يسمحوا لنا بأن نطأ أرضه. و على خمس مائة خطوة من الجامع برج مشيد بمهارة فائقة، له مرقاتان من خارجه تدوران حوله دوران الحلزون. و إحدى هاتين المرقاتين أعمق فى بناية البرج من الأخرى و كان بامكانى ان امعن النظر فيه اكثر من هذا لو سمح لى بالدنو منه الى مسافة قريبة. و الذى لاحظته انه مشيد بالآجر و تبدو عليه مسحة القدم. و على نصف فرسخ منه تبدو ثلاثة أبواب كبيرة كأنها أبواب قصر عظيم. و فى الحقيقة لا يبعد فى هذه الأنحاء ان كانت مدينة عظيمة، لأن مسافة ثلاثة فراسخ على طول النهر لا يرى شيء سوى الخرائب و الأطلال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۳

سامراء فى القرن التاسع عشر

اشارة

إن أقدم من أشار الى سامراء فى رحلته من الرحالة الغربيين، الذين أخذ يزداد عددهم فى القرن التاسع عشر، الكابتن جون ماكدونالدكينير الانكليزى، الموظف فى بحرية شركة الهند الشرقية، و المنتدب لدربار نواب كارناتيك فى الهند. فقد جاء من انكلترا الى استانبول فى صيف ۱۸۱۳، ثم وصل من الأناضول الى الموصل فى طريقه الى الهند. و من هناك استقل كلكا أقلع به الى بغداد. و فى خلال هذه الرحلة وقف قليلا فى تكريت و سامراء، و كتب شيئا عنهما. فهو يقول: ... و وصلنا الى تكريت فى صباح يوم ۱۲ آب ۱۸۱۳، و هى عبارة عن قرية مبنية بيوتها بالطين تقع بين سلسلة من التلول الصخرية فى الجانب الأيمن من دجلة. و تكريت هى برثا Birtha القديمة التى كانت فى القرن الثانى عشر للميلاد مقرا للمطران اليعقوبى فى هذه الجهات. و عند وصولنا الى هنا رخصت الحرس من حملة البنادق الذين كان باشا الموصل قد بعثهم معنا للمحافظة، بعد ان وجدت ان إزعاجهم لنا كان أكثر من فائدتهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۴

و أقلعنا ثانية فى السادسة صباحا فكانت الشواطىء فى جنوب تكريت من الجانبين مغطاة بشطيات الرقى و الخيار، التى يرفع لها الماء بالكرود التى تكلمت عنها من قبل (يلاحظ انه يسمى الكرود مكائنا) ... و يكون دجلة عريضا جدا عند تكريت. و فى الساعة التاسعة و ثلث لاح لنا مرقد إمام الدور و قريته الكبيرة، التى تقوم على مرتفع غير عال من التلول الرملية البعيدة عن شاطىء الجانب الأيسر من النهر بمسافة نصف ميل و مرقد الإمام بناء عال مربع الشكل تعلوه قبة بنيت بالطراز الاسلامى (ارابيسك). و لا شك ان «دورا» هو الأسم القديم لهذه البقعة التى يعرفها قراء التاريخ جيدا، بكونها المكان الذى حاول فيه الجيش الرومانى ان يعبر دجلة بعد موت جوليان، و حيث وقّع خلفه على اتفاقية مهينة تنازل فيها عن نصيبين و الأقاليم الكائنة فيما وراء دجلة الى الأيرانيين. و كانت الشواطىء هنا أيضا، ملأى بالمكائن المعدة لزراعة الرقى، الذى يعد أحسن رقىّ فى البلاد، و يرسل بكميات كبيرة الى بغداد. و قد لاحظنا وجود بستان كبيرة للنخيل أول مرة منذ أن خرجنا من الموصل. و فى الساعة الحادية عشرة و نصف لاحت لنا خرائب الطين لقرية أسكى بغداد فى الجانب الأيسر، و هنا يتفرع النهر الى فرعين متساويين فى الحجم يحيطان بجزيرة طولها نصف ميل. و فى الثانية عشرة و نصف أتينا الى بلدة تسمى «اشناس» على الجانب الأيسر. و بعد ان سرنا الى الساعة الثانية بعد الظهر لاحظنا اطلالا عالية لقصر يسمى «قصر العاشق» على بعد ربع ميل من ضفة النهر اليمنى، و فى مقابلها مباشرة من الجانب المقابل خرائب يقال لها «المعشوق». و للعرب أساطير و أقوال تروى عن هذين المكانين .. و هنا أيضا يقسم النهر الى فرعين سرنا فى الفرع الواقع على يميننا منهما، و ما حلت الساعة الثالثة حتى وصلنا الى سامراء الكائنة فى الجانب الأيسر:

و هى بلدة تحتوى على ألفى نسمة، و تبعد حوالى ربع ميل عن نقطة تشعب الفرعين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج۱۲، ص: ۲۹۵

و كانت سامراء، و هى سامير

Samere

القديمة، محل الأقامة المفضل لعدد من خلفاء بنى العباس، و لا تزال أطلال مدينتهم هناك تشغل فسحة كبيرة من الأرض. و أهمها قبر و مشهد الأمام المهدى الذى دفن فى سامراء (؟).

و هو بناء. جميل من الطابوق، تعلوه قبتان و منارتان مزينتان بالكاشى الملون الذى يتباهى به العرب، و يبدو بمنظر جذاب حينما تتساقط أشعة الشمس عليه. و هناك على مسافة غير بعيدة عنه برج مخروطى الشكل يعلو علوا عظيما، و يبدو بمنظر متناسب. و تلف حول هذا البرج مرقاة حلزونيه شيدت بمهارة بحيث يمكن ان تصعد منها الى القمة الخيل و البغال عند اللزوم.

و على بعد عشرة أميال و نصف من شمال شرق البلدة الحديثة، و على الفرع الأيسر من دجلة، تقوم خرائب قصر الخليفة الذى يبدو أنه كان واسعا جدا، و هو مبن بالطابوق و الطين. و لكنه برغم ما كان عليه من أهمية و ازدهار لا يحتوى على شىء يستحق المشاهدة (يظهر ان الكابتن كينير لم يكن يتذوق الآثار و ما فيها من فن و زخرفة). و تشاهد أيضا أقساما كبيرة من سور البلدة أيضا، و هى تمتد الى مسافة غير يسيرة فى البادية المحيطة بها. و من الصعب ان يتصور المرء كيف ان بقعة مثل هذه يمكن ان تنتخب موقعا لعاصمة مهمة يقيم فيها «أمير» ذو سطوة و منعة. فان أرضها الممتدة الى مد البصر قاحلة، و هى يباب بلقع ليس فيه زرع و لا شجر، يمكن أن يريح و لو قليلا من سطوع الشمس و حر الرمال. و يمتلىء الجو من فوقها بغيوم من الغبار تولدها الريح الشديدة التى تضيف بعصفها شيئا غير يسير الى وحشة المكان. و مع ان المعروف عن العراق العربى ان أرضه تصبح خضراء نضرة بمجرد سقيها و جر المياه لها، فان الضفاف هنا

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹